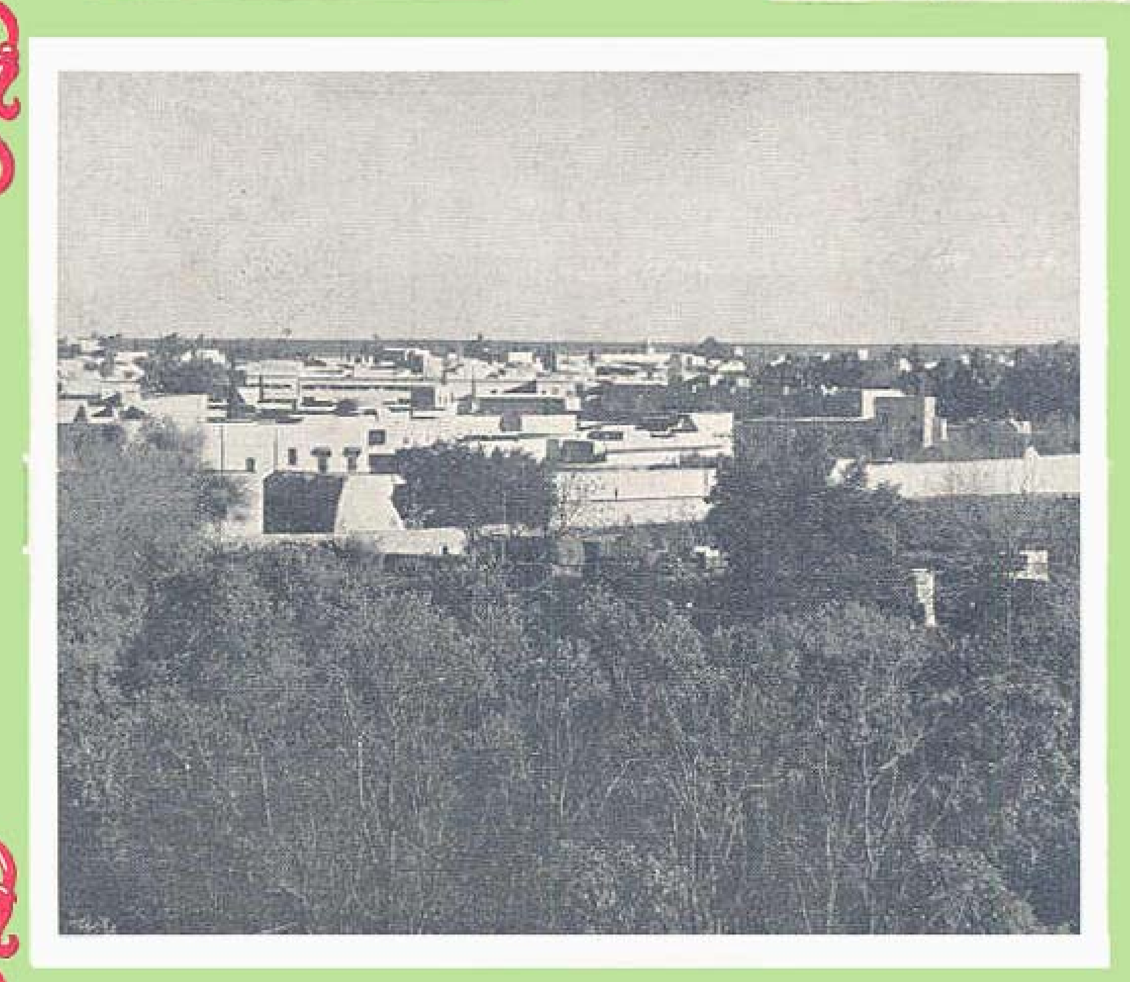



مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الثاني - السنة الخامسة
جمادى الاولى 1381 ● نونبر 1961
ثمن العدد : درهم واحد

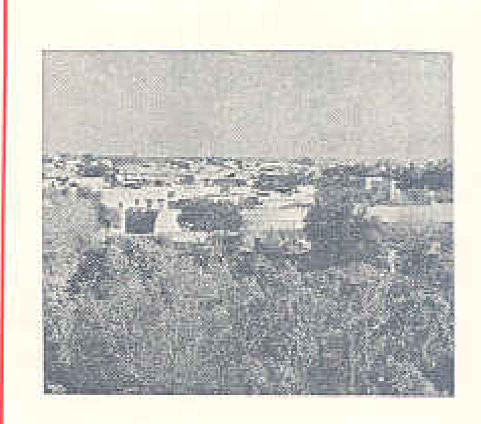
العدد الثاني
السنة الخامسة
جمادى الاولى 1381
نوفمبر 1961

# دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

## صورة الغلاف



مدينة مراكش ـ عاصمة الجنوب

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« **دعوة الحق** » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
**DAOUAT AL HAK** compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تلفون 10-308 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة العدد

# مع الثورة الجزائرية

في مستهل هذا الشهر دخلت الثورة الجزائرية سنتها الثامنة مزودة بتجارب سبع سنوات من النضال ومقاومة الظلم والطغيان . راوية للتاريخ معجزة اخرى من معجزات الشعوب عندما تصمم بحزم وعزم على صنع قدرها وفرض ارادتها ، هادفة الى خلق جزائر جديدة تنمحي فيها جميع اشكال الاستعباد والاستغلال والسيطرة ويعيش في ربوعها انسان عربي مسلم حر قادر على ان يسهم بنصيبه في تقدم البشرية وسعادتها

والثورة الجزائرية بزحفها المقدس وسيرها التاريخي حافلة بالعظات غنية بالدروس والعبر ، يمكن للدارس ان يتناولها من جهات مختلفة وحسبنا في هذه العجالة ان نشير الى جانب هام من جوانبها الفذة، الجانب الذي ضمن لها استمرارا حيا وتطورا فعالا ، وجعلها تعيش منذ ان اندلعت بجميع صورها في ضمير كل انسان، هذا الجانب هو شعبيتها ، وهو سر عظمتها وقوتها ، الثورة في الجزائر ليست ثورة طبقة او هيأة او حزب معين بل هي ثورة عارمة تشترك فيها كل عناصر الشعب الحية الواعية ، اذ تلتحم فيها ارادة العامل بارادة الفلاح والصانع والتاجر والمثقف ، وتتوحد فيها مطامح هؤلاء جميعا في حياة حرة كريمة تقضي على ضروب التحكم والسيطرة التي خلقها الاستعمار الفرنسي الفاشم .

نحن لا ننكر الدور الذي تقوم به القيادة ـ اية قيادة ـ محكمة التنظيم من توجيه وتحقيق عملي للاهداف والمطامح ، فقد توفرت للثورة الجزائرية منذ نشوبها قيادة حكيمة متبصرة وواعية ، غير ان الذي يطبع هذه القيادة بطابع اصيل ، ويوفر لها عناصر النماء والتجدد والتكامل ، انبثاقها من محيط شعبي وتفاعلها معه واعتمادها عليه ، ولقد دفع الشعب الجزائري طيلة سبع سنوات كل ما طلب اليه ، دفع ارواحه وامواله ودماءه فداء لقضيته وفي سبيل تحقيق اهدافه ، وما زال مستعدا للبذل والعطاء والتضحية مهما طالت الحرب .

بهذا الجانب الشعبي استطاعت الثورة الجزائرية اذن ان تصمد سبع سنوات في حرب غير متكافئة القوى ، وبهذا الجانب ايضا استطاعت هذه الثورة ان تجدد للعرب والشعوب المغلوبة في جميع انحاء العالم ثقتها بنفسها ، وتبين لها ان في صميمها امكانيات مبدعة وطاقات ثورية لو اتيح لها ان تنطلق وتتفجر لصنعت المعجزات ، ومن هذا الجانب نستطيع ان نقرر كذلك ان نجاح هذه الثورة حتمية مفروضة وقدر لا مفر منه وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

# مبادئ الاسلام الدستورية في نواحي الحياة

للدكتور معروف الدواليبي

**ظهور الاسلام وانتشاره السريع :**

ظهر الاسلام منذ اربعة عشر قرنا وفى اعالي القرون الوسطى ، فى جزيرة العرب الوثنية المترامية الابعاد ، وعلى اطراف دولتي العالم حينذاك : فارس والرومان ، وقد استقر لهاتين الدولتين السلطان والسيادة من غير منازع لهما من غيرهما .

واذا بالاسلام ينشر بعد مرحلة تأسيس دامت عشر سنوات فى جميع ملايين جزيرة العرب على سعة اطرافها ، وتباين نزعاتها ، وقوة شكيمة اصحابها ، رغم رسوخ الوثنية فيهم ، ودفاعهم عنها بكل ما عز لديهم .

واذا بالاسلام يوحد لاول مرة بين هذه القبائل الصلبة العود ، ويجمع شملهم ، ويلم شعثهم ، ويجعل منهم امة عربية واحدة ، صارخا فيهم : « ان هذه امتكم امة واحدة » بعد ان كانوا قبائل اشتاتا .

واذا بالاسلام ينفخ فيهم روحا من روح الله : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، ويجعل خيرهم وفضلهم على الناس فيما حملوا من خير للناس لا فى عنصرية تضع تقلهم فوق رقاب الناس .

ثم لم يخرج الاسلام من جزيرة العرب حتى قوض دولتي العالم الفارسية والرومانية فى فارس ومصر وبلاد الشام ، واصبح على ابواب الهند والصين فى مدة لا تتجاوز عشر سنوات ، ومن ثم فتحت له الابواب ليغزو بعقائده العالم فى كل مكان من اقصى الشرق الى اقصى الغرب .

وهكذا انتشر الاسلام بسرعة لم يعهد التاريخ لها مثيلا فى تاريخ الاديان ، وتحير العلماء والمؤرخون فى تفسير اسباب هذه السرعة التي لم يعرفوا لها نظيرا .

**ما هو السر فى سرعة انتشاره ؟**

فهل من اسباب هذه السرعة فى انتشار الاسلام سلطان عروبة صاحب هذا الدين ؟ .. كلا فان العرب حين ظهور الاسلام لم يكونوا الا قبائل اشتاتا ، ولم يكونوا بالنسبة الى دولتي العالم حينذاك فارس والرومان شيئا مذكورا .

وهل من اسباب هذه السرعة فى انتشار الاسلام معجزاته الخارقة ، ومعجزات اصحابه الحاسمة ؟ كلا ، **فقد القي ابراهيم فى النار** ، وانقلبت النار عليه بردا وسلاما فلم يؤمنوا به . **وقد القى موسى** بعصاه امام السحرة فى مصر فاذا هي تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، وانجى الله موسى ومن معه اجمعين ، ثم اغرق الآخرين ، واذا ببني اسرائيل انفسهم لم يلبثوا ان عبدوا فى غيابه العجل وهم ظالمون . وكذلك جاء عيسى فخلق من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله وابرأ الاكمه والابرص ، واحيا الموتى باذن الله ، فلم يزد خراف بني اسرائيل الضالة كما سماهم السيد المسيح الا ضلالا ، فحكموا عليه بالصلب ، وسلموه لحاكم القدس الروماني لينفذ الحكم ، متهمين السيد المسيح بأنه جاء يثير بني اسرائيل على الرومان ، ويدعوهم للخروج عليهم .

اما محمد رسول الله (ص) فلم يات بشيء من هذه المعجزات بالذات ، بل لم يكن هذا النوع من المعجزات المغلقة على العقل هو الاساس فى دعوته ، ومع ذلك لم يلبث عرب الجزيرة ان اجتمعوا عليه فى حياته ، ثم لم يلبث العالم من حولهم ان اجتمع على اصحابه من بعد وفاته .

فما هو السر فى ذلك الذي حير الالباب ؟

وما هو ذلك العجب العجاب ؟

**السر فى ذلك انه دعوة الى الحياة على اسس جديدة تكفل الحياة فى امن وسلام بعد ان تعب المفكرون فى البحث عن هذه الاسس .**

والجواب على ذلك : لا سر يحير الالباب ، ولا عجب فيه عجاب ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : « يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » لقد كان الاسلام دعوة عامة الى الحياة على اسس جديدة **تكفل هذه الحياة فى امن وسلام** ، بعد ان تعب العالم فيها فى ظل الحضارات القديمة ، كما تعب فيها اليوم ايضا فى ظل الحضارات الجديدة ، فطغى القوي على الضعيف ، وتنكر الانسان لاخيه الانسان ، واصبحت حياة كل من الافراد والجماعات عرضة فى كل يوم الى طغيان احدهما على الآخر ، والى هزات : تارة كانت تقضي على حياة الفرد ، وتارة كانت تقضي على نظام الجماعة ، واصبحت حياة الفرد بصورة خاصة عرضة : تارة الى طغيان القيادة الفردية واستغلالها ، وتارة الى فوضى الجماعة فى نظامها ، وفى كلا الحالين اصبحت حياة الفرد والمجتمع فى جحيم مقيم .

ولذلك اخذت العقول المفكرة منذ القديم قبل الاسلام تتسابق فى البحث فى كل امة وفى كل زمان — عن المبادىء التي يجب ان تسود ، وعن الانظمة التي يجب ان تبتكر لاقامة حياة سعيدة وامينة ، وبعيدة كل البعد عن جحيم الطغيان ، وفوضى النظام ، وغير مفرقة فى الحق فى الحياة بين انسان وانسان .

وقد اتبع المفكرون سبلا مختلفة للوصول الى سعادة الانسان ، فتفرقت بهم السبل ، ولم يهتدوا الى سبيل سوية جامعة ، بل عالجوا على الدوام ناحية فقط من نواحي الحياة غير شمول لسائر النواحي ، وكثيرا ما ضل الباحثون عن الطريق حتى فى تلك الناحية غير الشاملة ، فلم تشف المعالجة فى المجتمع من اسقام ، الى ان صاح فيهم الاسلام : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

فما هي تلك السبل التي ضلت فيها الانسانية ففرقت بين ابنائها ؟

وما هو ذلك الصراط المستقيم الذي دعا اليه الاسلام ليجمع شمل الجميع ؟؟

هذا هو ما نريد ان نتحدث فيه هذه المرة ، سائلين الله ، العون والسداد .

**مجمل المبادىء القديمةوالحديثةلمعالجة مساوىء الحياة ؟**

منذ القديم ظهرت فكرة العودة الى مبادىء الطبيعة لدى الصين واليونان والرومانلمعالجة مساوىء الحضارة حينذاك ، وما قد انبعثت عنها من طغيان القادة احيانا ، او فوضى الجماعة فى الحياة احيانا اخرى ، وكانت الدعوة الى العودة لمبادىء الطبيعة والحياة الطبيعية انما هي لصيانة حياة الفرد والجماعة فى آن واحد .

ومنذ القديم بشر الفلاسفة والمفكرون بفكرة الديمقراطية والدعوة اليها فى كل من اليونان والرومان لمعالجة طغيان الطبقات او طغيان الحاكمين .

وفى عصورنا الحديثة ظهرت ايضا مبادىء وانظمة جديدة ، وكلها ردة على وضع سيء ، وقد حاول اصحاب كل مبدأ ونظام ان يعالجوا ، بما ابتكروه من مبادىء وبما دعوا اليه من نظام ، ما هم فيه من وضع غير انساني ، طلبا لوضع سليم مثالي .

وهكذا طفت مبادىء الحرية والعدالة والمساواة منذ الثورة الفرنسية الكبرى فى اواخر القرن الثامن عشر ، وكان من آثارها ان قضت نهائيا على نظام الاقطاع فى اوروبة ، واخذت الانظمة الجديدة تتكون حول تلك المبادىء تحت شعارات مختلفة كان ابرزها الديموقراطية والاشتراكية .

وتنوعت ما بين هذه المبادىء معاني الاشتراكية خاصة ، حتى اصبح لدينا معان فى الاشتراكية بقدر ما هنالك من طلاب للاشتراكية .

— فهناك الاشتراكية الشيوعية .

— وهناك الاشتراكية الالمانية الوطنية فى ظل النازية ، وكانت كما تعلمون حربا مسعورة على الاشتراكية الشيوعية .

— وهناك الاشتراكية الديموقراطية لدى العمال فى انكلترا .

— وهناك الاشتراكية التيتوية .

ولا ندري ماذا يجد ويحدث فى الغد .

وكل ذلك فى سبيل معالجة سلطان الفرد على حياة الجماعة، او فى سبيل معالجة طغيان الجماعات على حياة الافراد ، وفى سبيل اقامة حياة افضل ، وجيل اسعد ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وفى حرب مع الآخرين لا يسالمون ولا يهادنون .

### ظهر الاسلام وحياة الفرد العالمية فى اشد المعارك اصطراعا بين المبادىء :

وحينما ظهر الاسلام منذ أربعة عشر قرنا فى مطالع القرون الوسطى كانت حياة الفرد فى اشد المعارك اصطراعا ما بين القديم والجديد من المبادىء ، وما بين القديم والحديث من النظم ، فى سبيل الوصول الى حياة افضل واهنا واهدا .

فماذا كان موقف الاسلام من هذه المبادىء والنظم المتصارعة فى سبيل الحياة ؟

وما هو موقف الاسلام من هذه المبادىء والنظم الجديدة اليوم ؟

بل ربما كان الاصح أن نتساءل : ما هو موقف الاسلام من الحياة نفسها ؟ وكيف عمل على صيانتها ؟ وكيف حل مشكلاتها التي اشرنا اليها ؟ وما هي قواعده الاساسية الدستورية فى نواحي الحياة كلها ؟ ان الاجابة على ذلك هي التي تفضح السر ، وتزيل الغموض .

### ضرورة استعراض هذه المبادىء المتصارعة :

ولابد لنا قبل ذلك من ان نستعرض بسرعة تلك المبادىء المتصارعة لنعرف مكانها من حاجات الحياة كلها ، ولنعرف الصفة البارزة فيها لمعالجة مساوىء النظام السائد ، ولنعرف فيما اذا كان كل من هذه المبادىء على انفراد قد استجاب الى جميع حاجيات الحياة وندائها ، ام انه تغلب عليه الاهتمام بحاجة واحدة منها دون الاكتراث بغيرها ، ثم ماذا كان موقف الاسلام منها جميعا ؟ .

### مبادىء الحياة الطبيعية والقانون الاخلاقي لدى الصينيين لمعالجة مساوىء الحياة :

ولعل العقائد الدوية فى الصين حول الرجوع الى الطبيعة والاحتكام اليها كانت اول من اراد ان يعالج مساوىء الحياة عن طريقته الطبيعية .

والدوية نسبة الى لفظة (الدو) ومعناها (الطريقة) ويراد منها (طريقة الطبيعة) او (الطريقة الدوية للحياة الحكيمة) .

وترجع هذه الطريقة الى كتاب ( الدو — ده — جنج ) أي ( كتاب الطريقة والفضيلة ) لواضعه فيما يقال الفيلسوف ( لو — دزه ) (604\517 ق.م) .

ويقول (لو — دزه) مؤسس مذهب الدوية ، بل اله الدويين الذين عبدوه فيما بعد :

— ( ان الطبيعة قد جعلت حياة الناس فى الايام الخالية بسيطة آمنة ، فكان العالم كله هنيئا سعيدا .

— ( ثم حصل الناس المعرفة فعقدوا الحياة بالمخترعات ، وخسروا كل طهارتهم الذهنية والخلقية، وانتقلوا من الحقول الى المدن ، وشرعوا يؤلفون الكتب فنشأ من ذلك ما اصاب الناس من شقاء ، وجرت من اجل ذلك دموع الفلاسفة .

— ( فالعاقل اذن من يبتعد عن هذا التعقيد الحضري ، وهذا التيه المفسد : تيه القوانين والحضارة، ويختفي بين احضان الطبيعة .

— ( وسر الحكمة كلها هو الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة ، ونبذ جميع اساليب الخداع وافانين العقل ،

وقبول اوامر الطبيعة الصادرة من الغرائز ، والجري على سنن الطبيعة الصامتة وتقليدها في تواضع ) .

ويرى الدويون :

ـ ان التفكير امر عارض سطحي لا خير فيه الا للجدل والمحاجة ، يضر الحياة اكثر مما ينفعها .

ـ وان العلم ليس فضيلة ، بل ان السفلة قد زاد عددهم من يوم انتشر العلم .

ـ وان شر انواع الحكومات التي يمكن تصورها هي حكومة الفلاسفة .

ـ وان صاحب الفكر خطر على الدولة ، لانه لا يفكر الا في الانظمة والقوانين .

ـ وان كثرة النواهي والمحرمات في المملكة تزيد من فقر الاهلين .

ـ وانه كلما كثرت الشرائع والقوانين كثر عدد اللصوص وقطاع الطرق .

ولا نرى في هذه العقائد الدوية المنادية بالعودة الى الطبيعة وحياتها ، والمنفرة من القوانين واحكامها ، الا ردة على ظلم القوانين التي كان يصدرها الطغاة النافذون ، وكان من جملتها ما اصدرته ولايتا (جنج) و (تشين) في عامي 535ـ512 ق.م. من قوانين ملأت قلوب الفلاحين رعبا ، بما تميزت به من اقرار نظام الطبقات كما كان الامر في شريعة مانو الهندية ، وبمحاباة الطبقات العليا ، فقد اعفتها من كثير من الواجبات المفروضة على غيرها من الطبقات العامة الاخرى .

ولقد احتج عامة الشعب على هذه التفرقة ، وتمنوا ان يقوم بينهم وطني مخلص يحررهم من ظلم القوانين .

وهكذا عمدت العقائد الدوية في الصين الى الدعوة للعمل باحكام الطبيعة وذلك لتعالج بها مساوىء النظام السائد ، والمحاباة بين الطبقات ، وطغيان الحاكمين ، وتحرير العامة من ظلم القوانين .

واقامت من عقائدها حول مفاهيم الطبيعة والاحتكام اليها حربا في آن واحد على العقل وعلى العلم، حتى اصطبغت حكمتها بصبغة جامدة متزمتة ، ووقف في طريق الدوافع الطبيعية نفسها ، تلك الدوافع الطبيعية القوية المحركة للجنس البشري .

واعان ما في حكمتها من كمال بارد على تجميد الامة الصينية ، وجعلها امة محافظة لا يضارع عداءها للرقي الا حبها للسلام ، مثلها في ذلك مثل الفلسفة الكونفوشية الصينية التي اقامت حربا ايضا على القوانين لما كان فيها من ظلم ، ودعت الى مقاومتها ، ولكن تحت ستار الدعوة الى القانون الاخلاقي عوضا عن دعوة الدويين الى احكام القانون الطبيعي .

ويقول بعض حكماء الدويين في التعبير عن حكمتهم التي اصبغت بتلك الصبغة الجامدة المتزمتة : لن افعل شيئا فيتبدل الناس من تلقاء انفسهم ، وسأولع بان ابقى ساكنا فينصلح الناس من تلقاء انفسهم .. وسيرون ان طعامهم الخشن وملابسهم البسيطة جميلة ، ومساكنهم الحقيرة امكنة للراحة ، واساليبهم المألوفة مصادر للذة والمتعة .

**نظام الطبقات لدى الهنود في ظل شريعة مانو :**

ولم يكن النظام السائد في الهند الى جانب الصين باحسن حالا تحت شريعة (مانو) التي كانت متحكمة في الهند في نفس الوقت .

و(مانو) هذا يطلق عند الهنود على كل من الملوك المؤلهين السبعة الذين حكموا العالم ، كما يطلق (فرعون) عند المصريين على ملوك مصر القدماء ، والى اول هؤلاء الملوك المؤلهين او حيث شريعة (مانو) من لدن الاله (براهما) نفسه .

ولقد اشادت هذه الشريعة مرة بعد اخرى بنظام الطبقات ، واشادت بطبقة البراهمة في فضائلها وحقوقها ونفوذها ، وما نزال نرى وثائق منذ القرن الثاني بعد الميلاد بمنح عظيمة ـ خصوصا اقطاعيات الارض ـ توهب لطبقة البراهمة ، وكان شانها شان املاك البراهمة : كلها (معفاة) من الضرائب ، لان تشريع (مانو) يحذر الملك من فرض ضريبة على برهمي، ولو نضبت كل موارد المال الاخرى . وينص تشريع (مانو) على ان يكون من حق البرهمي سيادته على سائر الكائنات ، بل يذهب مانو في ذلك ويقرر ان ( كل ما كان في الوجود ملك للبراهمة ) .

وكلمة اخيرة عن شريعة مانو : انها ابرزت نظام الطبقات والتمايز فيها بالحقوق ، ولا نزال نلمس اثرها حتى اليوم في القسوة على المنبوذين وهي من الطبقة الدنيا ، ولقد حاول الزعيم غاندي في عصرنا انقاذ هذه الطبقة مما وضعت فيه ، فكانت محاولته هذه من جملة العوامل التي ادت الى اغتياله من قبل بعض الفرق الهندية المتشددة في عقائدها .

ـ يتبع ـ




- 16 -

قـــال الاستاذ كريسي مورسن رئيس المجمع العلمي الامريكي سابقا فى ابتداء الفصل : لقد الفت كتبا فى فيزيولوجية الهضم ، اي علم خـــواص اعضاء الهضم ولكن كل عام يمر علينا يجيء باكتشافات جديدة مدهشة تجعل هذا الموضوع جديـــدا على الدوام . واذا فكرنا فى الهضم من حيث هو عمل فى معمل كيماوي ، وفكرنا فى الطعام الذي تتغذى بــه على انه مواد اولية يتكشف لنا ان ذلك عمل عجيب لانه يهضم كل شيء يؤكل ما عدا المعدة نفسها . اولا نحن نضع فى هذا المعمل انواعا مختلفة من الاغذية على انها مادة اوليـة دون أن نحسب اي حســاب لذلك المعمل ولا ان نفكر كيف يعالج هضمها بطريقة كيميائية بديعة . فنحن ناكل قطع اللحم والكرنب والحبـــوب والسمك المقلي وندفعها الى اسفل بأي قدر من المـاء ونضيف اليها الخمر والخبز والفول . وقد نضم الى ذلك كبريتا وعسلا اسود ، دواء تاخذه فى زمـــان الربيع . ومن بين هذا الخليط تختار المعدة الاشياء المفيدة بتحليل كـل صنف الى اجزائـه الكيميائيـة الدقيقة دون اعتبار للفضلات ، ثم تركب الباقـــي فتجعله ( بروتينات ) جديدة ، و (البروتين) مـــادة غذائية اولية توجد فى البيض والبن والجبن ، وتتألف من الكربون والادرجيـن والاكسجيـن والنترجيـن وبعض الكبريت ) وهذه المـادة تصير غـذاء للخلايـا المختلفة . وتختار اداة الهضم الجير والكبريت واليود والحديد وكل مادة اخرى ضرورية ، وتعتني بعـــدم ضيـاع الاجـزاء الجوهريـة حتى يمكـن استخراج الهرمونات بان تكون جميع الضـرورات اللازمة للحياة موجودة بمقادير منتظمة معدة لمواجهـة كل احتياج . وهي تخزن الدهن والمواد الاحتياطية لتلافي كل حالة طارئة كالجوع القاتل ، تفعل ذلك كله دون ان يشاركها الانسـان بتفكير او راي . ونحن نصب هذه المـــواد المختلفة التي لاتحصى فى هذا المعمل الكيميائي بقطـع النظر تقريبا عما نأكله ونشربه ، معتمدين على مانعتبره عملا سائرا من تلقاء نفسه ليحفظ علينا الحياة . واذا تحللت هذه الاطعمة وجهزت من جديد تسلم باستمرار الى كل خلية من الخـلايا التي يتالـف منهـا الجسم البشري وتعد بالبلاييـن وعددهـا فى جسم الانسان اكثر من عدد جميع البشر الذين يعيشون على وجـه الارض . ويجب أن يكون تقديم هذا الغذاء الى كـل خلية على حدتها باستمرار ، ولا يجوز ان يقـدم لاي خلية من المواد الغذائية الا ما تحتاج اليه بخصوصهـا ليتحول ذلك الغذاء الى عظام واظفار ولحم وشعـر ، وكذلك العيون والاسنان كل خلية منها تتلقى غـذاء خاصا . فهذا معمل كيميائي ينتج من المواد اكثر مما ينتجه اي معمل اوجده الانسان بذكائه . وهنا نظـام للتوزيع اعظم من اي نظام عرفـه العالـم للنقـل او التوزيع ، يسير هذا النظام فى غاية الدقة والكمال . ومن الطفولة الى ان يبلغ سن الانسان خمسين سنـة مثلا لايصدر من هذا المعمل اي خطأ لـه بـال مع ان المواد التي يعالجها يمكن ان تكون اكثر من مليون نوع من ذرات المادة ، واذا صارت قنوات التوزيع متكاسلة من طول الاستعمال نحس بضعف فى قابلياتنا ثم تاتي الشيخوخـة على اثـره .

وحين تأخذ كل خلية حصتها من الغذاء المذكور فانه لايزال غذاء مجردا . ثم يصير عمل كل خليـة منحصرا فى الاحراق ومن ذلك تنشأ حرارة الجسـم كله . وانت لاتستطيع ان تحدث احراقا بدون ايقاد . فلا بد ان توقد النار اولا ، وكذلك الطبيعة باذن الله تهيىء تركيبا كيميائيا يوقـد نـارا مضبوطة لاجـل

الاوكسجين والهيدروجين والكربون ، فى الغذاء فى كل خلية وبذلك ينتج الدفء اللازم كما يكون فى كل نار ، والنتيجة هي بخار الماء ، وثاني أوكسيد الكربون ، والدم يحمل ثاني أوكسيد الكربون الى الرئتين وهذا الشيء هو الذي يجعلك تستنشق بتنفسك نسيم الحياة . والشخص الواحد ينتج تقريبا فى كل يوم رطلين ( زهاء كلو غرام ) من ثاني أوكسيد الكربون ولكنه يتخلص منه بعمل عجيب . كل حيوان يهضم الطعام ويلزمه ان يحصل على المواد الكيميائية اللازمة لحياته الخاصة . حتى فى التفاصيل الدقيقة تختلف المحتويات الكيمائية فى الدم ، تختلف فى كل نوع مثلا . ولاجل ذلك يوجد عمل تشكيلي خاص لكل نوع . ففي حالة العدوى يغزو الجسم جيش من الجراثيم المعادية ولكن الجسم فيه ايضا جيش من الذرات المدافعة تنازل ذلك العدو المغير فتقاتله وتنتصر عليه فى أكثر الاحيان فيسلم الجسم من الموت . ومثل هذه المعجزات المجتمعة لايمكن ان توجد باي حال من الاحوال الا مع وجود الحياة . وكل ذلك يقع فى نظام كامل ، والنظام هو ضد المصادفة على خط مستقيم . فهل يدل ذلك على مدبر عليم حكيم ؟ ان كان الامر كذلك فهو ناشيء عن الحياة . وما هي الحياة .

### تعليقـــــات

1) قوله ــ ولكن كل عام يمر علينا بجيء باكتشافات جديدة الخ . هذا شأن عقيدة الحق لايزيدها مرور الزمان الا اتضاحا ورسوخا وثباتا ولا يزداد اهلها الا تمسكا بها وارتباطا . قال تعالى فى سورة فصلت : ( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ) فكل من قرأ هذا الفصل وفهمه وامعن فى التفكر يرى حجة الله قائمة عليه فى نفسه كما قال تعالى : ( وفى انفسكم أفلا تبصرون ) فمن كابر بعد قراءة هذا الفصل وما تقدمه فى وجود الله واحاطة تدبيره وعلمه وقدرته ، فانه لايحترم نفسه ، الا ان يكون امعة غمرا عطل فكره وقلد غيره تقليد الاعمى لقائده ، فمثل هذا لا كلام معه انما هو كالانعام ، بل اضل سبيلا .

2) قوله ــ مواد اولية . اي بسيطة لم تدخلها الصنعة والتركيب

3) قوله ــ ما عدا المعدة نفسها الخ . ذكرني قول طبيب الامراض الباطنية فى معهد طبي تابع لجامعة ( بون ) عاصمة المانيا الاتحادية فى الوقت الحاضر . فقد اصابني التهاب فى المعدة بسبب تبدل الجو والغذاء وشدة البرد فى شتاء سنة 1937 فقال لي ذلك الطبيب وهو يشرح اسباب الالتهاب ان فى المعدة سائلا هو الذي يهضم الطعام . السائل يكون بمقدار محدود فان نقص ساء الهضم . وان زاد احرق الطعام بسرعة فلا تستخرج منه المواد التي تعوض الجسم ما يفقده بالقدر الذي يحتاج اليه فتفرغ المعدة بسرعة غير معتادة فلا يجد ذلك السائل ما يهضم فيشرع فى هضم المعدة نفسها فيحس المصاب بالالم والجوع فياكل . ثم يهضم ما اكل بسرعة كما تقدم . ولذلك يحتاج المريض الى ان ياكل فى كل ساعتين سدس مايتغذى به فى اليوم . واذا اشتد به المرض يحتاج الى ان ياكل فى كل ساعة من ساعات النهار . واذا لم يعالج هذا الالتهاب علاجا ناجعا تنشأ عنه قرحة المعدة أو قرحة المصير الاثنى عشري وهي خطيرة . ولم استطع ملازمة الحمية بالدقة التي يتطلبها المرض ، كذلك لم استطع الاكل فى كل ساعتين لاني أظل طول النهار فى الجامعة فاصبت بقرحة الاثنى عشري وبقيت اقاسي الآلام والهزال والحرمان من الاغذية القوية كاللحم ماعدا الدجاج والخبزالطري والتمر والحوامض والموالح والتوابل اكثر من عشرين‌سنة . ولم ينصحني الاطباء الالمانيون باجراء عمل جراحي ولكن طبيبا اسبانيا فى مدريد نصح لي بذلك . وكذلك نصح لي طبيب ايطالي فلم اقبل نصيحتهما . ودخلت المستشفى فى المانيا مرتين فلم اخرج منه بطائل . ولما اراد الله الشفاء زرت الدكتور بن زاكين فى الدار البيضاء لعلاج مرض آخر فلما اراد ان يكتب لي الدواء اخبرته بان عندي قرحة الاثنى عشري مخافة ان يكتب دواء يزيد فى المها فكتب لي دواء للقرحة ايضا فاستعملته فشفيت من ذلك الداء العضال . وبعثت به الى مريض فى المانيا الشرقية فشفي بعد ما اقام فى المستشفى ببرلين شهرا كاملا بلا طائل وخرج بورقة الحمية المحتوية على قائمة الاطعمة الممنوعة كما خرجت بها انا قبله والحمد لله الذي لم ينزل‌داء الا انزل له دواء كما فى الحديث . وانما اثبت هذه القصة هنا على طولها رجاء ان ينفع الله بها بعض القراء . ومن شاء معرفة هذا الدواء فاني مستعد ان انشر اسمه فى صفحات هذه المجلة .

4) قوله ــ كبريتا او عسلا اسود ، دواء تاخذه فى زمن الربيع . هكذا جاء فى الكتاب . وانا لا ادري

هل يعني المصنف دواء مرض بعينه ام يقصد دواء عاما ينفع جميع الناس .

5) قوله — البليون بكسر الباء فى امريكا الف مليون . وفى بريطانيا مليون مليون . ولما كان المؤلف امريكيا يحمل كلامه على الاصطلاح الامريكي . اقول ويذكرنا هذا المعنى بقول الشاعر :

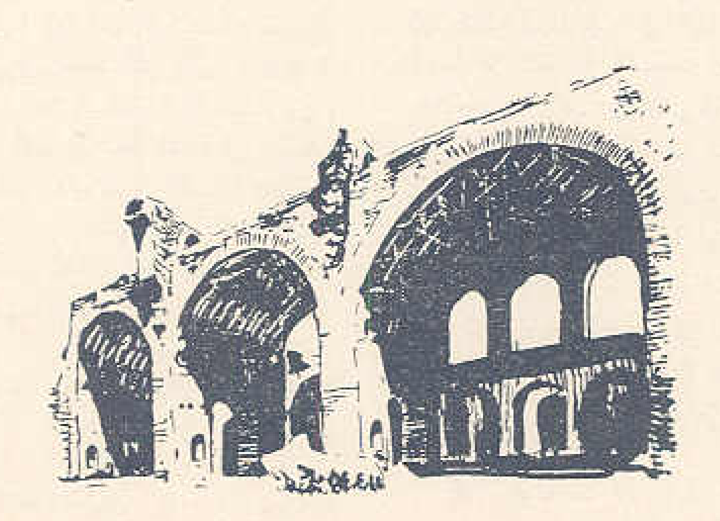
لئن كان جسمك جسما لطيفا
ففيك انطوى العالم الاكبر

6) قوله — واذا صارت قنوات التوزيع متكاسلة من طول الاستعمال . يريد المصنف ان ذلك التكاسل يكون بعد الخمسين فيشعر الانسان بالضعف شعورا بينا وبعد ذلك يجيء الهرم ، وما بعد الهرم الا الفناء ( كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون )

7) قوله — ففي حالة العدوى الخ . اكثر الناس او كلهم يظنون ان المكروبات لم تكتشف فى زمان العرب ، وانما اكتشفت على يد اطباء أوربيين فى العصور المتاخرة . وهذا خطا كبير ، سببه تاخر المسلمين والعرب واهمالهم لتراث اسلافهم . فقد الف لسان الدين ابن الخطيب السلماني رسالة سماها ( مقنعة السائل عن المرض الهائل ) وصف فيها الطاعون الذي حدث فى اواسط القرن الثامن الهجري بدا فى الصين واكتسح اسيا وافريقيا وجزءا كبيرا من اوربا ، قال : ومات بسببه سبعة اعشار سكان الارض . وفى هذه الرسالة وصف ابن الخطيب المعركة التي تقع بين جراثيم المرض المغيرة على الجسم وبين جيش الذرات الساهرة على حراسة الجسم . وهذه الرسالة موجودة فى مكتبة اسكوريال باسبانيا . وقد اخذت صورة فوتوكرافية لهذه الرسالة ونشرت ملخصا منها فى الجزء الاول والثاني من مجلة لسان الدين التي انشاتها فى تطوان سنة 1946 . ولولا خوف الاطالة لنقلت هنا كلام ابن الخطيب بالفاظه .

8) قوله — والنظام هو ضد المصادفة على خط مستقيم . فهل يدل ذلك على مدبر عليم حكيم ؟ الجواب نعم واهم دلالة لاتبقي ادنى ريب فى نفس المنصف المفكر السالم من التقليد والتبعية فمن ترك عقله جانبا وزعم ان ذلك كله وقع على سبيل المصادفة ، فهو اما بليد الطبع او مكابر .

---



# السّجونّ

## بين التشريع الإسلامي والحديث

للاستاذ : محمد الطنجي

**نظام** السجون اصبح من التشريعات الاجتماعية فى مختلف الامم لان كثرة المنحرفين من بني الانسان تستدعي عناية خاصة بهذه المجموعة من بني البشر .

ولكل قوم تشريعهم ، ونحن معاشر المسلمين كان لاسلافنا نظر خاص فى هذه المشكلة الاجتماعية ينبغي لكل مسلم ان يلتفت اليه ليسلك فيها السبيل الاقوم .

فالسجن مذكور فى القرءان والاسلام كما هو معلوم دين عقيدة وقانون ودولة وخلافة ومع ذلك فرسول الاسلام (ص) انما كانت همته فى تبليغ الشريعة وتربية الامة تربية دينية تربي فى نفوس المسلمين الوازع الديني الذي يزعهم ويمنعهم من ارتكاب الجرائم واخذ حقوق الناس او اكل اموالهم بالباطل فبنى المساجد وحض على بنائها لعبادة الله وتعليم المومنين ووعظهم فيها ، ولم يتخذ اي سجن مدة حياته ، وكذلك خليفته ابو بكر الصديق الى ان كانت خلافة عمر وكثرت الفتوح الاسلامية وانتشرت الرعية فحينئذ اشترى عمر دارا بالمدينة واتخذها سجنا ، وكان يقصد بالحبس الشرعي توقيف الشخص ومنعه من التصرف بنفسه باية وسيلة ، قال الحافظ ابن القيم فى كتابه « الطرق الحكمية » : الحبس الشرعي ليس هو الحبس فى مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان فى بيت او مسجد او كان بتوكل الخصم او وكيله عليه وملازمته له ولهذا سماه النبي اسيرا كما روى ابو داود وابن ماجة عن الهرماس بن حبيب عن ابيه قال اتيت النبي (ص) بغريم لي فقال لي الزمه ثم قال يا اخا بني تميم ما تريد ان تفعل باسيرك وفى رواية ابن ماجة ثم مر بي فى آخر النهار فقال ما فعل اسيرك يا اخا بني تميم ، ثم قال ابن القيم وهذا كان هو الحبس على عهد رسول الله (ص) وابي بكر رضي الله عنه ، ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم ، ولكن لما انتشرت الرعية فى زمن عمر بن الخطاب ابتاع بمكة دارا وجعلها سجنا يحبس فيها ، ولهذا تنازع العلماء من اصحاب احمد وغيرهم هل يتخذ الامام حبسا على قولين ، فمن قال لا يتخذ حبسا قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته بعده حبس ولكن يعوقه (اي الخصم) بمكان من الامكنة او يقام عليه حافظ وهو الذي يسمى الترسيم او يامر خصمه بملازمته كما فعل النبي (ص) ومن قال له (اي للامام) ان يتخذ حبسا قال قد اشترى عمر بن الخطاب من صفوان بن امية دارا باربعة الاف وجعلها حبسا ، انتهى كلامه .

ويظهر لمن تتبع مجاري الاحوال ان عدم اتخاذ الرسول وخليفته ابي بكر للحبس كان لقلة الحاجة الى ذلك لعدم المخالفين المستحقين للسجن ، لان وجود الرسول وهيبته فى قلوب المومنين كانت صارفة للقوم عن كثرة المخالفة وكذلك الحال فى زمن ابي بكر مع قلة مدة خلافته ، بخلاف الحال فى عهد عمر حيث كثرت الفتوح وارسيت قواعد الخلافة الاسلامية فى كثير من الاقطار ، فقد كانت عادة الصحابة ان لا يتشاوروا فى الاحكام الا للحوادث الجارية وكذلك يقال هنا لم يتخذ عمر السجن الا للحاجة اليه ، وهكذا استمرت الحاجة من بعده ، وشرعت للسجون التشريعات ، ومن ذلك رسالة عمر بن عبد العزيز التي تعتبر عمدة فى هذا الموضوع فقد روى ابو يوسف فى كتاب الخراج الذي وضعه لهرون الرشيد ، عن جعفر بن برقان قال كتب الينا عمر بن عبد العزيز لا تدعن فى سجونكم احدا من

المسلمين فى وثاق لا يستطيع ان يصلي قائما ولا يبيتن فى قيد الا رجل مطلوب بدم (أي ارتكب جريمة قتل) واجر عليهم من الصدقة ما يصلحهم فى طعامهم وادامهم والسلام فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وصير ذلك دراهم تجري عليهم فى كل شهر يدفع ذلك اليهم فانك ان اجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة ، وول ذلك رجلا من اهل الخير والصلاح يثبت اسماء من فى السجن ممن تجري عليهم الصدقة وتكون الاسماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر ويدعو باسم رجل رجل ويدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم قد اطلق وخلى سبيله رد ما يجري عليه ، ويكون للاجراء عشرة دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى ان يجرى عليه ، وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء ، وفى الصيف قميص وازار ، ويجري على النساء مثل ذلك : وكسوتهم فى الشتاء قميص ومقنعة ( وهي ما تغطي به المراة راسها ) وكساء وفى الصيف قميص وازار ومقنعة، انتهى المراد ، وقد نصت رسالة عمر هذه على ان النفقة على المسجونين تكون من الصدقة اي الزكاة الا ان ابا يوسف جعل الانفاق على المسجونين من الصدقة او من بيت المال اي خزينة الدولة العامة متساويا ومخيرا فيه على حسب اجتهاد الامام ، وقد نقل « جرجي زيدان » فى كتابه تاريخ التمدن الاسلامي لائحة تتضمن ما ينفقه بيت المال فى بغداد فى السنين الاولى من خلافة المعتضد العباسي 279هـ من جملتها تخصيص خمسين دينارا فى اليوم الواحد لنفقات المسجون وثمن اقوات المحبوسين هذا بعض ما يتعلق بحالة المسجونين المادية ، اما من ناحية بواعث المخالفات واثر الزواجر عنها وهي التي يهم حديث الوعظ الديني فللاسلام نظر خاص فيها حيث يرى ان قلة الجرائم منوطة باعتماده حتى تستريح الامة من ويلات كثرة المخالفين للقوانين وتستريح خزينة الدولة من النفقات الباهظة التي تثقل كاهلها حسبما ياتي عن الامام ابي يوسف .

ولابد من التذكير هنا بان قواعد التشريع الاسلامي التي عمل بها الخلفاء الراشدون ومنهم عمر بن عبد العزيز فى عنفوان الخلافة الاسلامية ، ثم من بعدهم هي مستقاة من صميم العدل الذي امر به القرءان ، ومن الاحاديث الثابتة عن رسول الله (ص) نجد مثلا ان الرسول قال : دخلت امراة النار فى هرة ى قطة حبستها فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها لو تركتها تاكل من خشاش الارض ، اي حشراتها ، فيفهم من الحديث ان من حبس بني آدم الذين كرمهم الله وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، وسجنهم ومنعهم مما تستلزمه حياتهم من طعام ، وشراب ومسكن صالح لابد ان يعاقبه الله على ظلمه وجوره كما عاقب حابسة الهرة بل هو احق بالعقاب .

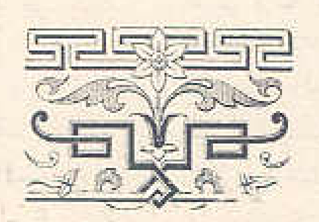
هذا اذا كانوا مستحقين للسجن والحبس ، اما اذا لم يكونوا مستحقين لذلك ، فيكونون مظلومين ظلم الحبس بغير حق . وظلم المنع وعدم تقديم ما يلزمهم من الطعام والشراب والكسوة وايوائهم فى مكان صحي صالح .. ويمكن ان تلك التشريعات الاسلامية المتعلقة بالسجون خولفت فى بعض العهود الاسلامية من بعض الظالمين ، ولكن قواعدها لا يمكن ان ينكرها مسلم ، وهي سابقة على التفات اوربا لاصلاح السجون ومعاملة اهلها بمدة طويلة تزيد على عشرة قرون .

فمن المعلوم ان اول من وهب حياته وماله للسعي فى اصلاح السجون باوربا هو « جون هاورد » الانجليزي المتوفى فى اواخر القرن الثامن عشر بعد ان اسره قرصان الفرنساويين مع رفاقه وعذبوهم وحرموهم من الخبز والماء مدة 48 ساعة ، وسجنوهم فى احدى المدن وبقوا بها جائعين الى ان القي لهم ذات يوم قطعة من اللحم النيء فتكالبوا عليها نهشا كجياع الذئاب ، فقد كانت فى انكلترا نفسها النساء توضع مع الرجال فى قبو واحد ، ولم تكن لبعض الغرف منافذ للهواء والضوء حتى كانت الحمى تجرف من جموعهم العشرات بعد العشرات وكانت رواتب السجانين والحراس تستوفى من المتهمين والابرياء حتى ان من كان بريئا يرد الى السجن حتى يؤدي واجب السجان ، فبعد ان سعى سنوات فى اصلاح سجون انجلترا ساح باحثا متنقلا ، قطع فى رحلاته 42 الف ميل فى مختلف انحاء اوربا ونشر مجلدا ضخما عن احوال السجون، وقد كتب من موسكو انه مات فى المستشفيات العسكرية من جراء القسوة والظلم ما لا يقل عن 70 الف جندي فى سنة واحدة ، وقد قر عينا فى آخر حياته بمشاهدة نتائج مساعيه الحميدة ، ولا باس هنا بالاشارة الى ءاثار نظرية القصاص فى تخفيف الجرائم ، فان كثيرا من الناس صاروا يرون ان السجون يجب ان تتوفر فيها وسائل الراحة والتسلية وتصبح مدارس علمية ، ومصانع لمختلف الاشغال والانتاج ، ونحن نقول انها بذلك لم تبق زواجر تمنع المنحرفين من ارتكاب الجرائم، ولذلك كثر رواد السجون حتى عدوا بعشرات الالاف فى بعض الامم ، واصيبت ميزانية الدولة بسبب كثرة نفقاتهم

بنزيف كاد يفقدها الروح . ويمكن ان اخبر هنا بنتائج اختباراتي الخاصة ، فقد نفت ادارة الحماية الاسبانية افرادا من اللجنة التنفيذية « لحزب الاصلاح » بشمال المغرب الى السجن الكبير بمدينة سبتة وكنت ضمنهم، ثم لما ردتنا الى تطوان حشرتنا في سجن واحد مع المجرمين ، وان اعطيت لنا بعض البيوت الخاصة هناك للنوم بها ، وقد اطيلت مدة حبسي زيادة على بقية الاخوان فكنت اسال المجرمين عن اعمالهم وكانت جماعة من الاحداث محترفة للسرقات ، وكان محل اقامتهم في السجن اشبه بمدرسة لتعلم انواع الجرائم ، وحيل السرقات ، وكانوا عارفين بانواع العقوبات يخبر بعضهم بعضا بها ، وبمدتها حسب انواع المسروقات وقيمتها والسوابق عليها ، ومن جملة ما اتذكر ان بعضهم كان لا يسرق من احياء المسلمين ، لانه متى قبض عليه هناك صار الى حوزة الباشا ، والباشا كان يضرب السراق ، فكان يسرق من احياء الاوربيين ويقول : انه متى قبضه البوليس اخذوه « للكومسيرية » اي مركز الحراس » فاقر بكل ما سرق حينا ، فلم يضرب ، وبهذا نعلم ان التساهل مع المجرمين الى حد كبير ليس في صالح المجتمع ، ولا في صالحهم ايضا ، فالحدود زاجرة ، وهذا هو نظر ائمة المسلمين المشبعين بروح الشريعة وقواعدها يقول ابو يوسف في كتاب « الخراج » مخاطبا « هرون الرشيد » ولو امرت باقامة الحدود لقل اهل الحبس ولخاف الفساق واهل الدعارة ، ولتناهوا عما هم عليه ، وانما يكثر اهل الحبس لقلة النظر في امرهم انما هو حبس ، وليس نظر ، فمر ولاتك جميعا بالنظر في امر اهل الحبوس في كل ايام فمن كان عليه ادب ادب واطلق ، ومن لم يكن له قضية خلي عنه ، وتقدم اليهم - اي الى عمالك - ان لا يسرفوا في الادب ، ولا يتجاوزوا بذلك الى ما لا يحل ولا يسع ، فانه بلغني انهم يضربون الرجل في التهمة ، وفي الجناية الثلاثمائة والمائتين ، واكثر واقل .. مما لا يحل ، ولا يسع ، ظهر المومن حمى الا من حق يجب بفجور او قذف او سكر ، او تعزير لأمر اتاه لا يجب فيه الحد ، وليس يضرب في شيء من ذلك كما بلغني ان ولاتك يضربون ، وان رسول الله (ص) نهى عن ضرب المصلين الى ان يقول : (ومعنى الحديث عندنا ، والله اعلم ، انه نهى عن ضربهم من غير ان يجب عليهم حد يستحقون به الضرب ، وهذا الذي بلغني ان ولاتك يفعلونه ليس من الحكم والحدود في شيء .

ثم روى بسنده عن النبي (ص) انه قال : ( حد يعمل به في الارض خير لاهل الارض من ان يمطروا ثلاثين صباحا ) .. ثم نقل عدم جواز الشفاعة في الحدود ، وانها تدرا بالشبهات ما امكن وان القاعدة العامة هي أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة .

وبعد : فهذه الاجراءات تعتبر نوعا من العلاج لاصلاح المجرمين ، وهناك نوع آخر يعتبر وقاية للناس من عاقات الجرائم والمخالفات والمماطلات ، ومن كل انواع الخصومات التي تشغل المحاكم ، وتملأ السجون . وهذه الوقاية هي التربية الدينية الاسلامية الخالصة . فالتربية وتقويم اخلاق الشخص تجعل سلوكه مستقيما فلا يعمل ما يستحق به العقوبة والسجن ولا يسعى في غصب اموال الناس وما شابه ذلك .. وعوضا عن اتخاذ الوعاظ للمجرمين بعد اجرامهم ودخول السجن ينبغي ان تتعاون مختلف الهيئات على ارشاد الناس وتربيتهم تربية دينية قرءانية يعم نفعها ويتأصل في النفوس خيرها ، وبذلك تتزكى الامة ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها والله ولي المتقين .



# الإسلام أمام المبشرين

للأستاذ : أبي العباس
احمد التيجاني

**سمعت** فى منهاج هدى القرءان مقالا للاخ السيد ادريس الكتاني اهاب فيه برجال العلم الى تلافي خطر التبشير واختار المحاضر موضوعا لحديثه فى الرد على المبشرين قوله تعالى : يا اهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له . فاقول من جهتي ان القرءان الذي يقول : « ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا » سلحنا فى هذا الموقف بحجة انصع وبرهان اقطع ، نعم ان القرءان سلحنا بحجة لو طرقت حتى المبشرين وفهموها حق الفهم لظلت اعناقهم لها خاضعين وليئسوا من ترويج بضاعتهم فى الديار الاسلامية فى طولها وعرضها كما يئس الكفار من اصحاب القبور ، هذه الحجة نجدها فى سورة المائدة فى قوله جل ذكره : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام » .

الله اكبر ـ الله اكبر يرحم الله الاعرابي الذي سئل : فيم تجد اشهى اللذات اليك فقال فى حجة تبختر وباطل يتعثر . الله اكبر ، ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام ، رفع مكانة المسيح اولا بادراجه فى سلك اقرب الناس اليه النبيئين ثم وصفه هو وامه باصدق الاوصاف فى الدلالة على البشرية .

للسائل ان يسأل لم اختير هذا الوصف من بين سائر الاوصاف البشرية لاثبات بشرية المسيح ، الجواب اختير هذا الوصف لانه ذاتي لا قوام للبنية الا به فان الانسان ربما استغنى عن اللباس فى بعض البقاع من الارض ولكنه لا غنى له عن الطعام بحال تحت كل سماء وفوق كل يابسة فتكون النتيجة الحتمية كيف يتصور فى حق من لا يستغني عن الطعام ان يكون ابنا لمن يطعم ولا يطعم لمن لا تاخذه سنة ولا نوم ، ان اكل الطعام تتبعه عملية الهضم وما الى ذلك ومن كان هذا وصفه وهذه حاله لم تبق بينه وبين من يطعم الا صلة العبودية : لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ، يلاحظ هنا على وجه الاستطراد ان قوله تعالى ولا الملائكة المقربون فيه الدلالة الظاهرة على ان الملائكة اعلى منزلة من الانبياء هذا هو الذي يعطيه بل يقضي به السياق وتحكم به الملكة العربية ، ارجع الان الى الموضوع فاقول : من العجب بل من اعجب العجب ان يوجد اناس مع هذه الحقيقة المتجسمة وهي اتصاف المسيح بما وصفه الله به تغيب عنهم عقولهم الى الحد الذي تجراوا فيه على نسبة البنوة والالوهية للمسيح وباتوا يعكفون على تماثيل لهم .

ليت شعري ما الذي يجول فى خاطر سيدنا عيسى عليه السلام عندما يرى ان وجوده اقترن به غضب الرب الى الحد الذي يقول فيه جل ذكره : لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ـ يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمان ولدا وما ينبغي للرحمان ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتي الرحمان عبدا ـ هلم الآن نتباحث مع القوم فيما نسبوه للمسيح ملتزمين لهم باننا نقتصر فى الاستدلال على ما كتبه علماؤهم .

جاء فى كتاب تاريخ الديانات العام لصاحبه بيار رهم المطبوع بباريز فى مطبعة ارستيدكيبي ما ترجمته بالحرف : كيف اختلفت عقيدة التثليث ؟ اول من قال ببنوة المسيح يهودي من مدينة طارس يقال له صويل ثم سمى نفسه فيما بعد بولس ومن خبر هذا اليهودي انه كان اعدى عدو للمسيحيين سعى فى الكيد لهم والتنكيل عند ولاة الدولة الرومانية ثم اظهر اعتناق الديانة المسيحية عام 36 للميلاد واخذ يجوب البلدان التابعة للامبراطورية الرومانية آسيا الصغرى والشام واليونان وايطاليا ، بنى مذهبه ودعايته على ان المسيح ابن الله ( وهي كلمة لم تصدر عن المسيح قط) وان الرب حل فى جسم المسيح ليفدي البشر مقابل آلام يقاسيها والصلب الذي استهدف اليه ، فكان من نتائج القول ببنوة المسيح ان وقعت المسيحية في ارتباك لا تزال تتعثر فيه الى الآن منشأ هذا الارتباك عدم وصول الكهنوت الى الاتفاق على نص عقيدة تتفق مع القول ببنوة المسيح يشهد لهذا ان الاحبار والاساقفة عقدوا ما لا يقل عن اربعة عشر مجلسا غالبها فى محاولة ايجاد صيغة للعقيدة تدرا عن المسيحية ما تستهدف اليه من الاعتراضات والخلافات خصوصا من طرف رجال العلم والتفكير امثال ديدرو وفولتير وليون دوني وغيرهم ، والى القراء تواريخ المجالس التي عقدت ومعظمها كان لتلك الغاية : المجلس الاول انعقد فى مدينة نيقة سنة 325 ، ثم تلاه مجلس القسطنطينية سنة 381، ثم تتابعت مجالس على اعقاب سنوات : 431 - 451 - 889 - 1128 - 1139 - 1179 - 1215 - 1245 - 1274 - 1391 - 1414 - 1512 - 1545 - 1563 - 1870، نقلا عن كتاب تاريخ الديانات العام ، وبعد اجهاد القرائح قرر رجال الكهنوت العقيدة المنشودة على الوجه الاتي : نعبد واحدا فى ثلاثة وثلاثة فى واحد من غير جمع بين الاقانيم ولا تفرقة بينها لا نقول ثلاثة ازليون ولكن ازلي واحد ولا نقول ثلاثة قادرون بل قادر واحد على ان الاب فى حد ذاته اله والابن فى حد ذاته اله وروح القدس اله ، لكن لا نقول لنا الهة ثلاث بل اله واحد لان الكنيسة تمنع من القول بانهم ثلاثة وفى هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيما بينهم وازليون (انظر صفحة 197) اكل الحكم فى هذا التهافت الى ذوي الالباب اهل التفكير، نعبد واحدا فى ثلاثة وثلاثة فى واحد من غير جمع بين الاقانيم ولا تفرقة بينها . لا جمع ولا تفرقة فكيف السبيل الى التوفيق بينهما وبينهما بعد المشرقين ، جاء هذا فى مستهل العقيدة وليس اقل منه غرابة ما جاء فى آخرها الذي يقول فى هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيما بينهم وازليون .

هذا التهافت وهذا الاستهتار هو الذي دفع الفيلسوف فولتير الى الجهر بكلمته التي سارت بها الركبان وهي اني لا اياس من انه سيكون للانسان من الفهم بقدر ما يميز ان الواحد ليس ثلاثة والثلاثة ليست واحدا

وختم المؤلف هذا الفصل بقوله : ان رسائل اليهود وصويل المسمي نفسه فيما بعد بولس صارت مع الايام هي القاعدة التي قامت عليها العقيدة الكاثوليكية ، كون يهودي هو اول من دس القول ببنوة المسيح كما قاله صاحب تاريخ الديانات العام ، يهدينا الى معرفة السر فى تحذير الله للنصارى من دسائس اليهود حيث يقول جل وعلا : قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم (سورة المائدة) .

زاد صاحب كتاب تاريخ الديانات العام يقول " الذي اثبته التاريخ هو ان النصارى اقتبسوا عقيدة التثليث عمن قبلهم من الوثنيين ، ولذلك فان عقلاءنا وعلماءنا يتمنون لو وجدوا سبيلا للتفصى من هذه العقيدة ، ولكن اذا انكروها بعد هذه الشهرة الطويلة تبطل ثقة العامة بالنصرانية كلها . وجاء نفس هذا المعنى فى تفسير المنار رواية عن بعض عقلاء الرهبان فى حديث له مع احد العلماء السوريين ، وعقب عليه بقوله " ومن الغريب انهم يعترفون بان عقيدة كهذه لا تعقل الا ان بعضهم يحاول تانيس النفوس لها فضرب لذلك مثلا ، القصد به امكان اجتماع الثلاثة فى الواحد ككون الشمس مركبة من الجرم والنور والحرارة والذات وهي مع ذلك واحدة كما يقول الشيخ ناصيف اليازجي .

كالشمس يظهر جرمها بشعاعها
وبحرها والكل شمس فاعلم

( من تفسير المنار الجزء 6 ص 484 ) هنا يحق الترحم على روح الامام البوصيري حيث يقول فى همزيته :

ا اله مركب ما سمعنا     باله لذاته اجزاء

اذكر اني كنت اجتمعت في تيوملبلين قاعدة مراكز التبشير في الاطلس برئيس الدير وتجاذبت معه اطراف الحديث في اسلوب نزيه اجابني بمثل ما يقول اليازجي فلاحظت عليه كم كان عدد الاقانيم قبل ولادة المسيح مثلا في عهد نوح وصالح وشعيب وابراهيم ومن جاء بعدهم فسكت مدة ثم لوى راسه وقال : الدين يطالبنا بالايمان والوقوف عند تعاليم الكنيسة بدون بحث ولا تعقل فقلت له في مجاملة : نحن اليوم في عصر انتشر فيه العلم بين الرجال والنساء وعلماؤكم كتبوا في هذا الباب ما لو انتشر بين سائر الاوساط لقوض اركان المسيحية ، فاجابني بان الكنيسة على علم بهذا وهي تقاوم هذه الحركة بنشر لائحات تبين فيها الكتب التي لا تحل قراءتها فامسكت عن الحديث بعد ان تذكرت قول البوصيري :

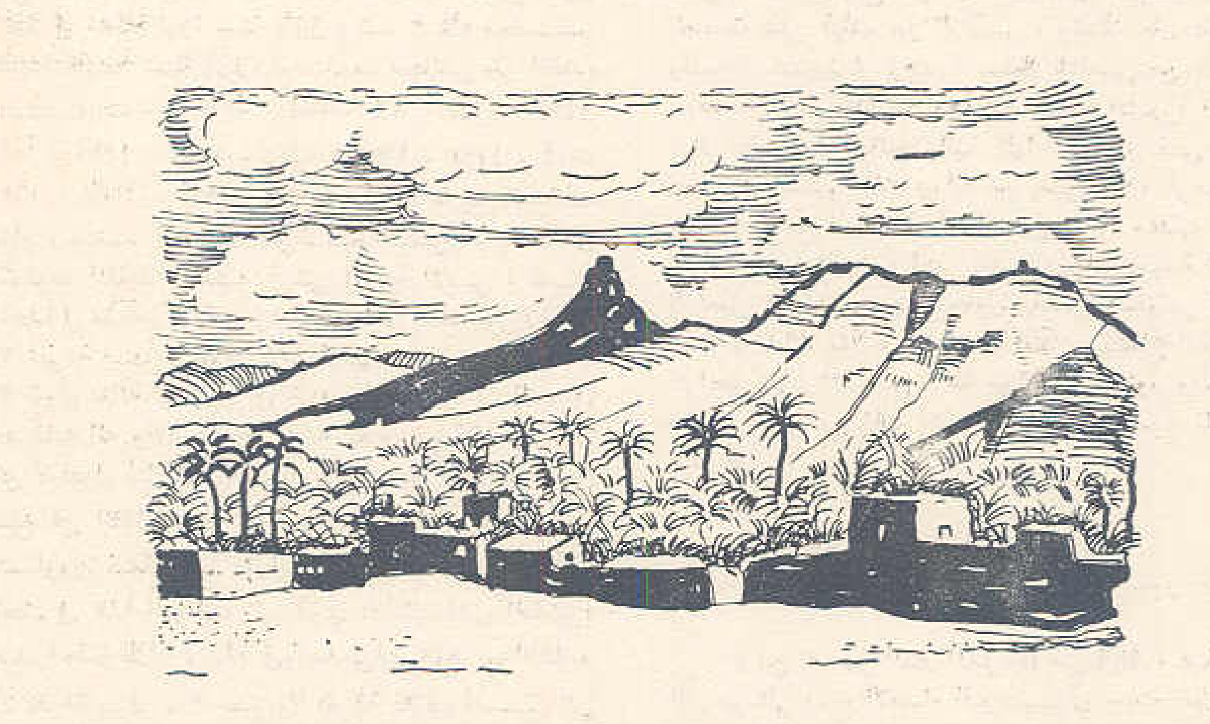
واذا ضلت العقول على علـــــم فماذا تقوله النصحاء

وفي معناه قول النبهاني :

ليس لي حيلة بتفهيم اعمى كنه شيء خصت به البصراء

بهذه المناسبة يلذ لي ان اتحف القراء بسرد قصة ساقها صاحب كتاب اظهار الحق ، وهي ان رجلين تنصرا على يد قسيس لقنهما العقيدة ثم بعد مضي ايام اراد القسيس ان يختبر الرجلين ليرى مقدار تمكن العقيدة منهما فسأل احدهما فكان الجواب : علمتني يا ابي ان الالهة كانوا ثلاثة فصلب واحد منهم فبقي اثنان ، فاستشاط القسيس غضبا وطرد الرجل ثم جاء الثاني وسأله فاجاب يا سيدي حفظت ما لقنتني وفهمته ببركة المسيح ان الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة فصلب واحد منهم ومات فتبعه الاثنان لان الثلاثة كانوا متحدين ومات الجميع ولا اله لنا الآن والا يلزم نفي الاتحاد بينهم المتمثل في الشمس على حد ما يقول الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني .

---



# نشوء التفكير الفلسفي في الإسلام

للاستاذ : محمد عبد المالك الكتاني

كان الاختلاف السياسي غداة وفاة الرسول عليه السلام حول مسالة الخلافة هو الشرارة الاولى التي انقدح لها الفكر الاسلامي فى الواقع ، وقدر لها بعد ذلك ان توجه التفكير العربي طرائق مختلفة ، صيغت على اساسها فيما بعد مذاهب شتى دينية وسياسية ، فقد استحال الاختلاف عند المسلمين من صيغته السياسية الى جدل فى العقائد ، واصبحت كل مشكلة اجتماعية كانت ام سياسية تصطبغ بالصبغة الدينية اول ما تصطبغ ، وتتصل — بحكم تغلغل التاثير الديني الجديد — فى بؤرة العقلية العربية بجذورها الدينية اول ما تتصل ، وهكذا يصبح مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، او نفي ابي ذر ، او التحكيم السياسي ، ليس فقط مظهرا لانقلابات اجتماعية او سياسية ، وانما هي احداث فى المستوى الديني ايضا ، ولها تبريراتها الدينية ، والواقع انها كذلك ما دام الدين الاسلامي لا يقصر نفوذه على مجال دون آخر ، لقد كانت احداث الخلافة وتطور المجتمع العربي اثر الفتوحات فى سباق مع الزمن كما نشات مفاهيم مختلفة حول الخلافة اثارت جدلا كما اثارت معارك ، واتخذت هذه الاختلافات اشكالها السياسية فيما بعد .

كان المسلمون يعيشون هذه الازمة السياسية الدينية من ناحية ، ويفتحون امما وبلادا جديدة ، ويتصلون بحكم هذه الفتوحات بشعوب جديدة تاخذ بعقائد مختلفة من مسيحية ويهودية وغنوصية شرقية، من ناحية اخرى، فقدر لهم ان يواجهوا نوعامن التحدي لعقيدتهم بتلك المعتقدات المفلسفة ، والجدل المنطق وذلك فى مستوى اوسع واخطر مما كان يثار على عهد رسول الله صلوات الله عليه ، فالقرءان نفسه اثبت ذلك التحدي القديم فى صيغ معروفة كمسالة القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، وطبيعة السيد المسيح عليه السلام ، ومسالة الروح وغير ذلك من المسائل التي تدل دلالة قاطعة ان مناخا من الجدل والتحدي قد عاشه الرسول ، فكان تحديد موقف الاسلام منه نواة التفكير الفلسفي فى الاسلام .

ولقد انطوى هذا التحدي الذي انبثق خاصة من صفوف من اسلموا من يهود ونصارى وصابئة وبراهمة ومانويين على اسلوب خاص ، فكان هؤلاء يعرضون لبعض ما يرونه تناقضا فى ظاهر القرءان بين ءايات تقول بالجبر واخرى تعلن حرية الانسان ، وءايات تنزه الباري تعالى تنزيها مطلقا عن كل تشبيه واخرى تقتضي التجسيد والتجسيم ، فكان على الفكر الاسلامي ان يواجه هذا التحدي بالرد على خصومه فى الواقع ، فكان من ذلك جدل عظيم .

من خلال هذا التحدي العنيف الذي واجهه المسلمون ، وذلك الاختلاف السياسي العميق بينهم حول مسالة الخلافة وما نتج عنه من جدل ديني نشا المعتزلة ليمثلوا الدور التمهيدي لظهور الفلسفة الاسلامية .

ويعزو الاستاذ زهدي حسن جار الله — وهو من الذين بحثوا فى المعتزلة بحثا علميا مستفيضا — يعزو ظهور المعتزلة الى اربعة عوامل مفصلا ذلك الاجمال الذي المعت اليه ، وهذه العوامل كما يلي :

اولها : السعي وراء حل مشاكل الاختلاف بين المسلمين ، ذلك الاختلاف السياسي المعروف والذي اثار اهتمام المسلمين خاصة الى ما اعتبروه « مجرمي الامة » كقتلة علي وعثمان ، والواقع ان مجتمعا كالمجتمع العربي اذ ذاك لا مناص له من التفكير في عواقب تلك الفتن السوداء من الوجهة الدينية ، وهكذا ظهرت مشكلة ارتكاب الكبيرة ، فكان لاهل السنة فيها راي ، وكان للخوارج راي ثان ، وللمرجئة راي ثالث ، واستفاض الجدل حول هذه المشكلة في كل مكان ، فكانت هناك حلقات يشتد فيها الجدل ويطول، وهنا نروي القصة التالية كما يذكرها المؤرخون:

( دخل احدهم على الحسن البصري وهو يدرس في مسجد بالبصرة فقال « يا امام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل ان العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الامة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا .. ؟ » ففكر الحسن البصري وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء: «انا لا اقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين » . ثم قام واصل بن عطاء ، واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، فقال الحسن البصري : « اعتزل عنا واصل » فسمي اصحابه معتزلة .. » .

ومما لا شك فيه ان القول بالمنزلة بين المنزلتين كان محاولة اتخاذ حل وسط بين راي يجعل الكبيرة لا تخرج من الايمان وآخر يجعلها تخرج بصاحبها من الايمان ، والواقع ان هذا الموقف لم يأت بجديد من الوجهة السياسية بقدر ما اثار من المشاكل العقلية فيما بعد .

ثانيها : التأثر بالديانات والعقائد الاجنبية ، ويفسر ذلك كون المعتزلة انفسهم تأثروا باللاهوت المسيحي خاصة ايام الدولة الاموية التي قربت المسيحيين ، وقد كان من اكبر متكلمي اللاهوت المسيحي يحيى الدمشقي الذي كان يشترك مع المسلمين في المناظرات ، والف رسائل عديدة وجدت صداها في آراء المعتزلة فيما بعد ، وقد كان تلميذه ابو قرة ثيودور يتصل هو الآخر باهل الكلام من المسلمين ، وهذا راي يرتكز عليه معظم المستشرقين ، ونحن وان كنا لا نلح عليه كثيرا في تعليل وجود شبه بين آراء المعتزلة وبعض اراء يحيى الدمشقي وغيره من المسيحيين ، فاننا نعتبر مجرد تاثر علماء الكلام المسلمين الاول بالآراء المسيحية واليهودية مسالة ثابتة من الوجهة التاريخية والنقدية ؛ فمسالة القول بخلق القرآن تنتهي الى اصل يهودي كما اشار الى ذلك ابن الاثير الخطيب البغدادي وابن قتيبة، والواقع انه ليس مما يتطرق اليه الشك ان المعتزلة في منشئهم تأثروا بطائفتين كانتا قد تأثرتا او قل كانتا قد استقتا آراءهما من اللاهوت المسيحي وبعض المذاهب اليهودية، وهما القدرية والجهمية ، وهما حركتان سبقتا ظهور المعتزلة اما القدرية فنفت الجبر عن الانسان ، واثبتت للانسان قدرة على افعاله ، واما الجهمية نسبة الى جهم ابن صفوان — فقد قالت بخلق القرآن وانكار الرؤية ، وقدرة العقل على الوصول الى المعرفة دون اعتماده على الشرع .

ثالثها : الدفاع عن الدين الاسلامي ، فقد شعر المعتزلة بخطورة تسرب العقائد الفاسدة ، خاصة من اولئك الذين يتظاهرون بالاسلام ، وهم يعملون في الخفاء على تقويضه ، والقضاء على سلطانه ، وها هي كتب المعتزلة وكبار متكلميها تشهد على انهم وقفوا حياتهم للرد على المانوية والرافضة والجبرية والدهرية وسائر المجوس ، فهذا واصل بن عطاء رأسهم ، تحكي عنه زوجته انه كان يقضي ليلته بين صلاة ، وكتابة للرد على دعاة الالحاد والمذاهب الضالة ، وهذا ابو الهذيل العلاف يؤلف ما ينيف على ستين كتابا في الرد على المجوس ، وقد يعترض معترض في هذا الباب قائلا : كيف يجتمع ان المعتزلة يدافعون عن الاسلام ، وهم متأثرون بالعقائد واللاهوت المسيحي مثلا كما تقدم ، والجواب أن هذا التأثر باللاهوت المسيحي على الاخص انما جاءهم من التأثر بالفلسفة اليونانية التي صيغ اللاهوت المسيحي في قالبها وسيتضح ذلك فيما يلي :

رابعا : التأثر بالفلسفة اليونانية ، فان المعتزلة لما انبروا للرد على خصومهم من ذوي الجدل ادركوا ان الاقتصار على الادلة النقلية لا يكفي لاقناع غير المؤمنين بها ، فاخذوا بالمنطق اليوناني ، واضطروا لدراسة الفلسفة اليونانية والتعمق فيها ، فتاثروا بها قبل غيرهم ، واعتمدوا على العقل في اظهار ما في الشرع من حقائق ، فكانوا اول من رادوا الطريق للتوفيق بين معطيات العقل وعقائد الدين .

من خلال ذلك كله يتضح ان المعتزلة عملوا فى ناحيتين :

اولاهما : انهم توسطوا بين تطرف الخوارج وتطرف الشيعة فى مسألة الخلافة فخلقوا جبهة الحياد

وثانيتهما : انهم دافعوا عن عقائد الدين الاسلامي دفاعا يستند الى العقل فى وقت كان الدفاع عن العقيدة الاسلامية بمجرد النصوص امرا لا غناء فيه ، لان الآراء الفلسفية والمعتقدات الدخيلة كانت قد تغلغلت فى صميم الاعتقاد الشعبي مما حدا بالمعتزلة اول الامر ان يجعلوا من اول غاياتهم تطهير فكرة التوحيد من كل تشويه قد علق بها ، ثم بناء فكرة جديدة لمسألة العدل الالهي كفيلة بان تعيد التوازن النفسي والاخلاقي الذي كاد يقضي عليه انتشار الروح الجبرية والسلبية فى المجتمع الاسلامي ، ولهذا نراهم سموا انفسهم اهل العدل والتوحيد ، يقول الخياط فى « الانتصار » : ( ان المعتزلة هم وحدهم المعنيون بالتوحيد والذب عنه من بين العالمين ) ومن الانصاف لهم حقا ان نعترف بذلك ، فقد دافعوا عن اقدس فكرة جاء بها الاسلام ، وهي تنزيه الله تعالى عن كل تجسيد او تشبيه ، غير أن هذا الدفاع اقتضاهم ان يذهبوا بعيدا عن الفكرة التي دافعوا عنها ليعطوا مفهومات جديدة للصفات الالهية ، وليصوغوا بناء فلسفيا مستمدا من الفلسفة اليونانية يتناول قضايا عميقة كالوجود والعدم والجوهر والعرض والحركة والسكون ، وهذا ما يأخذه عليهم خصومهم ، اي انهم فلسفوا عقيدة الاسلام الالهية متأثرين « بالمشائين » فتحدوا ظاهر الآيات القرآنية احيانا ، وضيقوا من نطاق المفهوم المطلق للارادة الالهية من ناحية ، ووسعوا من نطاق المفهوم الشائع للذات الالهية حتى تتلاشى كل الطفيليات التي علقت باذهان الناس عن التجسيد والتي وجدت فى حضن بعض التفاسير الحرفية لآيات القرءان غذاءها ولا سيما عند المدرسة الحنبلية ، ولبيان ذلك نقول : ان المعتزلة وجدوا فى القرءان آيات تدل على التنزيه كل التنزيه لذات البارى تعالى : ( ليس كمثله شيء ) وآيات اخرى تدل فى ظاهرها على التجسيم ، او بعض مقتضيات التجسيم كالجهات نحو قوله تعالى : ( ثم استوى على العرش » او قوله تعالى ( فاينما تولوا فثم وجه الله ) فوقفوا ازاء هذه الآيات موقفا جديدا يغاير ما كان عليه السلف من الاخذ بظاهرها والايمان بمقتضى ذلك ايمانا اجماليا والامساك عن شرحها او مناقشتها بل والتحرج من تأويلها ، وكان مبعث ذلك عند المعتزلة ارضاء العقل ، والخروج عن التناقض الظاهر بين مداليل الآيات ، ولم يجدوا من سبيل الى ذلك غير التأويل فاعتبروا أن آيات التنزيه هي الاساس الصحيح لعقيدة التوحيد ، وان غيرها من الآيات انما ينبغي أن يحمل على ما هو صريح ومجمع عليه ، ومقبول فى حظيرة العقل ، وهكذا وضعوا تحليلا فلسفيا لفكرة التنزيه كما يتصورها العقل ، او بعبارة اخرى استقصوا بطريقة عقلية جميع مقتضيات التجسيم والتشبيه فنفوها عن الله وكان مما جاء فى ذلك قولهم : ( ان الله واحد ليس كمثله شيء ، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ، ولا جوهر ولا عرض ولا عمق ، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ، ولا يوصف بانه متناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب فى الجهات ، ولا تحيط به الاقدار ، ولا تدركه الحواس ) .

والواقع ان نفي هذه الصفات على هذا النحو لم يات اعتباطا ، وانما وضع كذلك للرد على جميع المذاهب والاراء التي كانت شائعة فى القرنين الثاني والثالث عن الذات الالهية ، دخيلة من فلسفات وعقائد اجنبية عن الاسلام ، فهي ترد فى بعض اجزائها على الرافضة التي قالت بان الله ذو هيئة وصورة ، وله من الصفات ما تقتضيه هذه الهيئة من سكون وحركة وتنقل ، وهي ترد على المشبهة التي زعمت ان الله يشبه الخلق فى الاحساس والتفكير والارادة محتجين ببعض الآيات ، متمسكين بظاهرها بينما القرآن يقول (واما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وهي ترد على نظرية المثل الافلاطونية القائلة بان الله انشأ الخلق على صورته ، وترد اخيرا على النصارى القائلين بالاقانيم الثلاثة .

وسنعرض فيما بعد للنظريات الاساسية الكبرى التي يدور عليها محور الكلام عند المعتزلة ، والتي ذهبوا فى الاختلاف حولها الى ابعد الحدود .

ـ يتبع ـ




**جامعاتنا** الدينية — حفظها الله وابقاها — كانت ولا تزال حصن اللغة ، ولسان القومية ، ومنبع الحرية ، لم ينل منها كر الليالي والايام ، فظلت متينة الاساس ، رفيعة العماد ، شامخة البنيان ، منذ اكثر من الف سنة ، عالية مرموقة ، فيوم ان كانت بلاد العالم تسبح فى ظلمات الجهل ، تتلهف لبصيص من نورها الساطع ، كانت الركبان تتحدث عن علمائنا العباقرة ، وكانت كتبهم منتشرة بالمواد المختلفة فى كل مكان ، وكانت اوروبا تحث ابناءها للاغتراف من منهلها العذب .

* * *

لم تزعزعها الحوادث التي تدمي القلب ، والاعاصير التي تهب عليها من مختلف الجهات ، فبقيت صامدة مع الزمن ، لم تضعف ، تكافح وتنتصر ، متمسكة بالحق والنور ، تضيء للبشرية طريق العلم والعرفان .

حاربت المستبد والظالم ، ووقفت فى وجه الدخيل والمغتصب ، فتكسرت حرابه على صخرة جبروتها ، وانهزم امام قوتها ، فكانت قلعة محصنة ، تصد كل محاولات السيطرة والتحكم والاستعباد .

* * *

حمت الدين الحنيف ، وحرست اللغة العريقة ، ولعبت دورا فعالا فى التاريخ ، فغيرت معالمه ، وحملت على اكتافها معولا تهدم به الجهل ، ووضعت الاسس الاولى للتعليم ، والنظم الجامعية بتقاليدها العلمية ، وتجاربها الفكرية ، فكانت المناظرات تعقد فى ارجائها الفيحة ، والمنتديات حافلة بشتى العلوم وكانت المطارحات والمناقشات تقام فى جو علمي ، مزدان بالعقول النيرة ، والنفوس الزكية ، تحف بها المحبة والاخاء والتواضع المحبب الى النفس ، فانبعث من قلبها نور الايمان ، وامتد شعاعه الى جميع ارجاء الغبراء .

* * *

ثم مرت بالبلاد فترة من الظلام ، والانحلال الفكري ، وحوربت تلك الجامعات من طرف عدو لا يرحم ، استبد بالبلاد والعباد ، ولم تستطع ان تقفامام طغيانه ، فانكمشت على نفسها ، وتحفظت فى جميع خطواتها وحرصت على ما بقي فى يدها ، فلم تتزحزح ولم تتحرك ، وتحصنت فى محيط ضيق ، ترشد الناس فى السر والعلانية الى الطريق القويم بنورها الخافت الذي حاول المستعمر ان يطفئه الى الابد ، فمنعته يد القدر الغالب ، بفضل الصلة الروحية التي جمعت الناس حولها ، وبفضل رجال اقوياء فى عقيدتهم وفى ايمانهم ، وهبوا انفسهم لمبدأ سماوي يحمل فكرة سامية ، فبذلوا النفس والنفيس فى سبيل الحرية باجل معانيها ، فحمسوا الخلق ، ووجهوهم لطريق الحياة الصحيح ، فكانوا معلميه وموجهيه ومرشديه ، ادوا الواجب عليهم ابتغاء مرضاة الله ، وعاشوا مع البؤس والفقر يرشدون المسلمين الى طريق الدين والقومية ، وكانت لهم مواقف محمودة ، لم يتخلوا عنها — جزاهم الله خيرا — لحظة واحدة .

ثم بدت تباشير الصباح ، ودب الوعي في العظام النخرة ، وهب شيوخ مخلصون ، ينادون بالاصلاح الشامل ، وبالاسراع في الخطى ، ويحمل مشعل العلم والتطور ، لينير للاجيال الصاعدة كما كان في الماضي البعيد ، ولكن البقية الباقية من آثار المستعمر البغيض اوحت الى اولي الامر بالتريث، وبتكتيل الجهود للقضاء على آخر اثر له ، وقد كان . .

* * *

فنحن الآن نتصرف بوحي من ضمائرنا ، ومن مصالحنا ، لا يملي علينا احد رأيه ، ولا يفرض علينا ارادته ، تسيطر علينا قوة من انفسنا ، فلقد مضى وولى عهد الظلام ولن يعود ، وظهرت جامعاتنا العتيقة بجلالها وبهائها على مسرح الحياة ، تريد ان تاخذ مكانها، تطلب الاسراع والتقدم والالتحاق بالقافلة، مع الاحتفاظ بطابعها ومكانتها ، ولقد كثر الاهتمام بامر هذه الجامعات ، واصبح الواجب يحتم علينا ان نختار لها طريقا يعيد اليها مجدها وعزها ، فتحمل المسؤولية كاملة كما كانت من قبل .

وليس من طبيعة ديننا الاقتصار على الروحية وحدها ، فلقد جمع بينها وبين المادية التي تصلح للمرء في معاشه ومعاده ، وجمعت جامعاتنا الاسلامية بين هذا وذاك ، وذكر المؤرخون ان الطب والرياضة والتنجيم والجغرافيا والتاريخ كان ضمن العلوم التي تدرسها تلك الجامعات .

« زار الرحالة البلجيكي (كليتار) فاس مدينة العلم والنور عام 948 هـ ، وتحدث عن جامعتها الخالدة ، واسترسل في الحديث عن اساتذتها وطلابها ، ثم تطرق الى الحديث عن العلوم التي تدرس بها في ذلك الوقت ، فزيادة على العلوم الدينية وفروعها ، والعربية ببلاغتها ومنطقها وفقهها ، كان يدرس الطب وانواع الرياضيات والجغرافيا والتاريخ » .

وعلماؤنا معروفون في العالم اجمع ، وءالاف المخطوطات تشهد بهذا الفضل العظيم .

* * *

فالاساس اذا في حياتنا الفكرية والعلمية موجود ، ولا يصح لنا ان نتلون بلون آخر من انواع الثقافات ، ولا ان ندع شخصيتنا تتحلل في غيرها ، متعللين بعلل واهية كبيت العنكبوت ، مستمدة من الضعف والقصور — احيانا — في التفكير السليم فنظهر امام العالم في صورة مهزوزة هزيلة .

واذا كنا قد تاخرنا قليلا عن التكامل العلمي والثقافي ، فلن يمنعنا ذلك من الاستفادة بما وصل اليه الشرق والغرب مع الاحتفاظ بلغتنا وقوميتنا فنعض عليهما بالنواجذ .

* * *

ان اول خطوة يجب البدء فيها هي العمل على توحيد مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي فلا يكون هناك تعليم ديني ، وآخر مدني ، ولا غير ذلك من الانواع التي تشتت الجمع ، وتنوع الاتجاه ، وتزيد من الخلافات بل تدمج هذه الانواع في اطار تعليم عام ، يجعل نواة لتعليم عربي شامل ، يعني فيه بمادة الدين عناية مستمدة من تقاليدنا وتراثنا ، فتكون مادة اساسية يمتحن فيها الطالب امتحانا تحريريا وشفويا ، وتعطي اهمية للتوجيه الديني ، حتى نبتعد بابنائنا عن الانحرافات ، وخاصة في طور المراهقة ، فنتجنب الجنوح الذي وقع فيه صبيان وشباب الدول التي قطعت شوطا بعيدا في الميدان الثقافي ، وافلس علماء التربية والنفس في معالجة هؤلاء الصغار معالجة كاملة ، فرصدت المليارات لهذا الفرض ، حتى يتجنبوا الهوة السحيقة التي يتردى فيها الشباب ، وتوجيهنا الديني فيه من الرصانة والقوة والمقدرة ما يقضي على هذا الانحلال .

وكذلك تجب العناية الكاملة بلغتنا القومية ، واختيار الكتب النافعة المفيدة ، ويكون ذلك بالاطلاع على التغيير المنهجي الذي يطرا كل عام جريا في البحث عن كيفية الاستفادة الصحيحة من اللغة ، وخاصة في البلاد التي قطعت شوطا في التبسيط وحذف الزائد ، ولا يصح ان نقف مكتوفي الايدي امام كتاب كالنحو الواضح ، كتاب جفت قواعده ، وسمجت طريقته ، فلا هو قديم فيحمد ، ولا جديد فيفيد فائدة كاملة ، لقد كان هذا الكتاب يدرس في الشرق منذ اكثر من ربع قرن ، وظهرت بعده كتب عديدة جديدة في مادتها وطريقتها ادعى لان تؤخذ بعين الاعتبار ، فلقد اصبحت القواعد — وخاصة مرحلة التكوين الاولى تدرس على انها وسيلة لا غاية .

هذا بجانب العناية بالمواد الاخرى المختلفة ، مع اختيار لغة اجنبية او اكثر تبدا دراستها بعد الحصول على الشهادة الابتدائية العربية ، ويلاحظ فى هـذا الاختيار ان تكون من اللغات التي تكثر فيها الابحاث العلمية الحديثة .

* * *

ان نهضتنا المتوثبة ، ووعينا المتحفز ، يتطلب منا تأسيس كليات عملية ، بجانب الكليات النظرية ، والاستعانة بكل من يمد يد المعونة والمساعدة ، وتوحيد الجهود فى فاس ومراكش وتارودانت لتكوين جامعة عالية واحدة ، تكتل فيها الجهود مجتمعة متعاونة ، لتكون نواة لتنشئة جيل جديد ، يدرس كتب السلف والعلماء الاولين ، ويترك الكتب التي الفت فى عصر الحواشي والتقارير ، فبعدت عن المفيد ، واهتمت باللفظ وحارت ودارت حول نفسها فى محيط ضيق ، وليس هناك من فائدة سوى ان نلف وندور فيه ، فلا نصل الى نتيجة تعود علينا بالنافع المفيد ، ويهتم ايضا بدراسة التشريع الاسلامي ، والتشريعات الاخرى ، والمقارنة بين المذاهب الفقهية ، واستنباط قواعد الاصول منها ، وكذلك يهتم بدراسة الملل والنحل ، مع تكوين كليات عملية ، يجعل للدين واللغة فيها نصيب حتى يتمكن الخريجون من اداء واجبهم الديني بجانب العمل الذي تخصصوا فيه ، فيقبلون مخلصين لخدمة دينهم ووطنهم .

* * *

واذا كان هناك من يرى ان حفظ القرآن الكريم واجب سماوي ، فعلينا ان نرعى هذه الرغبة الكريمة، وان نعمل على صيانتها ، فنهيء لاطفالنا المكان الصحي والجلسة المريحة ، ونبحث عن الطريقة المثلى فى كيفية الدراسة والحفظ ، كما نعنى بالسادة القائمين بامر التحفيظ ، فنهيء لهم عيشة وتوجيها احسن مما هم فيه الآن ، واذا سمحت الظروف ننشيء معهدا لدراسة القراءات ومذاهبها وشيوخها على غرار ما انشيء فى الشرق .

ان الصلة بين جامعات الشرق الاسلامي ، وجامعات المغرب ليست بمستحدثة ، بل قديمة قدم الاسلام ، فعلينا ان نقوي هذه الصلة ، بارسال البعثات الكثيرة العدد ، ومحاولة الاستفادة منهم عند رجوعهم بتعيينهم فى المواد التي تخصصوا فيها ، وتبادل الاساتذة والفنيين بجانب دراسة المناهج وما جد فيها واخذ الصالح لنا منها ، وترقب كل جديد فى المحيط العلمي والديني .

* * *

وان فى عنقنا امانة عظمى ينبغي الا نغفل عنها ، والا ننساها ، تلك هي الوثبة الجديدة فى افريقية ، واتجاه بعض الدول الى اللغة العربية ، والى الدين الاسلامي ، فلنسارع الى اجابة طلب اخواننا الافارقة ، فنمدهم بدعاة مخلصين وهبوا انفسهم لله ابتغاء مرضاته ، ليقطعوا الاحراش، ويسلكوا الجبال لينشروا دعوة الاسلام من جديد ، وليقوموا بتعليم اللغة العربية، وحبذا لو تكونت لجنة من الوزارات التي تعنى بشؤون الدين والجامعات الاسلامية لاختيار بعض الخريجين ، وتكوينهم تكوينا يتفق واداء مهمتهم التي هي من صميم الرسالة الاولى لجامعاتنا الاسلامية .

* * *

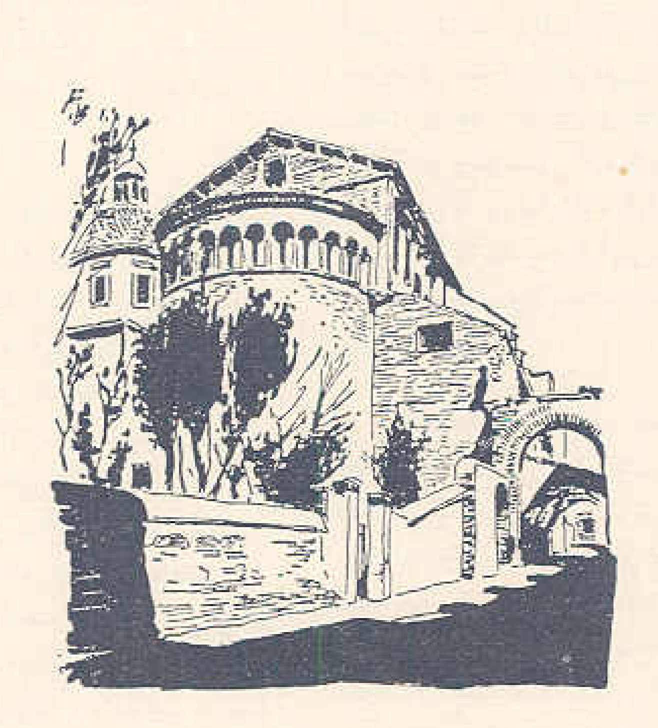
ان العمل المنتج يتطلب تضامنا وتضحية ، والتضحية تظهر فى انكار الذات ، ووضع المصلحة العامة نصب اعيننا ، فنفسح الطريق امام الكفاءات والخبرات ، حتى نستفيد منها ، مستمدين حياتنا ومعاملاتنا من دستور الاخلاق الاسلامية ، ولنتذكر دائما قيادة اسامة بن زيد رضي الله عنه ، وتامير النبي عليه الصلاة والسلام له قبيل وفاته مع صغر سنه ، وسير كبار الصحابة فى ركابه ، وفيهم من هو اولى منه بالقيادة والامارة ، ولكن المصطفى عليه السلام اراد ان يعلمنا التعاون والطاعة والتسامح والتضحية .

لقد كان الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه يتمنى ان تكون جامعاتنا الدينية نواة لجامعة حديثة ، تجمع بين الحياة الاسلامية الحقيقية بعلمها ومعرفتها ، وبين الحياة الحديثة بفنونها ومخترعاتها ، وجاهد فى سبيل دعوته ، ولكن امله لم يتحقق حينئذ فى الشرق ، وعاجلته المنية رحمه الله ، ولم تمت دعوته، فقد حملها ابناء بررة مخلصون ، وازدهرت واثمرت فى المغرب الاسلامي ، وهم من الكثرة والمحبة والاخلاص لرائدهم الامام ، ما يجعلهم يبذلون الجهد راضين ، لتحقيق رغبة صادقة ، ولبناء جامعة فريدة ، مراعين خطوات الشيخ ، حتى نقوم ببعض الوفاء للمنهج الاصلاحي الذي تمنى الامام تنفيذه ، وحتى تقر عينه فى منامته ، فيرى نفسه ملاكا ، كما كان يتمنى فى حياته حينما تتحقق دعوته .

* * *

ليس امامنا الا العمل والعمل المتواصل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

---






**جـاء** في حديث صحيح عنه عليـه الصـلاة والسلام انـه قـال :

كل مولود يولد على الفطرة حتى يعـرب عنـه لسانه فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه .

راينا بمناسبة افتتاح السنة الدراسية انه من الخير نشر حديث يتعلق بتربية النشء ، ذلكم النشء الذي سيكون منه الآباء وامهات الغد ، ذلك النشء الذي تعلق عليه الامة الآمال الطويلة العريضة في الاخذ بيدها واصلاح دينها ودنياها وانتشالها من كبوتها والسير بها قدما نحو استرجاعها على اريكة المجد والسؤدد .

لقد قرر الرسول الكريم في هذا الحديث الشريف ان تربية الصغار هي من السهولة بمكان اذ كل مولود قد خلقه الله على الفطرة النقية التي لا يشوبها اي كدر يحتاج في تنقيته وتطهيره الى بذل مجهود ما . ومعنى هذا ان المواليد خلقوا على استعداد تام لقبول كل خير وقد رشحتهم الارادة الربانية للسير على الصراط السوي ، ما لم يصدهم عنها دعاة الزيغ والانحراف وابالسة الوساوس والارجاف ، فما على الابوين سوى شدة التيقظ في الحراسة والمحافظة على تلك الفطرة الطاهرة الزكية والابقاء عليها حتى لا يتسرب اليها من طفيليات المساوي وما يكدر رونقها او يعكر صفاءها او يحول زلالها رنقا ، واعطائهم فرصة تمكنهم من الايمان بدينهم وبقوميتهم وبسالف امجادهم

ان مغربنا اليوم لفي احوج الظروف الى اعداد جيل الغد وتحويله رصيدا جيدا لبناء صرح المجتمع المغربي العظيم السالم من عوامل الانحلال ، وطيد الاركان شامل البنيان ، لقد كان من السهل على الابوين ـ وقد القيت عليهما المسؤولية الاولى من الله ومن الامة ـ ان ياخذا ـ لو شاءا ـ بيد هذه الامة وينعشاها من امراض الانحلال وادواء التفسخ ، وذلك بصرف الاعتناء الى تربية اولادهم ، الامر الذي جعله الله امانة طوق بها اعناق جميع الآباء وهم سيسالون عنها غدا امام الملك الديان .

في امكان الآباء والامهات ـ لو شاءوا ـ ان يكونوا النشء تكوينا صالحا وان يربوهم تربية يستضيئون بنورها في سلوكهم الفردي والجماعي ويعيشون بفضلها سعداء في هذه الدنيا وفي دار البقاء ، ويسدون بذلك الى امتهم ومجتمعهم اليد البيضاء ، وذلك ـ لعمري ـ افضل تركة يورثها الآباء لاولادهم ، واحسن مدخر ياوي اليه الابناء بعد آبائهم وتسعد به البنات في بيوت ازواجهن ، ويبنون مجتمعا سعيدا رافلا في حلل العز والسؤدد .

ايها الآباء والامهات الشفقاء ، ان من طبيعتكم ان تستخفوا حمل كل المشاق وتستسهلوا كل التضحيات في سبيل اولادكم ماديا ليس في مدة من حياتكم فحسب بل تبذلون نفس التضحية في سبيل جمع المال ليستديم رغد العيش لاولادكم ولو بعد موتكم ؛ فلا تسنح لكم فرصة الا اغتنمتموها ولا تواتيكم بادرة الا اهتبلتموها ، وربما استهان البعض حتى بدينه في سبيل حشد الحطام وادخاره ولو شاء احد التاكد من هذه الرغبة فسال احدكم قائلا : علام هذا التعب الزائد ، ولماذا تبذلون هذا الجهد الجاهد ، فان ما تبذلون من جرائه زهرة حياتكم وما تنفقون في سبيله

نفائس اعماركم من تكديس المال واقتناء العقار فلربما كان ما تبقى من عمركم غير متسع للاستمتاع بما اكتسبتم فلن ترددوا فى الجواب قائلين فى صراحة : ان رغبتنا فى اسعاد اولادنا بالمال ولو بعد مماتنا ، لا تقل — ان لم ترب — عن الرغبة فى اسعاد انفسنا نحن بما استفدناه من الثروة .

ايها الآباء والامهات الشفقاء ، ارايتم لو فرضنا ان فريقا من الآباء خلفوا لاولادهم القناطير المقنطرة من الاموال والكراع ، وورثوهم كل شيء يعتقدون انه من مرافق العيش وعوامل الترف ومهدوا لهم جميع السبل التي تنهال منها عليهم كل اضرب الماديات ووضعوا فى ايديهم مفاتيح مراتع الشهوات وكانوا مع ذلك لا يقيمون وزنا لصالح او فساد فطرهم ، ولا يهمهم ان نشاوا نشأة صالحة او طالحة ولا يبالون بما اذا تربوا على حب الانانية والاثرة والتخلق باخلاق الكبرياء ورذيلة العجب والرياء والنظر الى الغير نظرة احتقار وازدراء ، وهم مع ذلك دائبون فى تلبية رغباتهم الحيوانية وارضاء شهواتهم الشيطانية بفضل ما اكتسبه لهم آباؤهم من مال ويسروا لهم من السبل ، ثم فرضنا ان بجانب هذا الفريق من الآباء فريقا آخر راى ان السعادة على هذا الشكل — انما هي سعادة مزيفة فهي ظل زائل ومتاع قليل بل هي طريق الشقاوة الدائمة ، والنكد المؤبد ، فليس من شفقة الآباء ان يغروا بها اولادهم ، ويستدرجوا عليها اكبادهم ، فاقتضى سديد نظرهم ان ينتجعوا لاولادهم السعادة الحقيقةالمثلى، سعادة لا تعقبها شقاوة ولا يكدر صفوها ندامة ، فسلكوا فى تربية ابنائهم مسلكا حكيما وربوهم تربية صالحة ووجهوهم توجيها مستقيما وابقوا على فطرهم النقية ، وحافظوا على مقوماتهم الانسانية وقد احكموا الحراسة من ان تتسرب اليهم جراثيم الافساد ، ومكروبات تدنيس الطباع ، ووقوه من تاثير قرناء السوء ورشحوه للمحافظة على اداء واجباته الدينية وانشاوه على حسن السلوك مع اقاربه وجيرانه والناس اجمعين وزرعوا فى قلبه بذور حب الخير وفعله لدينه ووطنه والتضحية لانقاذهما والذوذعنهما وزينوا فى نفسه النفع لاخوانه وبني جلدته واحترام حقوق الغير وكرهوا اليه رذيلة الحسد والانانية والاثرة والكبرياء والعجب وغمط حقوق الناس وسائر المساوىء .

انظروا بعيون البصيرة ايها الآباء اي الفريقين احسن لاولادهم نفعا واقرب رحما ، ايها الآباء والامهات لكم ان تعتقدوا انه بحسب اولادكم ان يستفتحوا ابواب العيش المادي اذا حملوا شهادات علمية وكرعوا من مناهل الثقافة والعرفان وقد فتح فى وجوههم ابواب الوظائف ، وصاروا من ذوي المقدرة على تنمية المال واكتسابه بالاساليب التجارية والصناعية او الفلاحية وامسكوا بناصية المادة ، ولكم ايها الآباء ان تعتقدوا انهم سيكونون فى بحبوحة من العيش المادي واضرب من الترفه ولمعلميهم واساتذتهم فى المدارس ان يشاطروكم فى اعتقادكم ذلك ، غير انه ليس لهم وليس لكم ان تعتقدوا انه كان ذلك ايضا سد بينهم وبين التعاسة واضرب الشقاء والعيش النكد ، وانهم ولجوا بابي حظيرة الهناء والسعادة الى الابد .

ولا نخال معلمي اولائك الاولاد واساتذتهم فيما لقنوهم من المعلومات الجافة التي لا صلة بينها وبين ترقية النفس وتهذيبها وفيما ساعدوهم على حمل الشهادات الرسمية ولا نخالهم الا كمن ساعدوا اللصوص على اساليب الاحتيال ومكنوهم من الاسلحة للسطو والاستيلاء على اموال الناس ، الا اذا زودوهم برصيد من التربية المثلى ، ودربوهم على مكارم الاخلاق وساعدوهم فى تنمية كيانهم المعنوي وعلموهم بسلوكهم اولا باقوالهم ثانيا كيف يحافظون على واجباتهم الدينية وحموا فطرهم الطاهرة من التدنيس والتنجس بالافكار الالحادية ومن التوجيهات الاستعمارية تلكم التوجيهات التي لا تلو جهدا فى صرف اولادنا عن قوميتهم ولغتهم وعن دينهم الذي هو منبت عزمهم واكليل مجدهم وطريق سؤددهم ، تلكم التوجيهات الاستعمارية التي لا يريد لنا من ورائها الاستعمار الا المسخ حتى لا نفتر عن التسبيح بحمده ولا نعترف بمجد غير مجده وبره ان نقطع كل صلة بشرف ماضينا ونجعل من انفسنا — ان رضي — اذنابا له او نشكل قطعا من حيوانات الغاب التي لا صلة بينها تربطها ولا علاقة تجمعها حتى يسهل عليه اصطيادنا بسهولة واطمئنان متى شاء وكيف اراد لا نقوى على رد عواديه ولا درء كيده اللهم تدارك الامة المحمدية بعنايتك ولطفك .

# الإنسان .. وحدة الكائن والشخص

للدكتور محمد عزيز الحبابي

هذه الصفحات ماخودة من الجزء الاول من « دراسات حول الشخصانية الواقعية » الذي سيصدر في ثلاثة اجزاء باللغة العربية ، وغير خاف أن هناك ثلاثة تيارات فلسفية معاصرة : الماركسية ، والوجودية، والشخصانية ، وهذه النزعة الاخيرة تتارجح بين تيارين يتجاذبانها : التيار المسيحي الانكلوساكسوني والفرنسي ، والتيار الواقعي الذي يعد صديقنا الدكتور محمد عزيز الحبابي زعيمه ورائده .

واننا اذ نشكر الصديق محمد الحبابي على تفضله بنشر هذا المقال نتمنى أن يوافينا بسلسلة اخرى من المقالات توضح هذا المذهب وتلقي عليه المزيد من الاضواء . .

« دعوة الحق »

**ان** بعض الفلاسفة يعطون الاسبقية للكائن (مثل هيدجر) ، اما آخرون ، فيهتمون ، قبل كل شيء ، بالشخص (من هؤلاء رونوفيي من جهة، وموني ولاكروا، من جهة أخرى) . سنعمل هنا على دراسة الانسان ، من حيث هو تاليف من الكائن والشخص ، وعلى البحث في مستويات الانسجام الذي يحصل داخل هذا التاليف . وهكذا سنضع الخطط الرئيسية لفلسفة الواقع الانساني .

لقد حاولنا ، سابقا ، ان نبرز الدور الرئيسي الذي يقوم به الكائن ، فاستخلصنا ان الكائن هو الاساس الحتمي للشخص . انه ما يصير شخصا ، وما يخول الشخص من الاندفاع في الصيرورة. فظهور الكائن هو نقطة البداية لتكوين الشخصية الاولى . وبتقدم السن ، تتحول هذه الشخصية الى شخصيات أخرى ، من مجموعها يتكون الشخص . والشخص ، بدوره ، يصبو الى الانسان ، وقد يحقق احيانا هذا النزوع .

ان النشاط الذي يقوم به المرء ، في الابداع الفني لاحسن مظهر لانضمام الكائن والشخص ، في تاليف عميق ، ينزع الى تجاوز وضعه الحالي ، بغية تحقيق الانسان . ذلك ان مجموع الـ « انا » يعمل في الخلق الفني : ان الذات تتركب من فعاليات بيولوجية واخرى شعورية ، تحملها في كينونتها ، وكل هذه الفعاليات تتفتح وتنمو ، داخل وسط مجتمعي ، ازاء مواقف حيث تظهر الذات ، باعتبارها هذه الشخصية او تلك . ولهذا ، يجند الانا كل فعالياته ، في استقلالها ـ المترابط ، ويتحقق ، بكامله ، في الفعل الخالق . فالاثر الفني نموذج الروابط بين مختلف الفعاليات التي تصدر عن الذات ، وبين المظهر المحسوس لنتيجة تداخل الكائن ـ و ـ الشخص . يعبر الفن ، في احوال خاصة ، من فترة تاريخية ، عن الاوضاع العامة للانسانية. فاساس الشخص، ليس الا الكائن ، اي المعطى الاول الذي لا يتغير ، ابدا ، بالنسبة للنوع البشري . اذا كانت العناصر التي تدخل في التركيب الانساني ، هي هي ، في كل الكائنات البشرية ، وجب ان يكون الشخص هو مصدر الفروق التي تميز بين الافراد ، فاوضاع نمو تلك العناصر الانسانية وكثرتها ، ونسبية امتزاج بعضها ببعض ، تختلف من كائن لآخر ، تبعا لمؤثرات الوسط الخارجي لكل فرد : هنا تفسير الاختلافات العديدة ، بين انواع

السلوك والكفاءات الفنية . فبما ان النماذج والقيم تختلف من بيئة لاخرى ، يتغير كذلك مفهوم الفن ، وتقنياته ، وبكيفية موازية .

فى العالم الاسلامي ، مثلا ، حيث ان هناك اوامر تحرم النحت والتصوير الفني للكائن البشري ، نجد ان هذه التعابير الفنية لا تلعب اي دور فى المجتمع ، الى حد ان تقاليد الفرس والبيزنطيين، فى هذا الميدان، قد غمرها النسيان (1) . ولكنه ، حسب القانون المعروف ، عند أصحاب السيكولوجيا ، بقانون التعويض، برز ونما ، فى الاسلام ، فن جديد . عرف الشرق الاسلامي، خصوصا فى فارس ، ضروبا جديدة من الفن (النميقة miniature مثلا ) ، كما تكون ، بالمغرب والاندلس ، نوع آخر فى الميدان المعماري وفى الصناعات (النقش بالخط الكوفي و « التخريم » على الجبس ، ونقش الخشب والرخام ، وتذهيب الجلد وصناعة الزليج والاواني .. ) . ان هذه المظاهر الفنية اثرت على الذهنية الاسلامية ، فجعلت المثقفين المسلمين يميلون الى الفنون التي تعتمد على التخطيط الهندسي ، والى الاعتناء بالاشكال والوصف ، اكثر من الاعتناء بالتحليل النفساني وفنون الخيال .

ق الفن انعكاس للشخص ــ الكل ، فى تشعبات تكوينه. وبما أن الشخص يخضع لتناقضات باطنية تترابط ، وتتطور ، وتتوالد ، وتتعقد ، فانه ينبثق من كل حالة من حالاته اثر فني يجانسها .

ان الانا يتمركز فى الكائن ، ولذا كثيرا ما يفاجىء الكائن الشخص بنواحي من السلوك ، ووجوه من الاختراع لم يكن يتوقعها الشخص ، ولم يسبق له بها اية معرفة . فالفن يظهر كابداع ، او ينبثق كقوة ثورية .

ان الفن ( بصفته تعبيرا عن عصر من العصور ، وعن جميع القوى المتضاربة التي يستمد منها المجتمع حيويته ) يساهم فى تكوين هذا العصر . والفنان يصارع دائما ، الحتميات ، فآثاره تعبير عن قساوة هذا العراك من اجل الحياة ، لكنها تعبر كذلك عن آمالنا ، وحماسنا ، وتعشقنا للحياة . فالفعاليات الفنية ، اذن ، رابطة أساسية بين الكائنات الانسانية ، هذا بالاضافة الى انها جواب فعال للاستدعاء الذي توجهه الموضوعات لشعورنا ، واتصال متين ، بين عالم الفكر وعالم المحسوسات . انها تعبير للوسط وللزمن ، والقالب الضخم الذي تفرغ فيه مجموع معارف عصرنا، وعنه تنعكس درجة ثقافة هذا العصر. من هنا كان الفن اعمالا جماعية ، فهو يضع طابعه على كل الفعاليات الفكرية ، وكل انواع نشاط الحياة ، بصفة عامة (2) . فالاستيتيك ، حسب العرض الذي تقدم ، تصير طريقة تربوية مهمة للمواقف التي نتخذها فى مواجهتنا للحياة ، وسلاحا للكفاح ، ووسيلة لاجتياز الكائن نحو الشخص ، وتعاليا من الشخص الى الانسان . الاستيتيك لا تنحصر فى قضايا الذوق الشخصي ، بل هي اكثر اتساعا من ذلك . انها قضية ثقافية لبيئة ما ، فى عصر ما ، تشترك فيها المعرفة (العملية والنظرية) مع الضروب الخاصة لتفهم الاشياء، وللاحساس ، والتأثر . كان القصصي الفرنسي بالزاك يطلب من الفنان الرسام ان يصور له فى اللوحة الزيتية ، اشخاصا بآلامهم وأحزانهم وهمومهم ، بحيث يضطر المشاهد لهذا الاثر الفني ان يتأمل فى حياتهم . اليس لغز الفن فى القوة السرية التي تخول الفنان من ان يعطي للمادة الجامدة ، حياة ونبلا ، ويجعل منها شاهدا امينا ، يقارع الزمن ، معبرا عن جبروت ارادة الكائن البشري وعقله ، واحساسه ؟ .

ان التغيرات التي تعتري الفن ، ترجع الى كونه يسير مع الصيرورة التاريخية ، فى تشخصنها ، ويتطور مع التاريخ على الشكل الذي يتبعه الشخص ، فى نزوعه الى تحقيق الانسان . فالفن يماشي سير حياة البيئات التي يتكون فيها ، وتطور المادة التي بها يتجسم . من هنا كان اعظم انتصار يحرزه الكائن البشري على الاقنعة التي تتركب منها شخصياته ، وعلى المادة التي تخلد بها آثاره ، وعلى الحتميات التي يتحرر من قيودها .

---

1) ان هذه النظرية ، المعادية للنحت والتصوير الفني بلغت حد الافراط فى القرن السابع الهجري ، (13م) عقب حملة شعواء ، قام بها النووي ، وبعض اتباعه ، ولم تخف وطأتها الا اوائل القرن الرابع عشر (القرن العشرون م.) .

2) انظر كتابنا أحرية أم تحرر ؟ ، الفصل المتعلق بعلم الجمال (الاستيتيك) .

ان الانا نتيجة لاوضاع تاريخية وللشعور الشخصي العام. من ذلك تركب الشخصيات الخاصة، كما انه، من جهة اخرى، نتيجة التركيب الفردي المعقد للكائن، فذات الفنان تندمج برمتها، كذات كل، في الانتاج الفني، وتتعالى بتحقيقها للشخص في ميدان طاقته الخلاقة. فالابداع الفني يعكس عظمة طموح الشخص، وفضائله، وضعفه، وعجزه، وتضارباته، ومشاقاته، كما يعبر عن تناقضات، وصراع المصير الانساني، بصفة عامة، وعن الاحوال الخاصة لبيئة الفنان وزمنه. فالخلق الفني سلوك يكون، تارة بخضوع، واخرى بحماس، او سخرية، او انفعال وثورة. وامام هذه الانواع المختلفة للسلوك، يجسم الفن مواقف عصر ما، وسلوكا لانا او لجماعة. ومن خلال هذا السلوك، تبرز صورة عن طائفة او طبقة من المجتمع.

كثيرا ما يتجاهل العقل الانفعالات الحقيقية لاشخاص عصر ما، او على الاقل، يحاول اخفاءها، بتاويلات انحيازية او ناقصة للنصوص المكتوبة، وعلى العكس من ذلك، فالابداع الفني يدعو الى مشاركة وجدانية مباشرة (تقع، احيانا في الشعور الغامض) فيوحي بانواع من السلوك، ويحييها من جديد، رغم تعقيدها. هذا امتياز خاص بالفن، فمثلا: لو تساءلنا عن التمثال الشهير، « العبد » الذي نحته ميكيل ـ انجو، او عن الآخر المسمى بـ « الليلة » لكان جوابنا: رجل في الاغلال، وامرأة نائمة. لكن هذا الجواب لا يفي بالحقيقة، بل يقف عند مظهر سطحي. هناك المعنى الذي يرمز اليه الخلق الفني، بغية اثارة تجاوب بين الذوات والموضوعات. الا نفهم، مثلا، من العبد المكبل انه رمز ايطاليا المعذبة، تحت نير الاستبداد، بل رمز الانسانية جمعاء، في عصر ميكل ـ انجو؟ نجد نفس الواقعية، في التعبير، عند الفنان غويا. ففي آثاره الفنية، نشعر بالامة الاسبانية تزار غضبا وتتاجج ثائرة، ومن وراء اسبانيا نحس بغضب وثورة مجموع الانسانية.

ان « جمهورية » افلاطون، او « آراء اهل المدينة الفاضلة » للفارابي، مثلا، تتعلقان بالعقل، على الاخص، نعني انهما انتاج صدر عن الجانب الذي هو الشخص من الانا، لا عن الكائن. اما آثار الفنان، كفان غوغ الهولاندي، فهي تعبير، في آن واحد، عن كينونة الفنان وشخصه: فانتاج فان ـ غوغ، هو الرجل فان غوغ. انستطيع ان نطبق هذا على انتاج كـ « حديث المنهج »، رغم انه من عيون ما الفته الانسانية، فنقول أن ديكارت هو « حديث المنهج » و « حديث المنهج » هو ديكارت؟ ان هذا التاليف لم يكن ديكارت ـ الكل، فديكارت لم يكتب الا ما امكنه ان يكتبه، لا كل ما اراد ان يكتب. فالفرق كبير، بين ما كان يود أن يكتبه، وبين ما كتبه بالفعل (نجد معلومات حول هذا في مراسلاته، وكذلك في القسم الاول من «حديث المنهج»). وهذا مايفسر الاحتياطات التي اتخذها، في بعض مؤلفاته، بعد أن شاهد محنة غليلي، ومما دعاه ايضا، الى تاليف « اخلاقية موقتة »، والى تجنب بعض المسائل التي تتصل بالدين. يفسر هذا السلوك، عند ديكارت، بمراعاته للرقابة المجتمعية، وتغلب ناحية الشخص على ناحية الكينونة في الانتاج الفكري. اما مع الفن، فغالبا ما تطغى اندفاعات الكينونة على تدخلات الشخص.

❊ ❊ ❊

نلمس، من خلال العرض السابق، أن الخلق الفني يكون ابلغ نموذج حي للوحدة التاليفية « كائن ـ شخص ». بما أن مفهوم « انسان » قد صار، الآن، واضحا لدينا، يسهل تعريفه، ولو بكيفية تقريبية.

الانسان هو الكائن الذي قد بلغ تشخصنه درجة من النمو تجعله، حينما يقوم بنشاط ما، يحقق نوايا ترمي الى ابعد من الاشياء الفردية. انه يضع معادلة بين افعاله ونواياه، وملاءمة نتيجة النشاط مع النية، تستلزم، من الذات، تفهما للاوضاع، وللوسائل التي يقتضيها الفعل الرامي الى هدف معين. فالربط، بين الاجزاء والمجموع، عمل يصدر عن وعي رابط، دينامي يبرز للعالم في نفس الحين الذي يظهر فيه الكائن، ثم يتفتح وينمو مع الشخص، في سيره نحو الانسان.

كل نشاط (في مستوى الانسان) يتجه نحو قصد يرمي اليه الوعي، وبهذا يمتاز عن الافعال الآلية والحيوية. وكل نية ترمي الى تحقيق قيمة (ايجابية او وسيلة). لكن، هناك دوافع واسباب هي التي تحدد اختيار القيمة، والغاية المقصودة. وليست الدوافع والاسباب، دائما، خاضعة للتعقل او قابلة للتفسير. اني، حينما التزم بعمل في المستقبل، لا اقتصر فقط على الناحية المتزمنة والمجتمعية من الانا (التي هي وحدها القادرة على الخروج من الآونة الحالية

والتوقان الى المستقبل ، اي انها تقدر على ان تتصور ما لم يكن بعد ، وان تدخل الممكنات فى حيز المفاهيم ) بل اعتمد على المجموع المؤلف من شخصي وكينونتي ، اي انني اقوم وافي بكل التزام بانا ي ــ الكل .

انني ارادة ، وامتحان لبواعث ما اريد ، وتقدير، وذكرى ، وبيئة .. انني كل هذا ، مــن حيث انــا شخص ، وفى نفس الوقت ، انــي فعاليات بيولوجية ، وتنفيذ .. من حيث انا كائن . وزيادة على الشخص والكائن ، وابتداء من اتصالهما الوثيق ، يمكنننــي ان اكون انسانا ، اي قيمة يستطيع اي يحققها كل اولئك الذين يصلون الى نزع « الاقنعة » ، نعني شخصيات كل واحد منا . وعلى العكس من ذلك ، فالذيــــن يختارون الحياة الغير الصحية وخـداع النفـس (la mauvaise foi) يجهلــون ، الــى الابــد ، هــذه القيمة ، انهم لن يجدوا ، مطلقا ، من تيار الصدق ، وحرارته ما يكفيهم لاجتياز الشخصيات التي يلعبون دورها ( فى المجتمع وللمجتمع ) قصد الوصــول الــى الانسان الذي يجب ان يحققوه . وبين هاته الدرجتين المتطرفتين (درجة المقنعين ، ودرجة الذين نزعــوا الاقنعة) توجد درجات وسطى ثانوية .

* * *

فقولنا ان مصدر الالتزام هو الشخص ، معنــاه ان المواقف والمشاكل التي تتولد عن تاريخنا هي التي تملي كل التزام. فلا معنى للالتزام الا اذا راعينا فيه ، اولا ، الواقع المجتمعي الذي يجعل الشخص هو ما هو، اننا نتحدث عن الالتزام ، اما حقيقته ، فالتاريــخ مصدرها . فبتشخصن كينونتنا تندمج فى التاريــخ ، قبل ان نتحمله ، بل ان الفعل الذي تقوم به الكينونة ، للاندماج فى التاريخ ، ينقلها من الكائــن ــ فى حالة ــ الظهور الى كائن يزداد ، شيئا فشيئــا ، التزامـــه واندماجه فى حركة العالم . فالكائن فى التاريخ ، قــد صار الكائن ــ مع ــ الآخرين، انه شخصية . والشخص هو الكائن الذي له تاريخ . فى هذا المستوى ، تصيــر الــ «ملكية» والكينونة مرتبطتين . اما فى مستــوى الانسان ، فهنالك تجاوز لهذه الرابطــة ، الانســان « كينونة » و « ملكية » فى تاليف كيفي ، لا تكتمل ابدا حقيقته بكيفية مطلقــة .

ان الميت هو الكائن الذي يصير هــذا التاليف غير ممكن ، بالنسبة اليــه . افكر الآن فى ميت كنت اعرفه . فالمســالة هي ان نفهم كيف يصوغ لي ان افكر فى اللاموجود . ففكرة المــوت تتكون وتتدخل فى حيز التفكير ، بصفتها تاليفا يضم حالة وجود واقعي الى اثبات غياب تام ، نهائي (غياب اصبح نعتا لما لم يبق) : ان الموت يتجلى لي كواقع ، فى حين ان سنده قد فقد الحياة ، فالموت هو القطب السلبي للتشخصن . كلما فكرت فى الميت رجعت بي الذكرى اليه ، اي وضعت بيني وبينه اداة وصل ( « **مع** » او « **و** » ) ، اي دخلت معــه فى علاقة . ولكني موجود ، و « هو » لم يعد ! لقد كان ( او كما يقال ، اصبح فى خبر كان ) .

اما اذا كان من افكر فيه حيا ، ولكنــه متغيب فحسب ، فتفكيري فيه يكون عملية من نوع آخــر ؛ انها تفرض علي جهدا لانفي المكان ، اعني ان انكــر الكثافة المادية التي تبعدني عن هذا الكائن الغائب الذي افكر فيه . وفى الحد الاقصى ، لهذه العملية ، يمكــن ان تبلغ الكثافة ، التي تحجزني عن المفكر فيه ، مــن الضخامة ما يجعلها ككثافة الموت . الميت هو الكائــن الذي لم يعد فى اي اطار مكانــي ، ليــس « هنا » ولا « فى حيز آخر » ، ليس « كائنا » فى اي مكان ، ومــع ذلك ، مازال اتكلم عنه كما هو لو .. واتذكره ، واتخيله واتصـــوره .

وفى الواقع ، ماذا اتصور ؟ اتصــور شخصية ، اي مجموعة من الروابط ، ولا اتصور كائنا ، اتصــور ذاتا ، كانت لي معها علاقات ، كانت تسكن معــي ، فى المكان الفلاني ، او سافرت بصحبتي .. فانا ، حينمــا اتذكر هذه الشخصية، انما ابعث ، من منطقة النسيان، روابط جمعتني واياها فى مكان وزمن ، اي تواجــدات مجتمعية. ان ما يبقى من الشخصية ، فيما بعد الحياة، هــي جوانب التدخــلات المجتمعية ( لآثار الفنيــة والصناعية ، والمنجزات المختلفة ، وما نترك بعدنا من ذكريات حية ، ما انجبنا من بنين ، وما نترك من حسـرة فى قلوب ذوينا واصدقائنا ، والفراغ الذي نخلفه داخل الجماعات التي كنا نشارك فيهــا .. ) . فالصــورة الفوتوغرافية للفقيد تعكس شخصيته . ان السقط ، بعد اجهاض مثلا ، لا يترك اثرا ، لانه ينعدم ، قبل ان يتصوره المجتمع ، « ويشخصــه » ، اي قبل ان يتبناه و « يشخصنه » . انه ملبس ، وكفى : ليست له ورقة هوية ، ولا صورة فوتوغرافية ، وبالتالي لا يترك سمات (ولو ضئيلة) لذاكرتنا ولتصوراتنا . ليس الملبــص كائنا بشريا ، انما هو نتيجة مؤلمة لعملية تحملتها امراة، انه « شيء ما » بقي فى مستوى الاشياء .

ولنضرب مثلا آخر :

اني ، حينما افكر في ممثل كيوسف وهبي ، لا افكر في اسم معين فقط ، ولكني اتصور مواهب فنان ( من خلال نظرتي الى الفن المسرحي ) واتصور ، كذلك ، مختلف الظروف والمقومات المجتمعية التي بدونها يستحيل ليوسف وهبي ان يتصل بأفقي الخاص، بوجه من الوجوه .

فلنفرض ان يوسف وهبي ليس بفنان مشهور . هذا لا يمنعني من ان اعرفه ، كما اعرف كثيرا من الناس ، ليسوا بفنانين . لكن ، هل يتأتى ، في حالة هذا الفرض ، ان افكر في يوسف وهبي داخل مجموعة من المفاهيم والذكريات الفنية ؟ وهل يجوز لاسمه ان يستدعي ويثير هذا التفكير ؟

لقد ضربت المثال بيوسف وهبي ، لا لانه شخص « من » الاشخاص ، بل لانه « ذات » الشخص الذي يثير اسمه ، في نفسي (كلما تذكرته) التجديد في المسرح العربي المعاصر ، واتصور من جديد رواية « ابناء الشوارع » ، و « راسبوتين » ، وبعض الافلام ... ومعنى هذا ، انني حينما افكر في يوسف وهبي ، افكر في بعض الفترات من ماضي ، في اتصاله بظروف جمعتني ، بكيفية ما ، بيوسف وهبي ـ الفنان : قد أصبح وهبي وفنه جزءا من اجزاء افقي الثقافي . فتصوراتي الحالية تلح في أن تتوفر هذه المجموعة من العوامل لكي تكون تصورا ليوسف ، اني اتذكر من يوسف وهبي « شخصه » ، اي الناحية المجتمعية من هذا الرجل ، لا كينونته الخام .

* * *

لا يفهم الفكر الاشياء الا ضمن علاقات بعضها ببعض ، وحتى فيما هو من اعماقنا ، كالتفكير ، والذكريات ، والعواطف . لابد من روابط : فالتفكير لا يكون الا تفكيرا في . والذكرى لا تكون الا تذكرا لـ ... ، والتعاطف لا يفهم الا بين اثنين ، على الاقل (ذاتين ، او ذات وموضوع) ، والحب يربط محبا بمحبوب ... فنحن حينما نفكر نفكر «مع» او «ضد» (وفي غالب الاحوال « مع » و « ضد » ، في آن واحد) . فـ « المحاورات » الافلاطونية تفكير افلاطون مع سقراط ، وضد السفسطائيين .

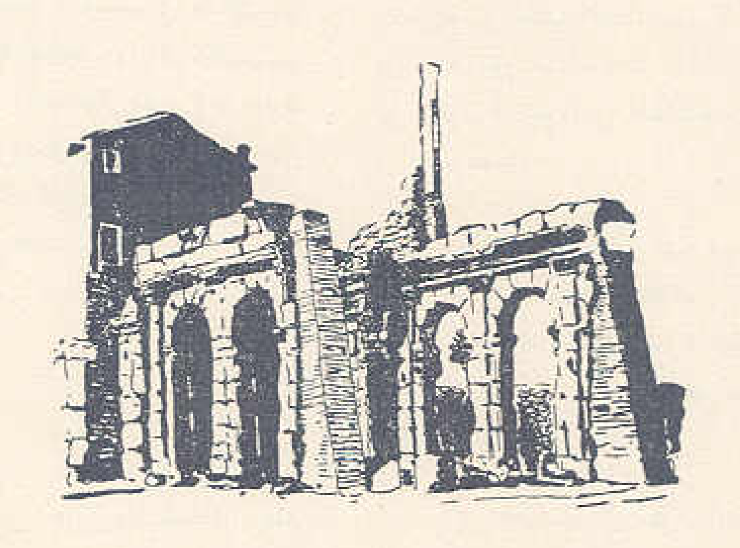
هكذا ، نشاهد ان كل تفكير هو تفكير لعصر ، وفي هذا العصر ، ومدين له . ولو عارض المفكر كل نظريات معاصريه . فسبينوزا ومالبرانش ، وان كانا فيلسوفين اصيلين ، يعدان ، في نفس الوقت ، من المنتمين للمدرسة الكارتيزيانية ، في اتجاهات مختلفة . فمثلا ، يقتبس سبينوزا من الدين فكرة خلود الحياة ويصوغها في قالب عقلي مقتبس من ديكارت . اما مالبرانش ، فانه ، وان قبل الكوجيطو (من بين ما اخذ من ديكارت) يهتم بالمعاني التي يفكر فيها ، اكثر من الطريقة المتبعة في التفكير ، لو ان الدائرة ، التي اشاهدها ، لم تكن اي شيء ، فاني حينما افكر فيها ، اكون لا افكر في شيء . ان الذين يكتفون بعرض المبادىء والاتجاه لمذهب فلسفي ، او لمدرسة ادبية او فنية ، لا يعرفونها الا تعريفا ناقصا . فالتحديد الكفيل بان يعرفنا ، معرفة تامة بذلك المذهب او تلك المدرسة ، هو كل تحديد يبرز ما يحيط بهما من مذاهب ومدارس مضادة وموازية ، اي ان كل تعريف ، لنشاط ثقافي يجب ان يحتوي على عنصرين اساسيين : ضد و مع .

* * *

ان الكائن يلج هذا العالم ، مجهولا ، لا اسم له ، ولا ورقة هوية . ولكنه ، بمجرد ما يندمج في الصيرورة وفي اللحظة التي يبدا فيها تشخصنه ، ينقلب « ذاك الشيء » الذي دخل العالم ، الى كائن تاريخي . والموت هو الحد الاخير للتشخصن ، وتصدعه ، وتفكك عناصر الشخصية . وما السهو ، وما الغفلة ، الا درجة في هذا التصدع ، كما ان الامراض ، المسماة بـ « امراض الشخصية » ، درجات اخرى . فـ « انسان » مفهوم يفرض ، مسبقا ، تاليفا من الكائن والشخص ، فلا يوجد انسان ، ولا يمكن ان يوجد ابدا ، خارج هذا التاليف . وعلى العكس من ذلك ، فالعنصران الاساسيان لهذا التاليف (الكائن والشخص) يمكن وجود احدهما مستقلا عن الآخر : هناك الكائن بلا شخصية ، ولا شعور ، ولا نزوع (مثال ذلك : المليص والجنين) ، وهناك الشخص بلا كائن ، يحيا في آثاره فحسب ، اي في الذكريات التي نحتفظ بها ، كالصور الفوتوغرافية الباقية رغم فناء صاحبها (مثلا ، حينما اقول انني احب ابن زيدون ، فمعناه انني احب آثار الشاعر الذي حمل هذا الاسم ، احب

« ابن زيدون ــ الشاعر » مع جهلي المطلق بكينونته).
بعد الموت ، اي الانفصام البالغ حده الاخير ، ينعدم الانسان ، كليا ، وجزئيا ، بشخصه . تقول ان الميت يضمحل جزئيا بشخصه ، لانه يبقى ، فى ذاكرة الآخرين ، فى الآثار الفنية ، فى الاعمال التي قام بها ، وفيما ترك من ممتلكات . فالانفصام لا يحصل بين الكائن والشخص فحسب ، بل بين «الملك» و«الكينونة» كذلك ، لان الكائن البشري تأليف من كينونة وملك .

فالتشخصن ، اذن ، هو الكائن البشري ــ الكل .
فالحاجه الاساسي هو ان يكون له حقل لنشاطه : المجتمع . والبيئة المجتمعية لا تقدم للكائن المجالات والشروط اللازمة للتشخصن فحسب ، بل انها توجهه ، كذلك ، التوجيه الرامي الى تحقيق الانسان.
حقا ، ان البيئة لا تعمل فينا ، بعصا سحرية ، او عن طريق نداء نخبة من معاصرينا ( كالاولياء والابطال والمتصوفة ، كما ادعاه برجسون فى كتابه « منبع الاخلاق والدين» ) ، ولكنها تتخذ طرقا متغيرة الى اللانهاية ، تدفعنا بها دفعا الى النشاط ، والى متابعة الجهود . فبقدر ما يشارك احدنا ، عمليا ، فى سير المجتمع ، بقدر ما يصنعه الوسط ويكيفه . فهناك حركتان تكون المجتمع ، منا ولنا ، فكلما حصل تخلف، بين خضوعنا وتحملنا الحياة ، من جهة ، وبين نشاطنا من جهة اخرى ، وقف التشخصن عن سيره الطبيعي، كما ان كل اصطدام يقع بين قابليتنا لتاثير المجتمع ، وبين قدرتنا على التكيف معه ، يحدث مشاقة فى شخصيتنا ويفتت الانا ، وهذه اكبر ماساة تعرفها الشخصية . وانها لماساة ، ايضا ، ان يعيش شعب من الشعوب محنة انفصام ، بين مستواه الثقافي الحاضر، وبين الفترة الحالية التي وصل اليها تاريخ المدنية الانسانية . فلكل عصر بدائيون ، وهم جميع الافراد الذين لا ينسجمون (او لم يبقوا قابلين لانسجام) مع وسطهم . انها بدائية نسبية ، تتغير من بيئة لاخرى بيد ان لكل بيئة بدائييها . انهم دائما عرضة لشعور خاص .






**مكث** القرطاجنيون فى الشمال الافريقي من سنة 814 ق.م. الى 146 ق.م. وكان تأثيرهم فى حياة البربر العامة قويا بسبب سلوك سياسة المسالمة التي انتهجوها ، والتي نتج عنها احتكاك اخوى بين عنصرين يتشابهان من حيث طباعهما ، وهكذا تناول هذا التأثير وجوه النشاط الاجتماعي والفني والاقتصادي الى جانب الحياة الدينية ، وقد قام القرطاجنيون باعمال عمرانية كثيرة على طول سواحل المغرب من شرقي مليلية الى حدود السنغال .

والتأثير البونيقي واضح فى الميدان اللغوي حيث الصلة قريبة بين البربر والقرطاجنيين الذين ترجع لهجاتهم جميعا الى اصول سامية ، ومن الطبيعي ان يكون التأثير البونيقي فى تونس ثم فى الجزائر اقوى منه فى المغرب ، واذا كان حكم القرطاجنيين مباشرا فى تونس ، فانه يفقد هذه الصفة خارجها ، حيث كان لها بين بربر المغرب والجزائر حلفاء يمدونها بالجند فى ساعة الحرب ويباشرون الحكم بانفسهم فى ممالكهم ، بل ان بعض رؤساء نوميديا صاهروا البونيقيين الذين عملوا على استمالتهم بهذه الطريقة ، ومن ملوك البربر المغاربة الذين اشتهروا فى عهد القرطاجنيين بكار Bokkar الذي حكم المغرب فى مطلع القرن 3 ق. م. ولكنه لم يلبث ان اصبح تابعا لماسينيسا النوميدي بعد اسر صيفاقص ، وكانت طنجة يومئذ عاصمة المغرب .

**الحياة الدينية :**

لم يكن للقرطاجنيين دين خاص مستحدث ، فقد استمدوا طقوسهم من الكلدان ، وتمتاز بتضحيات قاسية ، اذ كان لكل مدينة الهها « بعل » الذي يقدم اليه عابدوه اولادهم للقتل اذا لزم الامر ، وكانت الامهات يحضرن بزينتهن عند تقديم اولادهن للقتل ، وكل ذلك ارضاء «لبعل» الذي يغضب عندما يعصى القرطاجنيون اوامره .

والواقع ان القرطاجنيين كانوا شديدي التدين ، حتى لقد كان عظماؤهم يفاخرون بما يقدمونه الى آلهتهم من ضحايا بشرية ، وترتبط معظم اسمائهم بالديانة مباشرة ، فاملكار بمعنى خادم الاله Melquart وهانيبال بمعنى الذي يحظى برعاية « بعل » ، وهكذا .

ولمقابر القرطاجنيين التي عثر عليها فضل كبير فى التعرف على حياتهم الدينية ، ولسوء الحظ لا نكاد نعرف شيئا عن معتقداتهم حول الآخرة ، ولكنهم كانوا شديدي العناية بدفن موتاهم الذين كانوا يضعونهم فى نعش من خشب او رخام ، ثم يدفنونهم فى قبور منحوتة من حجر الطباشير ، ويتوصل الى القبور بواسطة آبار عميقة ، ثم بدأوا يحرقون موتاهم ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد ، ولكنهم ظلوا يقبرونهم فى قبور عميقة .

واذا كان بعل اكبر الهة قرطاجنة ، فقد كان هناك الهة ثانويون متعددون ككافون Gafon وعشتروت ، واشمون ، وكان ايمان القرطاجنيين بالسحر شديدا ، فقد كانوا يدفنون مع موتاهم مجموعة من التمائم والاقنعة وغير ذلك .

ومن الصعب ان نعرف بالتحديد مدى التأثير الديني للبونيقيين فى البربر ، غير ان بعض الهتهم

كانت موضع تقديس من لدن البربر خصوصا تانيت وبعل وبين Pene وبعل عمون الذي هو اله مزدوج يمثل عمون الليبي اله الماشية ( وهو ذو راس يشبه راس كبش) مع بعل اله الفينيقيين فى كل من صور وقرطاجنة .

**نظام الحكم والادارة :**

كان القرطاجنيون يحكمهم ملوك وحكام تساعدهم مجموعة من كبار الموظفين الذين ينتمون الى عائلات معينة ، وكان الملوك او الحكام يدعون ب Suffètes اما الحكومة فكانت تتألف من مجلس الشيوخ الذي كان له الحق فى اعلان الحرب او السلم ، كما حدث خلال الحروب البونيقية واستسلام قرطاجنة ، بل ربما كان هناك مجلس آخر للنواب على ما يظن ، ظهر فى اثناء القرن الثاني ق.م. وكان مجلس الشيوخ يقرر الضرائب اللازم استخلاصها ، كما يصدر التشريعات القانونية ، ويشرف على تعمير المدن وانشاء الموانىء

ولا يلقي التاريخ ضوءا كافيا على مدى اقتباس البربر من هذا النظام الشبيه بالديمقراطي ، ومع ذلك فان الروح القبلية ظلت تسيطر على مجموع البربر . ولو انها لم تتضح ( فى التاريخ على الاقل ) الا بعد الفتح الاسلامي ، ومهما يكن من شيء ، فان البربر عاشوا فى اغلب ايام الحكم القرطاجني يشكلون امارات او جمهوريات مستقلة ترتكز قبل كل شيء على النظام القبلي الذي يتسم من الوجهة السياسية بروح الديموقراطية (فى اطار القبلية) حيث لا حكم ولا قرار الا للجماعة، اما الرئيس، فهو رجل النصيحة والتوفيق بين الاراء .

**الحياة الاجتماعية :**

كان لباس القرطاجنيين يتكون من قميص طويل وطاقية شبيهة بالطربوش ، بالاضافة الى برنوس احيانا وكانت لحاهم متوسطة الطول ، وقد يصبغونها اذا ابيضت ، اما شعر رؤوسهم فكان قصيرا ، وكانوا يستعملون الكحل والحناء للزينة .

وكان للاب فى الاسرة القرطاجنية ، السلطة على سائر افرادها ، ومع ذلك فقد كان الرجال يحترمون مكانة المرأة التي كان فى امكانها ان تتولى بعض المناصب الدينية ، بل كان لبعض القرطاجنيات مقام سياسي رفيع كزوجة اسد روبال .

وكان القرطاجنيون يرسلون ابناءهم الى المراكز التجارية الخارجة عن قرطاجنة، ليتعلموا فن التجارة، وقد يسر لهم الاحتكاك بشعوب مختلفة تعلم عدة لغات ، وكانت الطبقة الحاكمة تتكون من الارستقراطيين ، يليهم فى المقام الاجتماعي طبقة التجار فالعمال الذين كانوا يشكلون نقابات او « حناطي » كالتي لا نزال نرى لها نظيرا فى المغرب .

وكانت عوائدهم شرقية فى مظهرها وجوهرها كما قرر ذلك كل من Gsell و Gautier, وكانوا يحرمون اكل الخنزير ، ويتناولون طعام الكسكس ، كما كانوا يعاملون الرقيق معاملة طيبة ويسمحون لهم بانشاء اسر خاصة ، وكانوا يرسمون يدا بشرية على ابوابهم لتقيهم من « العين » على غرار ما يفعله الآن بعض العوام بحذوة النعل .

ومن هذه المعلومات الوجيزة عن حياة القرطاجنيين الاجتماعية ، نعرف مخلفاتهم فى حياة المجتمع البربري من حيث الزي ومكانة المراة والطعام والعوائد .

**الحياة الاقتصادية :**

شغلت التجارة معظم وجوه النشاط الاقتصادي القرطاجني ، فقد كان التجار القرطاجنيون منبثين فى كل انحاء آسيا وفى قسم كبير من سواحل افريقيا واوربا ، وهكذا كانوا يجلبون من الجزر الاغريقية الرخام والصدف والنحاس ، ومن مصر الكتان والقطن والخيل ، ومن اسبانيا المعادن والقمح ، ومن الهند انواع الخشب الممتاز والاحجار الكريمة والعاج والبقول، ومن شبه جزيرة العرب انواع العطور .

وكانت تجارتهم عن طريق البحر بواسطة البواخر، كما كانت تتم عن طريق البر بواسطة القوافل ، وقد بدا تداول العملة لديهم فى القرن الرابع ق.م. وكانوا يصدرون بدورهم المنسوجات والاسلحة والخمور والاواني الزجاجية والمعادن الثمينة ، كما كانوا يتعاطون تجارة الرقيق التي كانت من اهم انواع تجارتهم ، وكان الرقيق يجلب على الخصوص من ايطاليا والحبشة والقوقاز ، وذلك لتزويد عظماء وامراء الشرق والشمال الافريقي بما يلزمهم من خدم.

وكان للقرطاجنيين مصانع تجمع عددا كبيرا من العمال للقيام بانتاج يسد الحاجيات المحلية والخارجية، وكانوا يقلدون المصنوعات المصرية ، وينتجون الملابس وانواع الالات الزجاجية والحلي وصبغة الانسجة التي برعوا في زخرفتها وتلوينها الصناعي ، مما اكسبها شهرة ظلت خالدة حتى بداية الفتح الاسلامي ، ونظرا لطبيعتهم التجارية التي ترغبهم في الكسب السريع ، لم تكن منتجاتهم الصناعية في جملتها مما يدل على براعة فنية ، اذ كانوا يهتمون بالزيادة في الانتاج دون مراعاة الاتقان .

وكانوا مع ذلك متفوقين في الزراعة والفراسة ، حتى ان ماكون Magon وضع اول كتاب في الفلاحة وهو مواطن بونيقي .

وقد اهتموا بغرس الزيتون وزراعة القمح والشعير وغرس الكروم والرمان والتين ، كما عنوا بتربية الخيل والماشية ، وكانت لهم معاصر كثيرة للزيتون .

**العمارة والفن :**

لا شك ان اعظم اثر عمراني تركه البونيقيون هو مدينة قرطاجنة التي لا تزال اطلالها شاهدة على هذه العظمة ، اما في المغرب فان من اوائل المدن التي انشأها الفينيقيون مدينة Liks خلال القرن الثاني ق.م بقرب العرائش ، وفي القرن السادس ق.م. انشأوا مدينة تينجي التي يحتمل ان تكون طنجة قد اخذت اسمها عنها ، اذ لا ريب ان نواة مدينة طنجة عرفت قبل هذا التاريخ كما انشأوا مدينة Russadir بناحية مليلية عند راس المداري الثلاث ، وترنكي Thrinké التي لا يعرف مكانها ، ولعلها قريبة من راس سبارتل وثيميا طيريون thymiaterion عند مصب سبو ، وميليطا Melitta بين ليكس وراس سبارتل ، اما اشهر المدن التي ترجع الى هذا العهد من غير شك ، فهي سلاكلونيا التي كانت تاخذ موقع شالة الحالية ، وكاريكون طيكوس مكان الصويرة .

وفيما يخص الناحية الفنية ، فقد كان القرطاجنيون مقلدين اكثر منهم مبتكرين ، وكانوا يستمدون من الفن الاغريقي والمصري في مبانيهم واوانيهم الخزفية ، ومن امثلة استمدادهم من الفن الاغريقي ضريح دكا بتونس ، اما في الفن المصري فيتمثل التقليد في الاوعية والمصنوعات الخزفية والبرونزية .

فلم يكن هناك اذا فن قرطاجني اصيل او هندسة اصيلة في البناء ، بيد اننا نجهل تماما مدى التاثير البونيقي في البربر من حيث طريقة البناء ، والظاهر ان هذا التاثير كان ضعيفا جدا ، حيث كانت عناية البربر بالفلاحة اكثر من عنايتهم باي شيء اخر ، ولا ريب ان البربر قد اخذوا كثيرا عن القرطاجنيين في فن الفلاحة الذي كان المورد الاساسي لمعيشتهم .

**الحياة الفكرية :**

كانت عناية البونيقيين بالنشاط الفكري تتمثل فيما تركوه من دواوين شعرية في الفلسفة والتاريخ والفلاحة ، ومن فلاسفتهم Asdruval ومن المؤرخين Silénos ومن المختصين في شؤون الفلاحة ماكون الذي تقدم ذكره .

وقد وجد عدد من مؤلفاتهم في خزائن النوميديين بعد انهيار امبراطورية قرطاجنة ، والظاهر ان الرومان قد استفادوا من هذه المصادر في اعطاء بعض المعلومات عن تاريخ البونيقيين ولكن اهم مرجع اقتبس منه المؤرخون هو نقوش القرطاجنيين وكتاباتهم في مختلف الآثار .

وقد اجمع المؤرخون على ان اهم المؤثرات البونيقية في البربر ، هو اللغة الفينيقية التي انتشرت انتشارا واسعا بين البربر ، حتى أن رهبان الكنائس ظلوا يلقون خطبهم بالفينيقية الى وقت متاخر من الحكم الروماني، كما استمرت هذه اللغة الشبيهة بالعبرانية والعربية لغة التخاطب الى جانب اللاتينية والبربرية عدة قرون .

ولسوء الحظ لا نعرف شيئا كثيرا عن مدى التاثير البونيقي في اللهجات البربرية ولو ان التاريخ يؤكد وجود هذا التاثير ؛ على ان الرومان قد حطموا معظم الاثار المكتوبة التي تركها البونيقيون ، ثم لانه لا توجد آثار بربرية ترجع الى هذا العهد ويمكن ان تفيدنا بنقوشها الكتابية .




**تعريف الموشحات :**

اذا قرانا فى الكتب التي تناولت الموشحات تبحث عن تعريف دقيق لفنها الجديد ، فاننا سنجد فى شرح مدلولها اقوالا مختلفة فى تحديده وتخصيصه .

ففي (دار الطراز) (1) (انها كلام منظوم على وزن مخصوص) وفى « تاريخ الفكر الاندلسي » (2) انها (نظم تكون فيه القوافي اثنتين كما هو الحال فى الوشاح) وفى « دائرة المعارف الاسلامية » (3) انها (قصائد نظمت من اجل الغناء) .

ولو صحت هذه التعريفات لاخرجنا كثيرا من الموشحات التي لا تسير على وزن خاص وانما توافق الاوزان العربية القديمة ، وكثيرا ايضا من الموشحات التي تتخذ فيها القافية اشكالا مختلفة ، ولا دخلنا غير قليل من القصائد التي نظمت من اجل الغناء ولكنها ليست من التوشيح فى شيء .

وقد نكون اقرب الى الدقة والتحديد اذا قلنا انها مصطلح على فن مستحدث من فنون الشعر لا يتقيد بالمنهج التقليدي الذي سارت عليه القصيدة العربية فى وزنها وقافيتها ، وانما هو متحرر الى حد بعيد من التزامه بتغير الوزن وتعدد القافية .

ولعل السر فى اصطلاح الموشحات على هذا اللون من الشعر اشتقاقه من التوشيح بمعنى التنميق ، أو من الوشاح او الاشاح وهو كما فى القاموس « كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف احدهما على الاخر واديم عريض يرصع بالجوهر تشده المراة بين عاتقها وكشحها » .

وسواء كان السبب فى تسميتها انها موضوعة على شكل الوشاح او انها منمقة ومزينة ، فالمعنى واحد فى كلتا الحالتين هو التجميل والتصنيع .

**الموشحات وقيود الشعر العربي :**

ينقسم الموشح الى اجزاء يسمى بعضها اقفالا ويسمى البعض الآخر ابياتا ، فالاقفال « هي اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها فى وزنها وقوافيها وعدد اجزائها » ، والابيات « هي اجزاء مؤلفة مفردة او مركبة يلزم كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية ابيات الموشح فى وزنها وعدد اجزائها لا فى قوافيها بل يحسن ان تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر » (4) ويسمى كل قسم فى الاقفال والابيات غصنا ، ويطلق على البيت دور (5) وقد يشمله مع القفل الذي بعده (6) .

والموشح اما تام وهو ما تكون من ستة اقفال وخمسة ابيات ، وحينئذ يكون اوله قفلا يسمونه المذهب او المطلع ، لا تقل اغصانه عن اثنين قد تتفق قافيتها وقد تختلف ، واما اقرع وهو ما تكون من خمسة اقفال وخمسة ابيات وحينئذ يكون اوله بيتا .

---

1) لابن سناء الملك ص 25 . 2) للمستشرق الاسباني بالنثيا ص 142 .
3) لدى مادة موشح . 4) دار الطراز تحت عنوان : حد الموشح .
5) كما عند الاشبيهي فى المستطرف ج 2 ص 237 . 6) كما عند ابن سناء الملك

واذا كان القفل الاول من الموشح غير اساسي فيه حيث يوجد ولا يوجد فالقفل الاخير ويسمونه الخرجة من الاركان التي لا يتم بدونها ، وهي كما عند ابن سناء الملك « ابزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره »، واشترطوا في الخرجة ان تشتمل على شيء من الفكاهة والمجون والسخف وان تكون الفاظها ملحونة غير معربة الا اذا كانت بيت شعر مضمنا او كانت مستعارة من موشحة اخرى ، والا اذا كانت الفاظها غزلة جدا او كان موضوعها مدحا وذكر فيها اسم الممدوح ، واستحسنوا الى جانب هذا ان تكون باللفظ العامي او العجمي كما في بعض الخرجات الاندلسية التي وردت بالرومانية ، وكما فعل ابن سناء الملك فقد جاءت بعض خرجاته بالفارسية وان تكون قولا او غناء يورده الوشاح على لسانه او لسان غيره من الناس والحيوان يقدم له في الدور السابق على الخرجة بلفظ يتضمن معنى القول او الغناء كقلت وغنت وغيرهما مما يمهد به ، وربما جاء اغلب الخرجات محكيا على لسان فتاة تبدي حبها لصاحبها وتتغزل فيه .

اما من ناحية الوزن فمن الموشحات ما ورد على الاوزان القديمة كالرجز والمديد والخفيف والهزج والسريع والمتقارب والبسيط والرمل في اغلب الاحيان، ولعلها في مرحلتها الاولى وقبل ان تتطور كانت تنظم على هذه الاوزان وغيرها من البحور التي تقاس بها القصيدة العربية .

ومنها ما ورد على اوزان جديدة ومع ذلك فهي كما لاحظ ابن سناء الملك مما « يدركه السمع ويعرفه الذوق كما يعرف اوزان الشعر ولا يحتاج فيها الى وزنها بميزان العروض » .

ومنها ما تنوعت اوزانه فجاءت بعض اجزائه على بحر قديم والاجزاء الاخرى على اوزان جديدة .

ومنها ما ورد على الاوزان المألوفة يعمد الوشاح الى كسرها كان يلتزم حرفا على حركة معينة او يقحم كلمة مما يخرج الوزن عما هو معروف، ومنها الى جانب هذا ما لا يسير على البحور القديمة ولكنه « مضطرب الوزن مهلهل النسج مفكك النظم لا يحس الذوق صحته من سقمه ولا دخوله من خروجه .. وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسده الا بميزان التلحين فان منه ما يشهد الذوق بزحافه بل بكسره فيجبر التلحين كسره ويشفي سقمه ويرده صحيحا ما به قلبه وساكنا لاتضطرب فيه كلمة » (1) .

وقد حاول الوشاح الاندلسي الشهير باعمى طليطلة ان يحصر اوزان الموشحات فجمع منها مائة وستة واربعين يمكن ارجاعها كلها الى بحور الخليل(2) ولكنه لم يستطع استقصاء جميع الاوزان التي نظمت بها .

واما من ناحية القافية فقد سبق ان قلنا انها تختلف في الابيات وتتفق في الاقفال التي هي كاللازمة تعيد على السمع نفس الايقاع . وهذه موشحة لاعمى طليطلة نوردها نموذجا لهذا الفن قال :

غصن      غصن

**قفل :** ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري

(مذهب او مطلع)

**بيت**
آه مما احد    شفني مما اجد
قام به وقعد    باطن متئد
كلما قلت قد    قال لي اين قد

**قفل :** وانثنى خوط بان ، ذا فنن نضر
عابثته يدان للصبا والقطر

**بيت**
ليس لي منك بد    خذ فؤادي عن يد
لم تدع لي جلد    غير اني اجهد
مكرع من شهد    واشتياقي يشهد

**قفل :** ما لبنت الدنان ، ولذاك الثغر
اين محيا الزمان من حميا الخمر

**بيت**
بي هو مضمر    ليت جهدي وفقه
كلما يظهر    ففؤادي افقه
ذلك المنظر    لا يداوي عشقه

---

1) ابن سناء الملك .
2) دائرة المعارف الاسلامية .

**قفل :** بابي كيف كان ، فلكن دري
راق حتى استبان ، عذره وعذري

**بيت**
هل اليك سبيل او الى ان اياسا
ذبت الا قليل عبرة او نفسا
ما عسى ان اقول ساء ظني بعسى

**قفل :** وانقضى كل شان ، وانا استشري
خالعا من عنان ، جزعي وصبري

**بيت**
ما على من يلوم لو تناهى عني
هل سوى حب ريم دينه التجني
انا فيه اهيم وهو بي يغني

**قفل :** قد رايتك عيان ، لي عليك ساتدري
سايطول الزمان وستنسى ذكري

**خرجه**

### الموشحات وموضوعات الشعر العربي :

يبدو ان الموضوعات التي عالجها الموشحون كانت فى اول الامر غنائية تعنى بوصف المراة والطبيعة والخمر وغير ذلك من مواطن الجمال ينطلق الموشح فى اجوائها المنتشرة فى رحاب الاندلس وقد بسط فيها الجمال بسطا سرعان ما يجذب النفوس اليه فتنفعل وتنفجر.

ولكنهم لم يلبثوا وخاصة فى العهد المرابطي ان استغلوها فى مدح الملوك والامراء سعيا وراء الشهرة والعطاء يستهلونها بمقدمة غنائية ربما لجأوا اليها لانها كانت تغني فى حضرة الممدوح ، فقد ذكر ابن خلدون ان ابن باجة القى على بعض قيناته موشحه يمدح بها ابن تيفلويت صاحب سرقسطة مطلعها

جرر الذيل ايما جر     وصل الشكر منا بالشكر

وما ان انتهت القينة من خرجتها التي تقول فيها:

عقد الله راية النصر     لامير العلى ابي بكر

حتى صاح ابن تيلفويت (واضرباه) وشق ثيابه وقال : ( ما احسن ما بدات وختمت ) ؛ وليس بعيدا ان يكون الموشحون قد لجأوا الى هذه المقدمات ليعبروا عن شخصيتهم فى حديث ذاتي يخلون فيه الى انفسهم قبل ان يجرفهم حديث الممدوح ، شأنهم فى ذلك شأن الشعراء الذين يستهلون قصائدهم بمقدمات غزلية ، لعلها كانت منوالا نسج الوشاحون عليه .

ومثل المدح موضوعات اخرى شديدة الصلة به كالمدائح النبوية التي لمع فيها نجم ابن الصباغ الجذامي، وكادب المناسبات من تهاني ووصف القصور وغير ذلك مما نجد له امثلة فى (نفح الطيب) و (ازهار الرياض) كذلك كان التصوف من الموضوعات التي نظم بها الموشحون وخاصة محيي الدين بن عربي (1) وابو الحسن الششتري (2) ضمنوها كثيرا من رموز الصوفية ومصطلحاتهم .

واكثر من التصوف كان الزهد موضوعا عالجه الموشحون لم يبعدوا فى مضمونه عما فى زهديات الادب العربي من ذم للدنيا ومتاعها وذكر للموت والدار الآخرة وغير ذلك مما نجده فى موشحات شمس الدين الواسطي وابن عبد ربه وابن الصباغ الجذامي .

وعند ابن سناء الملك ان (ما كان منها فى الزهد يقال له المكفر والرسم فى المكفر خاصة ان لا يعمل الا على وزن موشح معروف وقوافي اقفال ، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدل على انه مكفره ومستقبل ربه من شاعره ومستغفره ) .

ويظهر ان هذا الذي ذكره ابن سناء الملك لا ينطبق الا على نوع خاص من موشحات الزهد كالتي تقول ابن الصباغ فى اولها :

وربعهم ما اشكلا     بكل رسم طاسم عنوان
رسوم ظاهر البلى     منها لكل حازم تبيان

وفى خرجتها :

ان جئت ارض سلا     تلقاك بالمكارك فتيان
هم سطور العلا     ويوسف بن القاسم عنوان

وهي خرجة لموشح ابن بقي فى مدح يوسف بن القاسم قاضي سلا (3) .

وكما عالجوا فن المدح عالجوا فن الهجاء يذكرون فيه المساوىء ويعددون العيوب لدرجة قد تصل احيانا

1) توفى سنة 638 هـ.    2) توفى سنة 668 هـ.
3) كما فى الجزء الثاني من النفح .

الى الفحش ، وفي كتاب (المغرب) اورد ابن سعيد كثيرا من موشحات ابن مزمون في هذا الميدان كالتي يهجو فيها القسطلي والتي ذكر له منها قوله :

تخونك العينان يا ايها القاضي فتظلم
لا تعرف الاشهاد ولا الذي يسطر ويرقم

واذا كان ابن مزمون قد برع في الهجاء لدرجة الاسفاف احيانا فهو قد برع كذلك في الرثاء الذي لم يعجز الموشحون عن طرق موضوعه ، فقد اورد له كتاب (المغرب) (1) مرثية في ابي الحملات قائد الاعنة ببلنسية وقد قتله النصارى يقول في مطلعها :

يا عين بكي السراج الا زهرا النيرا اللامع
وكان نعم الرتاج فكسرا كي تنشرا مدامع

وفي خرجتها :

يا قلبي المهتاج تصبرا زان الثرى مدافع
ابن ابي الحجاج فهل ترى لما جرى مدافع

واذن فموضوعات القصيدة العربية ومعانيها هي نفس الموضوعات والمعاني التي عالجها اصحاب فن التوشيح ، يقول ابن سناء الملك : (والموشحات يعمل فيها ما يعمل في انواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد ) ؛ وربما قصر الموشحون منهم في العصور المتاخرة على موضوعات اللهو والمجون وكل ما يتصل بالهزل دون موضوعات الجد كالمدح والرثاء .

**نشأة الموشحات :**

اتفق المؤرخون لفن التوشيح على أن نشاته كانت في اواخر القرن الثالث الهجري واختلفوا في تحديد لبيئة التي نشأ فيها فجعلها بعضهم بلاد المشرق وجعلها البعض الآخر بلاد الاندلس .

اما الذين يعزون نشأتها الى المشرق وعلى راسهم المرحوم كامل كيلاني فينسبونها الى ابن المعتز معتمدين على ورود هذه الموشحة في ديوانه :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت في غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكا
وسقاني اربعا في اربع

ما لعيني شقيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذاما شئت فاسمع خبري

شقيت عيناي من طول البكا
وبكى بعضي على بعضي معي

غصن بان من حيث استوى
بات من يهواه من فرطالجوى
خافق الاحشاءمن هونالقوى

كلما فكر في البين بكى
ويحه يبكي لما لم يقع

ليس لي صبرا ولا لي جلد
ما لقومي عذلوا واجتهدوا
انكروا شكواي مما اجد

مثل حالي حقها ان تشتكي
كمد اليأس وذل الطمع

كبد حرى ودمع يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
ايها المعرض عما اصف

قد نما حبك عندي وزكا
لا تقل في الحب اني مدعي

والواقع انه ليس لهذا الراي ما يثبته ، اذ ليس مجرد ورود هذه الموشحة ، التي بقي غامضا امر تسربها الى ديوان ابن المعتز دليلا على انها له في حين انها لشاعر اندلسي هو الطبيب ابو بكر بن زهر الشهير بالحفيد نسبها له كل من ياقوت وابن سعيد وابن الخطيب وابن دحية وابن ابي اصيبعة وابن سناء الملك حيث وضعها ضمن الموشحات الاندلسية من غير ان

1) ص 217 ج 2 .

ينسبها لابن زهر ، وليس هذا ترددا منه في نسبتها له فطريقة ابن سناء انه لا يذكر اسم اصحاب الموشحات ، ولعل النظر في اسلوب هذه الموشحة ومقارنتها بغيرها من منظومات ابن زهر في هذا الفن يؤكد نسبتها اليه ، ولو كان ابن المعتز صاحبها لوصلتنا منه نماذج اخرى غيرها ولقلده فيها غيره من شعراء المشرق ، اكثر من هذا ان المؤرخين لهذا الفن سواء منهم المغاربة او المشارقة اجمعوا على انها من مبتكرت الاندلس ، ففي (ازهار الرياض) (1) ان ابن خاتمة (2) قال في حديثه عن الموشحات : (وهذه الطريقة من مخترعات اهل الاندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالانفس ، هم الذين نهجوا سبيلها ووضعوا محصولها ) ، وفي (المطرب) (3) انها ( زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق ) وفي مقدمة ابن خلدون (4) ان هذا الفن ( استحدثه المتاخرون من اهل الاندلس ) وفي « دار الطراز » (5) ان الموشحات (مما ترك الاول للاخر وسبق بها المتقدم المتاخر واجلب بها اهل المغرب على اهل المشرق ) وفي خلاصة الاثر والذخيرة ونفح الطيب كلام يشبه هذا الذي ذكرنا يعزو اصحابه للاندلس اختراع هذا الفن ، وهذا هو الراي الثاني في نشاة الموشحات ، وقد اختلف القائلون به في اول من سبق الى نظمها ، هل هو مقدم بن معافى القبرى اخذها عنه ابو عبد الله ابن عبد ربه كما عند المقري (6) وابن خلدون (7) ؟ او هل هو ابن عبد ربه كما عند ابن سعيد (8) ؟ واذا كان هل هو ابن عبد ربه صاحب العقد المكنى بابي عمرو ام احد احفاده ؟ او هل هو محمد بن حمود القبري الضرير كما عند ابن بسام الذي بقي مترددا بين نسبتها له او لابن عبد ربه ؟

الحق اننا امام هذه الخلافات لا نستطيع ان نبث في راي خاصة واننا لا نملك نماذج لا من موشحات مقدم ولا ابن حمود الذي لا يعرف حتى عصره ، الذي عاش فيه واغلب الظن ان مقدما هو نفسه ابن حمود كما اننا نستبعد ان يكون ابو عبد الله محمد بن عبد ربه حفيد صاحب العقد هو اول من نظمها لسبب بسيط وهو انه متاخر عن عصر نشأتها فقد ذكر المراكشي في (المعجب) انه رحل الى مصر ولقي فيها ابن سناء الملك ، وكل ما يمكن ان نقول هو ان من اول البارعين في فن الموشحات احمد بن عبد ربه ويوسف ابن هرون الرمادي وعبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز .

ولعل اهم من هذا كله معرفة الاسباب التي ادت الى اختراع هذا الفن والاسس التي قام عليها في نشأته وتطوره ، يقول بن خلدون : ( واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتاخرون منهم فنا سموه الموشح ) (9) .

وينكر هذا القول الدكتور مصطفى عوض (10) ويرى ان الذين اخترعوا الموشحات ليسوا ممن يصح ان يطلق عليهم كلمة المتاخرين ، فابن عبد ربه ونظراؤه من قدامى شعراء الاندلس عاشوا بها قبل ان يبلغ الشعر الاندلسي درجة كبيرة من التنميق وتهذيب المناحي والفنون ويرى كذلك ان الشعر المشرقي قد بلغ درجة من التنميق لم يصلها الشعر الاندلسي في اي عصر من عصوره ومع ذلك فان المشارقة لم يخترعوا الموشحات واعترفوا بعجزهم عن تقليدها .

وحاول المستشرق نيكل ارجاع الموشحات الى اصل عربي فزعم انها تقليد لمقطوعات ابي نواس وضعت ابياتها في ترتيب مغاير ، وحاول مثله المستشرقان الالمانيان هارتمان وفرايتاخ فزعما انها امتداد للمسمطات التي كان شعراء المشرق ينظمونها ، والى هذا الراي يذهب الدكتورشوقي ضيف حين يقول(11): (ونردها الى تطور في المسمطات والمخمسات التي عرفت منذ عصر ابي نواس في القرن الثاني الهجري والى ما نزع اليه بعض الشعراء العباسيين من نظم الشعر على اوزان جديدة غير اوزان الخليل المتبعة على نحو ما نعرف عن ابي العتاهية ورزين العروضي معاصره ) .

---

1) ج 2 ص 123 . 2) صاحب كتاب (مزية المرية) . 3) ص 186 .
4) ص 583 . 5) ص 23 . 6) ج 2 ص 253 من ازهار الرياض .
7) ص 265 مع تحريف في بعض الطبقات حيث ورد اسم مقدم بن معافر الضريري .
8) في المغرب وقد نقل عنه السيوطي في وسائل مسامرة الاوائل .
9) المقدمة ص 583 . 10) في كتاب (فن التوشيح) ص 99 .
11) في مقدمته لكتاب (فن التوشيح ص 8) .

ولو صح هذا الراي لكان المشارقة اولى بهذا التطوير ولسبقوا اليه ولفاقوا الاندلسيين فى نظم الموشحات او لسايروهم على الاقل فى غير تكلف ، ويزيد فى ضعف هذا الراي انه لم يعرف عن شعراء الاندلس انهم كانوا ينظمون المسمطات او ما يشبهها ، وحتى اذا كانوا قد مارسوا هذا اللون فانه لم يصلنا منه شيء .

وعلى عكس هؤلاء فان بطرس البستاني يرى ارجاعها الى اصل فرنسي ويزعم ان العرب تأثروا بالمنشدين الفرنسيين المعروفين بالجونكلور les jongleurs ثم بالطروبادور les troubadours البروفانسيين الذين كانوا يتجولون فى فرنسا فى القرن العاشر فما بعده ؛ وهذا راي يخالف ما ذهب اليه اغلب الباحثين الاوربيين وخاصة المستشرق كليمان هوارت من ان عرب الاندلس كانوا اساتذة التروبدور فى فن القوافي والاوزان الشعرية .

ويذهب المستشرق الاسباني ميلاس فلكروزا Millas Villicrosa المتخصص فى الدراسات العبرية الى القول بان الاناشيد العبرية الدينية المعروفة بالبزمون Pizmon والتسبيحات اللاتينية التي يرددها المصلون عقب كل فقرة من فقرات الترتيل الديني كانت الاصل الذي استوحاه مخترع الموشحات

واستبعد الدكتور احمد هيكل (1) ان يتاثر المسلمون الاندلسيون بشيء متصل بالدين لما عرف عنهم من تعصب شديد ونفرة واضحة مما يشوب العقيدة حتى لقد كانوا ينفرون من الفلسفة بل من المذاهب الفقهية المخالفة لمذهبهم فكيف يعقل ان يتاثروا ببعض الاناشيد اليهودية الدينية .

ويرى فؤاد رجائي (ان اختراع الموشحات كان اثرا من آثار زرياب) (2) وان هناك شيئين جوهريين نقلهما زرياب من المشرق هما طريقة تطبيق الايقاع الغنائي على الايقاع الشعري ، وطريقة الغناء على اصول النوبة الغنائية ) ، ويعتقد ان هاتين الطريقتين هما اللتان اوحتا الى الشعراء والمغنيين الذين اتوا بعد زرياب باختراع الموشحات ) (3) .

ولو تأملنا هذا القول لوجدنا فيه ما يرد به عليه فهو يذهب الى ان المصدر الذي استوحاه الشعراء فى ابتكار الموشحات مستورد من المشرق حمله زرياب البغدادي معه ، واذن فلماذا لم يظهر هذا الفن فى المشرق ؟ ولماذا لم يسرع المشارقة الى نظمه ؟ ولماذا جاءت موشحاتهم متكلفة لم يستطيعوا بها مجاراة موشحات الاندلس ؟ اما غير هؤلاء من الباحثين فيذهبون الى القول بان فن التوشيح انما هو تقليد لشعر غنائي ولكنهم مختلفون فى نوع هذا الشعر .

فالمستشرق الاسباني خليان ريبيرا يذهب الى انه شعر الاغنيات الرومانية (4) ولكنا لا نستطيع اقرار هذا الرأي او تفنيده ما دام التاريخ لم يحتفظ لنا بنماذج من هذه الاغنيات وان كنا لا ننكر ان المسلمين فى الاندلس كانوا يستعملون اللهجة الرومانية فى شؤونهم العادية وفى معاملاتهم مع الاسبان .

كذلك ذهب هذا المستشرق الى افتراض آخر هو ان هذا الغناء الذي استوحاه الوشاحون جليقي وحجته ان النساء الجليقيات كن يعملن فى البيوت الاندلسية مربيات للاطفال ومغنيات فى الحفلات ولكنا لنفس السبب الذي استبعدنا به رايه السابق نستبعد هذا الراي كذلك ، والراجح عندنا ما ذهب اليه الدكتور الاهواني (5) من ان الاصل فى فن الموشحات هو الاغنية الشعبية التي ظهرت فى البيئة الاندلسية منذ عهودها القديمة والتي لا شك انها كانت تمتزج فى نظمها لغة الاندلسيين العربية بلهجة الاسبان الرومانية .

ـ يتبع ـ

---

1) فى كتابه (ادب الاندلس ص 156) .
2) فى كتابه (الموشحات الاندلسية) ص 47 سلسلة من كنوزنا .
3) نفس المصدر السابق ص 98 .
4) الرومان de roman يطلق على مجموعة اللهجات المتفرعة عن اللاتينية والتي كان يتكلمها معظم سكان اوروبا فى العصر الوسيط .
5) الزجل فى الاندلس ص 2 .




# عن اليهود والصهيونية وإسرائيل

للأستاذ : عز الدين عبد القادر

**بعدما** انبثق النظام الشمسي في آخر الامر من السديم الداكن .. او من اي شيء آخر .. وبعدما انحسرت عصور الجليد المتتابعة التي اجتاحت بقسوة ارضنا هذه .. وبدات تغطيها منذ اكثر من نصف مليون سنة .. وبالتحديد بعد ما انتهى عصر الجليد الرابع والاخير اي منذ حوالي مائة الف سنة حسب تقدير الجيولوجيين علماء طبقات الارض المعاصرين .. نشأت عن المجاري التي احدثتها ركامات الجليد الذائبة انهار عديدة .. ولكن دجلة والفرات والنيل اجتذبت فيما يبدو جميع من بقي من البشر على قيد الحياة بعد الطوفان .. الى جوار هذه الانهر الثلاثة حيث وجدوا عندها المناخ حارا نسبيا .. وقد اتبع الانسان وعائلته خط الجليد المتكفىء من المنطقة التي تؤلف اليوم الخليج العربي ودلتا النيل لينشىء مدن سومر او (شومر) القديمة ومصر لان تأريخ الانسانية المدون الثابت بدأ هناك ..

والحق ان العراق – كما يقول لورنس غريزوولد – او بلاد ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، كان منذ عهوده الاولى ارض ري وقنوات وخيرات كثيرة .. وكذلك كانت مصر ..

فقبل ميلاد السيد المسيح باكثر من الفي سنة ، في نفس الزمن الذي كان فيه بالعراق سيدنا ابراهيم ابو الانبياء ، وضع الملك حمورابي الفاتح المشرع العظيم ، الذي حكم العراق طوال ثلاث واربعين سنة ذهبية (2123 – 2081 قبل الميلاد) وهو ابن ( الملك سن مبالط) الذي يسمى خطأ باسم امربال (كما سماه اليهود خطأ كذلك في توراتهم باسم – امرافل – في سفر التكوين الاية 14 : 1 ) .. وضع حمورابي الذي ورث عن ابيه عرش بابل .. شرائع تلقي على المواطنين مسؤولية المحافظة على نظام الري في العراق .. وقد سجلت شريعته على مسلة من حجر البازالت الاسود طولها متران تقريبا كتبت نصوصها باللغة البابلية القديمة والخط المسماري وتشمل على 282 مادة تناولت فضلا عن شؤون الري .. معظم القضايا والعلاقات الاجتماعية والعقوبات وجرائم الاعتداء على الاشخاص وعلى الرقيق والاموال الخ .. كما تحتوي هذه الشريعة ايضا على بعض الاحكام التجارية والحربية وبالاجمال على كل ما ينظم حياة البابليين الاجتماعية ..

وكانت هذه المسلة قد وضعت في (ايساجيلا) وهو معبد اله بابل مردك او (مردوك) اله الخير وحكيم الالهة في مدينة بابل ..

وقد عثرت على هذه المسلة البعثة الفرنسية التي كانت تواصل تنقيباتها الاثرية في موقع (سوس) في عيلام جنوبي العراق بين عام 1902 – 1903 . ومدينة (السوس) هي عاصمة (عيلام) القديمة التي يجتمع فيها تاريخ الشرق القديم برمته ويرتبط اوله بآخره ..

وقد اكتسبت هذه الشريعة البابلية القديمة اهمية اخرى من جراء تشابه قسم كبير منها للتشريع السمري ، وشريعة النبي موسى فيما بعد وغيرها من الشرائع السامية ، ولهذا حرصت هنا على الاشارة اليها .

ويرجع تاريخ سيدنا ابراهيم الخليل ابو الانبياء الى حوالي 1950 قبل الميلاد حينما صحب عائلته

القليلة العدد ـ المنحدرة في الاصل من احدى قبائل اليمن الرحل بجنوب شبه الجزيرة العربية ـ صحبها في ذلك الوقت مهاجرا بها من مسقط راسه في مدينة (اور Ur) في جنوب العراق شرقي الفرات عبر الهلال الخصيب متوجها الى ارض كنعان (فلسطين). وكان ذلك في عصر امتاز بالهجرات المتعددة للقبائل والشعوب .. ايام الدولة الوسطى الملكية بمصر (العائلة الفرعونية الحادية عشرة) .

وكان دفع القبائل المهاجرة والشعوب بعضها لبعض في منطقة الهلال الخصيب والشرق الادنى عموما يهدد وادي النيل .. لهذا استطاع فراعنة الاسرتين الثانية عشر والثالثة عشر حوالى عام 1900 ـ 1800 قبل الميلاد ، ايقاف سيل الهجرات نحو مصر تحت ضغط الموجات المتتالية من الحثيين والكاشيين التي تدفقت على الهلال الخصيب من هضاب اسيا والاناضول ..

ولكن مصر لم تستطع بعد زوال الدولة الوسطى وبالتالي زوال استقلالها ان توقف سيل هذه الهجرة اليها خاصة بعد بدء الاضمحلال الثاني الذي اصابها وقتئذ اثر غزو الهكسوس لها الذي استمر من عام 1850 ـ 1710 قبل الميلاد .. اضطربت فيها احوال مصر وتمزقت .. ودام هذا الاضطراب وهذا التمزق بعد خروجهم وقتا ليس بالقليل .

ويعتقد معظم المؤرخين ان هؤلاء الهكسوس ليسوا جنسا واحدا . ل هم خليط من سكان قدموا من هضاب اسيا الصغرى وكانوا يجذبون معهم العبرانيين من سكان ارض كنعان العربية في اتجاههم لغزو مصر . كشأن العبرانيين دائما في كل زمان ومكان في ملاحقة زحف الغزاة والمستعمرين بقصد استغلال الشعوب المغلوبة على امرها ..

كانت اضطرابات هذه الهجرات الجارفة للقبائل والشعوب في منطقة الشرق الاوسط .. لا يعطي احداها الفرصة لكثير من هذه الشعوب والقبائل للاستقرار بسبب العوامل الاقتصادية .. وسعي هذه القبائل الدائم وراء القوت . وهي حقيقة تاريخية اكدها القرآن الكريم .. كما اكد ان يوسف الصديق سبط ابراهيم قد نال حظوة كبرى في بلاط الهكسوس الاجانب، الذين كانوا يحكمون مصر قسرا في ذلك الوقت .. او بمعنى ادق .. كانوا يحكمون منها جزءا صغيرا في دلتا النيل .. الامر الذي اتاح ليعقوب ـ اسرائيل نفسه ـ

وبنيه ـ بني اسرائيل ـ الاسراع لانتهاز الفرصة المواتية للهجرة الى مصر المحتلة .. والحصول على ارفع المناصب وارغد الوان الحياة في خدمة الحكومة الاجنبية المتسلطة على شعب مصر .. واوضح القرآن الكريم بكل دقة ان ذلك قد تم لهم هربا من ضغط الشعوب المهاجرة من قبل الى كنعان مما سبب هناك ـ اي في فلسطين ـ المجاعة ، وكان من نتيجة ذلك تكاثر عدد بني اسرائيل في مصر ـ رغم استعبادهم فيها بعد ذلك ـ وزيادة ثروتهم بقدر ازدياد طمعهم في خيرات مصر واستغلالها اسوأ استغلال أدى بهم آخر الامر الى استرقاقهم واضطهادهم وتعذيبهم ..

ومما لاحظه علماء التاريخ والاجناس ان اليهود في جميع العصور كان عددهم يتضاعف ويكثر تناسلهم كلما زاد اضطهادهم وتعذيبهم .

وابراهيم كان من اعظم الانبياء والمرسلين تجوالا ، فكان بذلك رحالة كبيرا : انتقل من (اور) ـ او المقير كما هو اسمها حاليا في العراق الحديث ـ الى (نينوى) في شمال العراق .

وكان ابو ابراهيم نحاتا يصنع التماثيل والاصنام في ( اور ) ويعبدها مع قومه فاختلف ابراهيم معهم وثار عليهم داعيا الى عبادة الله وحده فغضب عليه قومه وتبرا منه ابوه واسلمه الى السلطات التي حكمت عليه بالموت حرقا كعادتها المتبعة مع الخارجين على الدين الوثني والقانون والدولة في تلك الايام ..

ونجا ابراهيم من الموت حرقا بمعجزة .. ففر هو وبعض اهل بيته من (اور) في الجنوب الى (نينوى) في الشمال حيث تزوج هناك زوجته الاولى العاقر ساره . (ونينوى هي الآن مدينة الموصل بالعراق) .

ولم يلبث ابراهيم ان هاجر من جديد مع موجات الهجرات المتدفقة على الهلال الخصيب الى بعلبك في شمال لبنان ومنها الى اورشليم (القدس) ثم الى شبه جزيرة سيناء في طريقه الى مصر .

وفي مصر تزوج ابراهيم بمصرية هي زوجته الثانية (هاجر) ثم هاجر من جديد عائدا الى ارض كنعان العربية (فلسطين) حيث عاش في مشارف الشام حياة ناعمة كانت تجري رغدا الى ان اكلت الغيرة قلب زوجته الاولى العاقر ( سارة ) بمولد ابنه

البكـر ( اسماعيل ) الذبيح ـ وليس صوابا ما يدعيه اليهود من ان ابن ابراهيم الذبيح هو اسحاق ، كما انه ليس صحيحا كذلك ما يدعونه من ان هاجر المصرية زوجة ابراهيم وام اسماعيل ، الجد الاعلى لنبينا محمد سيد الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، كانت احدى جواري زوجته سارة ، وهبتها له من بين خادماتها وجواريها بعد العودة الى كنعان من مصر فاستولدها اسماعيل ( سفر التكوين ، الاصحاح 25 : الاية 12 ) ، ـ ولليهود فى هذا الموضوع قصة عجيبة ستناقشها على ضوء البحث العلمي فى مقال آخر عند دراستنا للتوراة ـ لهذا سافر ابراهيم بصحبة زوجته (هاجر) وابنه الوحيد الصغير اسماعيل متجها الى الحجاز ، واوغل فى السفر جنوبا حتى انزلهما فى بقعة جرداء بواد غير ذي زرع اسمها ( بكة ) وتسمى الآن (مكة) وترك هناك قلبه وحبه واهله زوجته هاجر وفلذة كبده اسماعيل ثم عاد مرة اخرى الى قريته ( الخليل ) بكنعان حيث مات فى فلسطين عام 1820 قبل الميلاد ودفن بها ويعرف مقامه الآن هناك باسم (الحرم الابراهيمي) بعد ان انجب بمعجزة الهية ابنه الثاني اسحاق من زوجته الاولى العاقر (سارة) .. فى آخر ايام حياته وبعد ان بلغ من الكبر عتيا ..

يقول المؤرخ المصري المحقق الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ان الخليل ابراهيم : « كانت له علاقات متتابعة بكل مدينة منمدن القوافل الكبرى فى زمانه» ..

والجدير بالذكر ان علماء الآثار اكتشفوا فى مطلع هذا القرن فى ارض الفرات .. صورة منحوتة فى الصخر للخليل ابراهيم رسمها يهود القرن الثالث للميلاد تعتبر بحق اقدم صورة اثرية له وهي تمثله رجلا ابيض اللون متوسط القامة ممتلىء الجسم فى الخمسين من عمره اشيب الشعر كث اللحية كثيف الحاجبين واسع العينين طويل الانف الاقنى بارز الوجنتين غليظ الشفتين صلب الرقبة حافي القدمين يرتدي جلبابا طويلا الى نصف الساقين لونه ابيض باكمام طويلة له فتحة عند الرقبة من غير شق فوق الصدر يتدلى من فوق كل كتف خط ملون اسود الى قرب السرة ثم يتوسط طرف كل خط شريط يبدأ من تحت هذين الخطين يتدلى الى آخر الجلباب من تحت مزين بخطوط عرضية والزي عموما يشبه الى حد كبير زي العامة الشائع بين العبرانيين القلائل الذين انحدروا من قبائل اليمن بجنوب شبه الجزيرة العربية الى العراق فى (اور) زمن عصر سلالة بابل الاولى ايام حمورابي ..

## القـــدس

كانت القدس قديما تسمى باسم (يبوس) نسبة الى اهلها اليبوسيين العرب وهم بطن من بطون الكنعانيين سكان ارض كنعان (فلسطين) ..

ومن ملوكهم الملك (مليكصادق) وهو ملك عربي صميم .. كان اول من اختط القدس وبناها .. وكان ملكا وديعا محبا للسلام .. ومن هنا جاء اسمها القديم (سالم) وهو كما يبدو اسم عربي صميم من غير شك ولا نزاع . وعرفت القدس فيما بعد باسمها الكنعاني (اور ـ سالم) اي مدينة السلام .. وقد ورد اسمها فى الاداب البابلية والمصرية القديمة فكان يكتب محرفا (يروسليمو) الذي زاد مع الايام تحريفا فاصبح يعرف فيما بعد باسم (جوريزاليم Jérusalem) ..

ولقد شهدت هذه المدينة كثيرا من المعارك التاريخية .. وتوالى عليها الغزاة والفاتحون .. تارة يحاصرونها ويدكون اسوارها.. وتارة اخرى يفتحونها ويحتلونها ..

ولقد استولى عليها داوود النبي الملك من ايدي اصحابها اليبوسيين العرب سنة 1000 قبل الميلاد واتخذها عاصمة ملكه ثم خلفه عليها ابنه سليمان الذي بنى فيها هيكله على جبل موريا .. لا صهيون كما سماه العبرانيون بعد ذلك .. وفى سنة 586 قبل الميلاد هاجمها نبوخذنصر فخربها وسبى اليهود الى بابل .. واستولى عليها كورش ملك الفرس بعد ذلك بنحو نصف قرن من الزمان فاعاد السبي ورمم المدينة وبنى اليهود هيكلها ثانية ..

وكورش او (قورش) ملك الميديين والفرس .. كان مشهورا بالجمال والوسامة لدرجة جعلت الفرس يتخذونه نموذجا لجمال الجسم حتى آخر ايام فنهم القديم .. كما كان مشهورا بروح التسامح بصورة نموذجية للخلق الايراني !! وهو الذي خلط هيرودوس تاريخه بكثير من القصص الخرافية التي تجعلنا لا نستطيع أن نرسم صورة صادقة لشخصيته الحقيقية..

وقورش هو مؤسس الاسرة الاخمينية (اسرة الملوك العظام) من السلالة الكيانية التي حكمت بلاد الفرس في ازهى ايامها واعظمها صيتا .. (من عام 538 ق.م الى عام 331 قبل الميلاد) .

وفي عهده حققت الحركة الصهيونية العالمية الوليدة اول انتصاراتها باخضاع هذا الملك الفارسي لزوجته اليهودية استير التي دفعها ابن عمها مردخاي بعد نجاح الصهيونية السرية التي نظمها اليهود في الاسر ببابل لاعادة اسرائيل وحكم العالم، حققت . تجاحها في تزويج الملك من ابرع عميلات الصهيونية السرية وهي استير .. دفعها ابن عمها مردخاي الذي كان عشيقها في نفس الوقت ومن اشد عملاء الصهيونية تحمسا .. الى اخضاع شاه ايران ذلك الزمان لارادة اليهود .. واعادة بني اسرائيل من الاسر في بابل الى ارض الميعاد ..

وهكذا انقذ بنو اسرائيل فعلا من الاسر وانتصروا في النهاية من المحنة بفضل نظامهم السري الجديد الذي ولد خلال الاسر والمحنة .. الا وهو نظام وخطط الصهيونية العالمية .

وقد هلك الملك قورش عام 526 قبل الميلاد وقبره موجود حاليا في جهة (بازار جاده) وتعرف المنطقة الموجودة بها بالفارسية باسم (تحت مادر سليمان) وتكتب احيانا (باسركاد) وكانت مدة حكمه تسع سنوات (538 ــ 529 قبل الميلاد) ..

والمعروف ان خلفه في حكم فارس كان ابنه قمبيز الملك الفارسي الذي هاجم مصر وغزاها ثم اصيب بالجنون فانتحر بالقرب من اكباتانا .. ويقال اغتاله رجاله كما يروي بعض المؤرخين ..

وفي عام 332 قبل الميلاد زحف الاسكندر الاكبر المقدوني على مدينة القدس .. وفتحها عنوة .. ومن بعده حكمها البطالمة (البطالسة) والسلوقيون ..

ولما كان الشيء بالشيء يذكر .. فانه يقال ان ماركوس انطيوخس الثامن او انطونيوس (ويسمى احيانا انطونيو ولعله اسم التدليل الذي كانت تناديه به حبيبته كليوباترا (كليوباطره) . اهدى الى كليوباترا ملكة مصر وهو في القدس ــ وذلك بين عامي 125 و121 قبل الميلاد ــ مدينة (اريحا) التي تبعد عن القدس 38 كيلومترا في الشمال الشرقي منها واريحا هي اقدم مدينة مسورة في العالم .. وقد باعتها كليوباترا فيما بعد الى الملك اليهودي الفاسق هيرودوس الكبير .

وفي عام 63 قبل الميلاد جاء (بمبيوس) الى القدس ودمرها تدميرا ونكل بالمكابيين (بني اسرائيل) شر تنكيل ..

وفي عهد هيرودوس الكبير عمرت القدس بعد تدميرها واعيد بناؤها على طراز جديد انيق ، وفي آخر ايامه ايضا ولد السيد المسيح في بيت لحم . وقد منيت القدس فيما بعد بضربات اخرى قاسية انزلها بها الرومان على اثر الثورات المتتالية واعمال الشغب الفاشلة التي كان يقوم بها اليهود من وقت لآخر بعد ان فقدوا طويلا حكمهم لهذه البلاد حكما لم يزد في جملته عن تسعين سنة فقط خلال الخمسة آلاف سنة الماضية .

فقد خف اليها (تيطس ابن فسباسيانوس) الروماني سنة 70 ميلادية فشد عليها الخناق وهدم منازلها واحرق هيكلها .. وقتل اهلها واسر منهم خلقا كثيرا .. وجاء من بعده ادريانوس سنة 135 ميلادية فاخمد فيها ثورة ثانية لليهود واراد ان يزيل المعالم المسيحية ايضا فاعاد بناء المدينة على طراز وثني .. واقام فوق القبر المقدس ــ قبر المسيح ــ وغيره من مقدسات المسيحيين هيكلين وثنيين تنصب فوقهما تمثالي المشتري والزهرة واطلق اسم (ايليا كابيتولينا (Aelia Capitolina على القدس .. وحرم جميع اليهود من دخول المدينة الا في يوم واحد فقط في السنة هو يوم (احد الشعانين) ومن يدخلها منهم في غير هذا اليوم يقع تحت طائلة عقوبة الموت ..

وقد عرف المسيحيون بعد خراب مدينة القدس على يد تيطس وادريانوس ان نبوءة السيد المسيح بخراب القدس ومصيرها التعس قد تحققت ..

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد لليهود في القدس اسم يذكر او اي كيان سياسي بعد ان فقدوا منذ زمن طويل مضى قبل هذا حكمهم السياسي فيها .

## فلسطين عربية

يقول البروفسور آلبريت Prof. W. F. Albrigt احد كبار الثقات العالميين فى تاريخ فلسطين القديم ، فى كتابه العلمي : Archaeology of Palestine - 1949 « انه ليس فى فلسطين اية اثار يهودية يرجع تاريخها الى ما قبل العهد الروماني الانطوني » ..

وهو ينص فى وضوح لا يحتمل اللبس او الشك على اثبات هذه الحقيقة فيقول : « كان كثير من العلماء يعتقدون قبل ان يبسط (كهل Kohl) و (ووتزنجر Watzinger) ومن بعدهما (سوكينيك Sukenik) نتائج ابحاثهم ان بعض الكنائس الخربة فى الجليل ترجع الى عهد المسيح ، قبل الثورة الاولى .. اما اليوم فلم يبق اي ريب فى ان هذه النظرية كانت خاطئة ، وانه ما من اثر باق فى فلسطين يرقى الى ما قبل العهد الانطوني على ابعد تقدير .. »

ويزعم الصهاينة .. والصهاينة وحدهم اليوم .. ان ما يسمى (بحائط المبكي) فى مدينة القدس القديمة .. هو بقية من هيكل سليمان .. وهو زعم لا تدعمه الاسانيد التاريخية فانه من الثابت علميا عند علماء الآثار ان ذلك الجدار هو الهيكل الذي بناه حوالي سنة 20 قبل الميلاد هيرودوس الكبير الايدومي .. الملك الذي اعتنق الديانة اليهودية رغم انف اليهود ورغم معارضتهم الدامية له وقتئذ .. ويؤكد البروفسور البريت ان اعتناق هيرودوس الكبير لليهودية (انما كان لاغراض سياسية) .

وهيرودوس الكبير نفسه هو ذلك الملك المتهود الضعيف المعروف بفجوره .. الذي هام حبا بابنة زوجته وربيبته الفتاة اليهودية الفاتنة (سالومي) هياما جعله لا يتورع عن ذبح نبي الله يحيى بن زكريا او (يوحنا المعمدان) اكراما لليلة شهوانية حمراء يقضيها بين احضان هذه الشيطانة الساحرة .. والتمتع بجسمها اللعوب .. ورقصاتها النارية السبعة ..

ويقول رينان فى مقال نشره بالجريدة الاسيوية سنة 1882 :

« يستفاد من اعمال الرسل الفصل 2 ــ 9 ، ان اللغة العربية كانت فى حياة المسيح من جملة اللغات المتداولة فى القدس » ..

وكان ذلك فى نهاية حكم هيرودوس الكبير المذكور .. وكان هيرودوس ملك اسرائيل يقيم فى عاصمته (سبسطية) السامرة اليوم .. التي كان الامبراطور الروماني اغسطس قيصر قد اهداها له فى سنة 20 قبل الميلاد .. وكان قد بناها من قبل (عمري) ملك اسرائيل واتخذها عاصمة له .. ويعتقد البعض ان سبسطية هذه هي المكان الذي دفن فيه سيدنا يحيى عليه السلام .. بعد ذبحه .. وهي تبعد مسافة 27 كيلومترا الى الشمال من القدس قرب مدينة نابلس الحالية (واصل اسمها محرف من اسمها الروماني القديم (فلافيانابوليس ــ اي المدينة الجديدة)

وليس ادل على عروبة فلسطين منذ القدم ان اول الاسوار العديدة التي اقيمت حول القدس كان اليبوسيون هم اول من فكر فى تسويرها به . وبنوه فعلا حولها سنة 2500 قبل الميلاد ولم تزل بقاياه قائمة حتى اليوم فى مكانها بالقدس شاهدا على ذلك .. واليبوسييون كما سبق ان بينت هم سكانها الاوائل من بطون الكنعانيين العرب الذين سكنوا فلسطين منذ فجر التاريخ .. وحكموها قبل ان يولد ابراهيم نفسه .. ابو الانبياء ..

ــ للبحث بقية ــ

# اللغة العربيّة بين الماضي والحاضر

للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

للتحدث عن اللغة العربية لابد من معرفة الاصل الذي انبثقت منه والجنس الذي تنتسب اليه .

ومن يدرس تكوين اللغات يجد أن الانسان الاول كان يعيش بين الادغال والكهوف لا تجمعه اي رابطة ، ولا تؤلفه اي جماعة ولا يحسن اي لغة ، انما كان اذا اراد التعبير عن بعض خوالجه او الافصاح عن حاجياته صاح صيحات مبهمة تقليدا لاصوات الطبيعة واشار اشارات تدل على التحبيذ او المعارضة ، ولا شك ان طبيعة النشوء والارتقاء احاطت بالانسان فاندرج فى سلك الحضارة ورقي سلمها واصبح بطبيعة الحال يحتاج الى اشياء واشياء كان فى غنى عنها قبل تمدنه واصبح مضطرا الى لغة يعبر بها فاختلق الفاظا ووضعها واصطلح عليها لتكون هي الواسطة بينه وبين غيره .

وحيث ان الانسان لم يستقر فى مكان خاص فى هذا العالم بل تعدد مستقره . وحيث انه لم يكن متحدا تمام الاتحاد مع من جاوره نظرا لفطرته الاولى التي كانت تقترب من طبيعة الوحوش فقد نزح بعضه عن بعض وتعددت بسبب ذلك مواطنه واختلفت اوضاعه وتغيرت لهجاته وتعابيره فاختلفت بسبب ذلك اللغات العالمية .

وذهبت جماعة من علماء التاريخ الى ان اصل الانسان يرجع الى آسيا ولذلك فهم يعتبرون جميع اللغات العالمية قد تسربت الى العالم عن طريق آسيا ويرجعون هاته اللغات الى اصول ثلاثة :

اولا ـ الاصل الآري نسبة الى الاريين الذين كانوا يسكنون قديما آسيا الوسطى وقد تفرقت قبائل هذا الجنس فى الهند واوربا وتكونت منه اللغة الفارسية والهندية واللاتينية وما تفرع عنها .

ثانيا ـ الاصل الطوراني ويطلقه جغرافيو العرب على جنس كان يسكن جنوب باكستان ومنه تكونت اللغة التركية وما تفرع عنها .

ثالثا ـ الاصل السامي نسبة الى سام بن نوح ومنه تكونت اللغة العربية. ونحن اذا ما اردنا ان نبحث عن التطورات التي لحقت هاته اللغة يجب ان نتساءل عن موقف العرب فى التاريخ ودورهم فى الحضارة العامة للانسان ، ولنبدا بالتحدث عن اللغة العربية فى العصر الجاهلي ، وهو اصطلاح على العصر الذي عاشه العرب قبل الاسلام .

### اللغة العربية فى العصر الجاهلي :

لقد تبين لنا فى العرض السابق ان اصل اللغة العربية هو الاصل السامي ولكن هل بقيت هاته اللغة محدودة الالفاظ جامدة التراكيب محافظة على اصلها من غير ان يقع فيها اي تغيير ؟

لا يمكن ان نجيب عن هذا السؤال الا اذا علمنا ان اللغة لا تجمد الا اذا جمد المتكلمون بها وانها لا تقف فى السير الا اذا وقف واضعوها .

وحيث اننا نعلم ان العرب مذ كانوا وهم حركة دائبة ، وانهم منذ وجدوا وهم يعملون من اجل الحضارة الانسانية فاننا نتيقن بأن لغة العرب لم تبق جامدة بل تغيرت الا اننا نجد مؤرخي اللغة العربية يقولون :

« ان اقرب اللغات الى الاصل السامي هي العربية ويعللون ذلك بان العرب كانوا اهل بدو وانهم لم يخالطوا غيرهم لذلك بقيت لغتهم سليمة من الاختلاط والتأثر بمن حولهم ، ولكننا مع ذلك نرى ان هاته العلة لا تنطبق الا على جزء من الجزيرة العربية والا فان اللغة العربية قد اكتسبت من اللغات المجاورة لها الفاظا متعددة كما انها قد اثرت هي نفسها فيمن جاورها وهاته هي عادة الكون لابد من تاثر وتاثير بسبب الاختلاط .

ولتحليل ذلك يجب أن نعلم أن العرب كانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية فى الجنوب الغربي من آسيا وتحد شمالا بحدود الفرس والروم ( على الاصطلاح التاريخي ) وشرقا بالخليج الفارسي (العربي) وجنوبا بالمحيط الهندي وغربا بالبحر الاحمر وانهم كانوا يسكنونها متفرقين ، فكان فى جنوبها العرب القحطانيون الذين ينسب اليهم الحميريون ملوك اليمن ويسمون بالعرب العاربة اي العرب الاصليين ، واما الشمال فكان يسكنه العرب العدنانيون الذين يرجع نسبهم الى اسماعيل بن ابراهيم ويسمى هؤلاء بالعرب المستعربة : العربية انما دخلت اليهم عن طريق المصاهرة وذلك ان اسماعيل لما اقبل على مكة تزوج بامراة عربية من قبيلة جرهم وتكون من نسله هؤلاء واصبحوا يتكلمون باللغة العربية وتكونت منهم قبائل شتى حتى اصبح لكل قبيلة لهجة خاصة ربما لا تفهمها القبيلة الاخرى .

وعلى حدود فارس والدولة البيزنطية تكونت دويلتان عربيتان هما دولة الغساسنة على حدود الروم ملكت الشام وسوريا ودولة اللخميين فى العراق اسست سنة 240 ميلادية وانتهت بمقتل النعمان بن المنذر سنة 602 م.

ولقد كان اصل رؤساء هذين الدولتين من الجنوب وكانت لكل منهما عوائد خاصة واتجاه سياسي خاص ولهجات خاصة .

ولا شك ان هذا الاختلاف فى الاقامة كان من اعظم الاسباب فى اختلاف اللهجات حتى ان ابا عمرو ابن العلاء احد علماء اللغة فى العصر الاموي حينما تحدث عن لغة الجنوب قال : .. ما لغة حمير بلغتنا ولا عربيتهم بعربيتنا . هذا زيادة على ما دخل على اللغة العربية قبل الاسلام من كلمات من الدول المجاورة كالنبراس والسراج والاسطول والسفينة ونحو ذلك .

واذا ما اندرجنا مع هذا البحث فاننا نصل الى ان لهجات العرب كانت مختلفة جدا بحيث لا نستطيع أن نجعل اللغة فى العصر الجاهلي من مقومات الوحدة العربية . ولكن هل يمكن ان يستمر العرب على تفرقتهم واختلاف لهجاتهم ولغتهم من غير أن يظهر فيهم من يعمل على جمع وحدتهم ولم شتاتهم وتهذيب هاته اللغة ؟ .

لا شك ان العرب لم يكونوا متخلفين تخلفا تاما ولم يكونوا بالصورة التي يصورهم بها اعداؤهم ، ومن يدرس تاريخ اليمن فى جنوب الجزيرة العربية ويطلع على ما كان فى صفار وظفار وحضرموت من حضارة يحكم حينئذ على مكانة العرب فى التاريخ .

واذا علمنا ان الحميريين فى جنوب جزيرة العرب قد فكروا فى انشاء السدود وفى استغلال الطبيعة لري اراضيهم ولاكتساب الثروة عن طريق العلم لا عن طريق الصدفة لزاد اعجابنا بالامة العربية .

الا اننا لسنا ندعي بهذا العرض ان حضارة العرب فى العصر الجاهلي لم يصبها فتور ، او انها كانت عامة ، بل ان من سكان الجزيرة من كان يعيش على البداوة وان من المتحضرين من العرب من ضعف بسبب المناورات التي كان يقوم بها الفرس والروم فقد كانت هاتان الدولتان تعملان على ايجاد التفرقة بين العرب ونرى كثيرا من الحروب العربية انما كانت تاييدا لفارس او انتقاما من الروم او العكس ؛ ولم يكن العرب يريدون الرضوخ لهؤلاء او لهؤلاء الا انهم لم يجدوا زعيما يجمعهم على كلمة واحدة ، فكنت ترى فى الجنوب دولة وعلى حدود فارس دولة وعلى حدود الروم دولة ، وفى وسط الجزيرة قبائل متنافرة لا تشعر الا بالوحدة القبلية ؛ وشعر العرب بخطورة الموقف وشعر البدو اولئك الذين يتنافرون بأن مصير العرب الى فناء وانبثق من بين العرب خطباء وشعراء كانوا على دين النصرانية او اليهودية واصبحوا يوجهون الآراء الى الالفة والاتحاد ولكنها كانت صيحات فى واد ، الا ان الظروف الطبيعية هيأت الفرصة للعرب وائتلافهم واتحاد لغتهم وذلك ان عرب الجنوب كانوا يعيشون فى رفاهية من العيش نظرا لما اشتهروا

به من حضارة ، الا ان حربا عظيمـة وقعت في الجنوب بسبب اعتناق احد ملوك اليمن دين اليهودية واكراهـه سكان نجران المسيحيين على الابتعاد عن معتقداتهـم واتباعه في دينه الجديد ، فلما ابوا قتل منهم عددا كبيرا وفر بعضهم الى الدولة البيزنطية واستنجد بقيصـر الروم جوستيان فأمر القيصر حليفـه في الحبشـة بغزو اليمن ، واستولى الحبشيون عليها في القـرن الخامس الميلادي واستبدوا بهـا الى ان وجد زعيـم عربي اسمه سيف بن ذي يزن فاستنجد بالفـرس وارجع اليمن من يد الاحباش ، ولما كان الخلاف متجليا في الجنوب لم يتعهد الملوك الحاكمون سد مارب الـذي بناه العرب في القرن السادس وكان لانهياره اكبر الاثر في اتحاد العرب لان اليمنيين فر اكثرهم الى الشمـال وتفرقوا بين مكة ويثرب ، فانتقلت التجارة من اليمن الى الشمال ، واصبحت مكة هي العاصمة التجاريـة المطلقة واصبحت تنطلق منها القوافل التجاريـة الـى الشام والى ما بقي من ارض اليمـن ، وكانت هاتـه القوافل التجارية اكبر داع لتاليف العـرب وانتشار لغتهم وتوحيدها وتهذيبها وذلك لتهافت العرب على الاسواق التجارية الموجودة قرب مكة كسوق عكـاظ والمجنة وذي المجاز ، وكان العرب حينما ينتهون من البيع والشراء ينشد شعراؤهـم قصائد متعـددة في الفخر ويجعلون ذلك وسيلة للدعاية وحيث انهـم كانوا في مكة وما حولها فانهم كانوا يؤلفون تلك القصائد بلهجة قرشية حتى تنتشر بسرعة فاصبحت الظروف تعين على توحيد اللغة العربية .

ومما زاد لهجة قريش انتشارا وجود الاصنـام ـ التي كان يعبدها جل العرب ـ بمكة فكانوا يقبلـون عليها ويتمسحون بها ويخاطبونها بلهجة قرشية صميمة فاصبحت هاته اللهجة هي اللهجة السائدة في التجارة والادب والديـن .

وهكذا راينا العرب قد توحدت لغتهم واتفقـوا اتفاقا اوجدته الظروف على جعل لهجة قريش لغتهـم العامة ، ولكنهم كانوا مختلفين في الوجهات الفكريـة والخلقية ولذلك كانوا في حاجة الى من يوحد قلوبهم ، فكان من حكمة الله ان ارسل فيهم رسولا منهم بديـن الاسلام فحقق الوحدة للعرب ومكن اللغة العربية مـن الانتشار وطبعها بطابع الخلود ولا سيما حين انـزل القرآن بهاته اللغـة .

عزت اللغة العربية بنزول القرآن وكتب لهـا الخلود يوم اقترنت بالاسلام ، ولم تجد اي لغة وسيلة من وسائل النشر مثل ما وجدت اللغة العربية وذلـك لانها ارتبطت بالدين الاسلامي واصبحت لغة القرآن وحيث ان الاسلام انتشر بسرعة فائقة في جميع انحاء العالم فان اللغة العربية وجدت الطريق للانطلاق مـن شبه الجزيرة العربية الى باقي اجزاء آسيا والـى اوربا والى افريقيا والى كثير من الاقاليم حتى اصبحت هي اللغـة الرسمية حينـذاك .

نزل القرآن بلهجة قريش الا انه سمح لبعـض اللهجات ان تقـرأه بلسانها فتعددت بسبب ذلـك القراءات ، فلما ولي عثمان بـن عفان ثالث الخلفـاء الراشدين الخلافة قرر ابقاء لهجة قريـش واحـراق جميع الصحف التي دونت القـرآن بغيرهـا وكتب بذلك مصحفا وارسل منه نسخا الى الولايات العامـة وامر بان لا يقرا القرءان الا بهاته اللهجة ، وبذلـك اصبح للغة العربية شبـه وحدة وقلت الاختلافـات والاتجاهات .

واذا ما تحدثنا عن القرآن فاننا في الحقيقة نتحدث عن اعظم اثر خلفه الدين الاسلامي باللغة العربية يصور حياة العرب وعوائدهم ويدعوهم الى الدين والاعتصام بحبل الله فاسمعه حين يقول : « واعتصموا بحبـل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة اللـه عليكـم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانـا وكنتم على شفا حفرة من النـار فانقذكم منها كذلـك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ءال عمران ءاية103

تقدم لنا اذن ان العرب قد اتحدت لغتهم الادبية وانهم جعلوا اللهجة القرشية هي لغة الادب والمفاخرات والمدح وانهم كانوا في حاجة الى مـن يوحدهم فكـرا وروحا ، فلما جاء النبي محمد عليه السـلام كان اعظم شخصية احيت العرب من رقدتهم ونفخت فيهم روح العزة وكانت لتعابير القرآن قـوة توجيهيـة اخرجت اللغة العربية من نطاقها الضيق الى مختلف المواضيـع حتى ان العربي عندما كان يسمع آية من القرءان يؤخذ بمحاسنها ويحاول تقليدها فتمتنع عنه نظرا لقوة بيانها وخصب معانيها وطرائف موضوعاتها ، فقد قـص القرءان قصص الانبياء وبين الاحكام واعطى النصائح كل ذلك بلغة عربية متينة حتى أن من المسلمين مـن جعل الاعجاز يرجع الى لفظ القرءان .

ومن يتتبع حياة العرب يجد ان للاسلام اثرا كبيرا فى احيائهم ووحدتهم وانه كان من اكبر الدواعي التي جعلت اللغة العربية لغة دولية بعد ما كانت لغة اقليميــة .

كانت اللغة العربية محصورة فى جزيرة العرب وبعض اطرافها فى مشارف الشام والعراق الى تدمر فلما جاءت الدعوة الاسلامية وانتشرت انتشارا عاما اتصل العرب بالفرس والروم والهند والحبشة عن طريق الدين فاسلم كثير من هؤلاء واختلطوا بالعرب ، وانكبوا على اللغة العربية يتعلمونها ويدرسونها وعلى القرءان يتفهمونه ويشرحونه لانهم اذا لم يتعلموا اللغة العربية فسيبقون بعيدين عن لغة دينهم وعن الوظائف العامة ، لان الاسلام دين المساواة ولا يجعل الفرق بين العربي وغيره الا بالتقوى ؛ فاذا كان الاسلام يسمح لكل مسلم بالولاية وباحتلال المناصب العامة فانه يشترط فى ذلك المعرفة بالدين والاطلاع على كتاب الله ولهذا وجدنا المسلمين قد تهافتوا على تعلم اللغة العربية لان الاطلاع عليها هو اكبر عامل على تفهم معاني القرءان ، وحيث ان الدين اصبح مقترنا به فليس من المعقول ان تسير الدولة الا على نهجه والا تنظم المراسلات الادارية الا بلسانه .

ومن الضروري للامة اذا ارادت ان تساير الحضارة ان يكون التعليم فيها فاشيا وان يكون للفتها من الحصانة ما يجعلها قادرة على تحمل المسؤوليات، وقد فكر المسلمون الاولون فى ذلك فراوا ان اللغة اصبحت اساسا من اسس انتشار الدين والثقافة لذلك اعتبروا تعليم اللغة العربية ضروريا، وقد بدا النبي ذلك حينما انتصر فى غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة واسر عددا كبيرا من المشركين فانه سمح لهم بالانطلاق من اسرهم اذا افتداهم اهليهم وجعل لكل من ليس معه فداء وهو يعلم القراءة والكتابة ان يعلم عشرة من غلمان المدينة ويعتبر ذلك فداء له ؛ وان دل هذا العمل على شيء فهو يدل على اعتناء النبي بتعليم اللغة العربية لانه يعلم ان اللغة هي الركيزة الاولى فى الانتصار والمجد وان التعليم هو اساس ضمانها .

وقد اقتدى به الخلفاء والملوك فى تعليم اللغة حتى ان عمر بن الخطاب امر ببناء اماكن خاصة لتعليم الصبيان وتاديبهم .

وقد اصبحت الحركة التعليمية تزداد وتفشو بين الآفاق الاسلامية واصبح المسلمون يدرسون لغتهم، لغة القرءان ويحفظونها من الضياع .

وليس معنى هذا ان العرب قبل الاسلام كانوا جاهلين او لم تكن لديهم حركة ادبية بل راينا ان النبي كان ياخذ من بين الاسرى العرب من يعلم ابناء المدينة وذلك دليل على وجود الكتابة قبل الاسلام ، فاذا سالتم لماذا اذن ندعو العرب قبل الاسلام بالجاهليين ونسمي عصرهم بالعصر الجاهلي ولماذا نعتهم القرءان بذلك حين قال فى سورة المائدة : «افحكم الجاهلية يبغون» فاننا نرى ان المهتمين بشرح ذلك من مؤرخي الادب قد نسبوا الجهل للعرب من عبادتهم للاوثان ومن اتباعهم لتقاليد تدل على عدم رقيهم اجتماعيا ، الا ان ذلك الجزء من المعرفة كان كافيا حينما كانوا قابعين فى جزيرتهم ، اما وقد اصبحوا يجولون بين الاقطار ويتحكمون فى كثير من الدول ويراسون الفرس والروم فقد اصبح نصيبهم من المعرفة غير كاف لمقامهم السياسي والاداري ، فالاسلام اصبح فى حاجة الى كتاب ديبلوماسيين والى آخرين فى الحسابات الادارية خصوصا وان عمر بن الخطاب قد نهج نهج الفرس والروم فى وضع دواوين خاصة بالجيش وبالحسابات العامة ، فاضطر أول الامر ان يجعل هذه الدواوين فى العراق باللغة الفارسية وفى الشام بالرومية وفى مصر بالقبطية ، ولكنه لم يكن راضيا على هاته الحالة لذلك كان يعمل جهد مستطاعه حتى يوجد طبقة من المتعلمين يسيرون دواوين الامة باللغة العربية .

ولما وصل الحكم الى الامويين تعصبوا للعرب وللغتهم وتنكروا لكل ما عداها من اللغات واصبحت لغتنا غير قاصرة فى الادب والدين بل تعدت ذلك الى العلوم العامة والى تسيير الادارة واعلن عبد الملك ابن مروان تعريب الادارات ومحا تلك الفرقة اللغوية فى تسيير الدواوين بين اجزاء المملكة الاسلامية وفكر بعض العلماء فى ترجمة بعض الكتب عن اللغة الفارسية واليونانية ولكن ذلك لم يكن بالحركة القوية وانما كان ذلك ارهاصا لما سيقع بعد الدولة العباسية .

ومن بين هؤلاء العلماء الذين قاموا بحركة النقل حفيد معاوية خالد بن يزيد المتوفى سنة 82 هـ 704 م والذي يقول عنه الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين : « كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الراي كثير الادب وكان اول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » .

ومن يهتم بتاريخ اللغات يجد ان الحضارة هي اكبر داع لنشرها وحيث ان الدولة الاموية كانت اكثر حضارة من عهد الخلفاء الراشدين فان اللغة العربية لاشك انها كانت في ايامهم اعظم انتشارا منها في ايام الخلفاء ، وقد كثر العلماء الذين يعتنون بها ويدرسونها ويهتمون بالعلوم العامة المؤلفة بها ويسعون في انتشارها وينظمون الحلقات الخاصة لاذاعتها ويهيئون الكتب للمطالعة ، فقد روى صاحب الاغاني : « في الجزء الرابع صفحة 52 » ان عبد الحكيم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقراه او بعض ما يلعب به فلعب .

ونستنتج مما تقدم ان اللغة العربية اصبحت في العصر الاموي لغة الادارة والعلم والادب وانها اصبحت تتسع وتنتشر في البلدان المفتوحة وانها اصبحت هي اللغة الوحيدة المعبرة عن الاتجاهات الفكرية عند المسلمين ومن المعقول ان اللغة حينما تصل الى هاته الدرجة وحينما تعمل على نقل انتاج الفكر البشري من دول اخرى ستضطر الى اختلاق بعض الكلمات الحديثة او الى تحويل بعض المصطلحات من معنى عادي الى معنى جديد او الى ادخال كلمات جديدة في اللغة مع اخضاعها لقواعدها العامة .

واذا كنا نتحدث عن اللغة العربية من وجهة المعاني العامة فمن الطريف ان نتحدث عن اشكالها ورسومها الخاصة فهي في العصر الجاهلي وفي صدر الاسلام ايام الخلفاء الراشدين وفي اوائل الدولة الاموية كانت تكتب بحروف غير منقوطة ولا مشكولة فكان القارىء حينما يرى الكلمة يعبر عن معناها ، ولذلك تعددت القراءات في القرءان وتعددت الروايات في الشعر ، ولا شك ان الذي يعرف اللغة العربية يستطيع بطريقة الاقتران الشرطي ان يفهم المقصود من الحروف بمجرد النظر فيها ولو كانت غير منقوطة ولا مشكولة ولكن حيث ان العرب قد كثر اختلاطهم بالذين اسلموا من الفرس والروم والحبشة وغيرهم فقد فشا اللحن بينهم واصبحت اللغة العربية غير سليقية في كثير منهم ، وكيف يمكن ان يحدد معنى الكلمة الغير المشكولة من ليست له بديهة في فهم اللغة العربية ، لذلك فكر عدد من العلماء في ايجاد حل لهاته الطريقة الكتابية فاهتدى ابو الاسود الدؤلي المتوفى سنة 67 هـ الى حل اولي اعتبر بسببه اول من وضع علم النحو ، وذلك انه كتب القرءان بمداد ذي لون خاص ثم احضر من يمسك المصحف واعطاه صبغا يخالف لون المداد وقال له : « اذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف ، واذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف ، واذا ضممت فاي فاجعل نقطة امام الحرف فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة اي تنوينا فاجعل نقطتين » ففعل الى آخر المصحف .

ولما كان هذا الحل اوليا فان العلماء قد راوا انه ما زال يوجد الالتباس في الفرق بين القاف والفاء مثلا والسين والشين وغير ذلك من باقي الحروف فاتفقوا على وضع النقط للتمييز بين الحروف واما الحركات فقد تحولت في العصر العباسي حين اختلق الخليل بن احمد رسوما لها ما زالت آثارها تستعمل الى الآن .

وانما تحدثنا عن هذا الموضوع لنعرف ان علماء اللغة العربية قد بداوا يهتمون بالكيفية التعليمية وانهم اصبحوا يفكرون في كيفية جعل قواعد خاصة بها تحفظها من الضياع خصوصا وانهم اصبحوا يفكرون في نقل العلوم المؤلفة باللغات الاخرى وقد يتسبب ذلك في اشتقاق بعض الكلمات واخذها عن الغير مما يجعل القارىء في التباس اذا لم تكن الكلمة مشكولة فالشكل هو اكبر داع لحفظها من الالتباس ولذلك اشتقوه من شكل الدابة وهو عقالها لان الحروف تضبط بشكلها فلا يلتبس اعرابها كالدابة تضبط بعقالها فيمنعها من الهروب .

واشتهرت مدينتان عظيمتان في وضع القواعد اللغوية العربية وتحديد اتجاهاتها وتكونت بسبب ذلك مدرستان لكل واحدة منهما طريقتها الخاصة في التفكير .

فاما البصريون فقد جددوا الحركات لبعض المعاني بعد الاستقراء العام ووضعوا القواعد الاساسية ثم قاسوا على ذلك والزموا التابعين باحترام خطتهم وعدم اعتبار ما دونها ولو قالت به العرب في بعض اشعارهم ويعتبرون ما قيل مخالفا لذلك يسمع ولا يقاس عليه بخلاف الكوفيين فقد تعددت مناحي قياسهم وتعددت اوضاعهم الفكرية في وضع القواعد العامة للنحو العربي وتكونت بعد هؤلاء مدرسة اخرى هي مدرسة بغداد وكان من رؤسائها ابن قتيبة ولم تزدهر هذه المدارس الا ايام العباسيين .

(يتبع)

# رحلة العبدري الحاحي

للأستاذ
عبد القادر زمامة

من حاحة القبيلة البربرية المصمودية الشهيرة التي كانت وما تزال تقطن ما بين المحيط وسفوح الاطلس في بسيط من الارض امتاز بوفرة خيراته من الاشجار والمراعي والينابيع – خرج الرحالة المغربي الكبير : ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن مسعود – او سعود – العبدري في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 688 هـ قاصدا الديار المقدسة بالحجاز ؛ مارا على منطقة سوس ما بين الاطلس الكبير والصغير، قاطعا الجنوب المغربي من الغرب الى الشرق في ثلاثين مرحلة ، حتى اذا وصل الى الشرق اخذ طريق القوافل الى تلمسان ومنها الى تونس وليبيا ومصر ثم الحجاز ..

واول ما يتبادر الى ذهن دارس هذه الرحلة الممتعة النفيسة التي لا تزال في عالم المخطوطات الجديرة بالدراسة والنشر ، هو السؤال عن حياة مؤلفها وترجمته وبيئته التي كيفت عقله وثقافته واخلاقه ، ولكن هذا السؤال سيظل بدون جواب مقنع عن حياة هذا الرحالة العبقري ، لان المؤرخين المشارقة والمغاربة – فيما نعلم – قد سكتوا عنه سكوتا عميقا غريبا حتى انك لتشعر وانت تبحث عن حياته في معاجم الرجال وكتب الطبقات كأنك تبحث عن مجهول في المجاهيل او نكرة في النكرات .. على ان الايام كفيلة بالمفاجئات والاكتشافات في ميدان البحث التاريخي .. فربما ياتي يوم نجد فيه انفسنا امام معلومات جديدة تتعلق بصاحبنا لا سيما وهو صديق حميم للمؤرخ المغربي الحافظ محمد بن عبد الملك صاحب الذيل والتكملة ، ذلكم الكتاب الذي ما زال مبعثر الاجزاء بين الشرق والغرب .. وشيء آخر يقوي الامل في العثور على ترجمته وهو اتصاله بكثير من شيوخ تونس واعجابه بهم وثناؤه العاطر على علمهم وخلقهم ودينهم .. فلا يبعد ان يوجد منهم من يكتب عنه ما يكشف القناع عن ترجمته المجهولة لحد الآن ..

والشيء الغريب هو ان المؤرخين المغاربة كانوا على علم تام برحلة العبدري واستفادوا منها ونقلوا عنها الشيء الكثير .. وكانت متداولة بينهم في الاندلس والمغرب منذ القرن الثامن .. لكنهم فيما راينا لحد الآن من مخطوطات ومطبوعات يذكرون الرحلة ولا يكادون يعرجون على صاحبها ..

فالرحالة الاندلسي خالد بن عيسى البلوي الذي خرج من بلاده فتورية بقصد الحج وطلب العلم سنة 736 هـ اي بعد رحلة العبدري بنحو 48 سنة يذكر في رحلته ( تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ) ابياتا للعبدري عارض بها ابيات القاضي عياض في ( الشفاء ) ويحلي صاحبنا بقوله : الشيخ الفقيه الاديب ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد (كذا) بن سعود العبدري الحاحي (1) .

وابو العباس ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ (741–810) يختصر رحلة العبدري اختصارا يناسب ذوقه الخاص ويسمي هذا الاختصار ( المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية ) (2) وقد قرات هذا الكتاب عند العلامة الوزير سيدي

---

1) رحلة البلوي مخطوطة
2) جذوة الاقتباس ص 79

المختار السوسي وليس فيه شيء جديد عن المؤلف سوى انه يزيد فى تحلية اسمه هذه الكنية (ابن المعلم) .. ولكن ابن قنفذ يكتفي باختصار الرحلة ولا يعرج على وفاة صاحبها فى كتابه القيم الشهير ( شرف الطالب فى اسنى المطالب ) (1) مع انه استمر فى ذكر وفيات الاعلام الى سنة 807 هـ.

والشيخ احمد بابا السوداني فى كتابه ( نيل الابتهاج ) ينقل كثيرا عن الرحلة العبدرية بل انه ذكرها فى خاتمة كتابه كمصدر من مصادره (2) غير انه لم يترجم لمؤلفها وترجم لكثير من العبدريين : مغاربة واندلسيين .

وابو العباس ابن القاضي فى كتابه ( جذوة الاقتباس ) يترجم للعبدري (3) ترجمة قصيرة جدا وهي على قصرها لا تزيدنا شيئا عما كتبه العبدري فى رحلته نفسها .. والعياشي ينقل عن الرحلة العبدرية ولا يعرف بصاحبها .

بعد هذا العرض التاريخي نستنتج ان المعلومات التي سجلها المؤلف عن نفسه فى الرحلة هي – لحد الآن – كل شيء بالنسبة لترجمته . ويظهر ان السبب الذي من اجله اهمل المؤرخون تسجيل حياة هذا الرجل الفذ هو اولا ما اشتهر به من حدة فى الطبع وامعان فى الانتقاد لاهل عصره بل لا نبالغ اذا قلنا انه استعمل الهجو المقذع والسب واللعن احيانا.. ويرجع ثانيا الى انه تجنب سكنى الحواضر المغربية كمراكش وفاس وسبتة وآثر سكنى البادية فى حاحة جوار مدينة الصويرة الحالية .. وقد ضاعت تراجم كثير من الشخصيات بسبب ذلك .

بقيت ملاحظة جديرة بالبحث وهي : ان بعض الباحثين ينسبون العبدري هذا الى مدينة بلنسية الاندلسية ومنهم صاحب (تاريخ الفكر الاندلسي) الذي يقدم رحلة العبدري كنموذج للرحلات الاندلسية فى العصر الغرناطي ، ويقول فى مؤلفها ما نصه : « ابو محمد العبدري من اهل بلنسية طاف بنواحي المغرب والاندلس فى سنة 886هـ–1288م – كذا – وسجل مشاهداته فى كتابه « الرحلة المغربية » وقد بدأ رحلته تلك من حاحة فى بلاد السوس » (4) .

وكذلك الاستاذ عثمان الكعاك فى تعليقه على تاريخ الشماع يصف صاحبنا بقوله « الذي اصله من بلنسية » (5) .

ولا ندري مصدرهما فى هذه البلنسية ، والعبدريون كثيرون فى المغرب والاندلس وكلهم ينتسبون الى عبد الدار ، على ان هناك عبدريا بلنسيا رحل الى المشرق وولد سنة 519 هـ (6) ، وهو غير صاحبنا قطعا كما ان هناك عبدريين اخرين فى المغرب نجدهم عند الشيخ بابا السوداني فى نيل الابتهاج ، وعند ابن الزيات فى (التشوف) (7) .

واما كون العبدري استوطن حاحة ومنها رحل سنة 688 هـ واليها رجع فهذا شيء منصوص فى الرحلة نفسها لا مجال فيه للشك .. والرحالة الاندلسي خالد بن عيسى البلوي صاحب « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » يعترف بهذه **الحاحية** فى النص الذي نقلناه عند صدر هذا البحث .. وقد اشتهر العبدري عند سكان حاحة بابي البركات وقبره شهير هناك .

واما كونه عارفا باللهجة البربرية المستعملة هناك فهذا ايضا مما لا شك فيه فاننا نجد فى الرحلة نصا يدل على ذلك دلالة واضحة ، وقد تعرض العبدري لاخطاء الجغرافي الاندلسي ابي عبيد البكري فقال :

« انه – البكري – ذكر ببلاد الصحراء بلدا يقال لها تدمكة وترجمها – البكري – فقال معنى تد الهيئة

---

1) مطبوع بمصر .
2) ص 361 طبعة مصر على هامش الديباج .
3) جذوة الاقتباس ص 179 .
4) تاريخ الفكر الاندلسي ص 318 .
5) الادلة البينة ص 15 .
6) نفح الطيب ج 1 ص 426 المطبعة الازهرية .
7) انظر مثلا ص 154 من طبعة الرباط .

اي انها على هيأة مكة كما ذكروه ، وليس للهيأة اسم فى لسانهم البتة وانما معنى تد هذه ، وهي من اسماء الاشارة عندهم يقولون لهذا واد ، ولهذين وهؤلاء ويد ، ولهذه تاد ، ولهاتين وهؤلاء تيد وليس للمثنى عندهم عبارة سوى عبارة الجمع ، الا الفاظ العدد فمعنى تاد مكة اي مشبهتها (1) .

ويجدر بالمؤرخ الباحث الا يقف عند هذه النصوص ليقطع بنفي الصلة بين رحالتنا العبدري والاندلس .. لان هناك نصا آخر فى الرحلة يدلنا على انه راى الاندلس واختبر اخلاق اهلها كما اختبر اخلاق اهل المغرب وبرقة والحجاز والشام .

يقول العبدري فى الرحلة عند كلامه على اخلاق سكان القاهرة ما نصه :

« وما رايت بالمغرب الاقصى والاندلس على شكاسة اخلاقهم ولا بافريقية وارض برقة والحجاز والشام » فهذا النص على اختصاره يدلنا على ان العبدري راى الاندلس ومعلوم انه لم يبق منها فى عصر العبدري الا مملكة بني الاحمر فى غرناطة وما جاورها فى جنوب الفردوس المفقود .. فكيف راى العبدري الاندلس ؟ ومتى رآها .. ؟

الجواب رهن بما يكشفه البحث فى المستقبل ..

ولننتقل الى اسرة العبدري واصدقائه فى المغرب ومصدرنا فى ذلك الرحلة ، والرحلة وحدها .

فاما والداه فلا نعلم عنهما شيئا .. وكل ما نعلم انه خرج من بلاده شابا فى مقتبل العمر .. كما خاطبه بذلك فى القيروان الشيخ عبد الرحمان الدباغ صاحب معالم الايمان حين اعطاه – اكثر من عشرة اجزاء من فوائده وفوائد شيوخه وفيها رسمهم ، وقال لي انت اولى بها مني فاني شيخ على الوداع وانت فى عنفوان عمرك ومن حين رايتك انفرز حبك فى قلبي(2) .. ويترك ولده محمدا فى حاجة ولا ينفك يطلب له الاجازة من الشيوخ الذين اخذ عنهم فى رحلته على العادة المعروفة فى ذلك العصر .. كما لا ينفك براسله نظما ونثرا بنصحه ويتشوق اليه .. وهناك فرد آخر من اسرته وهو اخوه يحيى ذكره مرتين فى الرحلة وقد كان مرافقا له .. ذكره عند وقوفه بمقام ابراهيم من بيت الله الحرام .. ثم ذكره عند عودته حينما شاركه فى الاخذ عن بعض الشيوخ بتونس .. ويظهر ان العبدري كان عازما على الاستيطان بمكة او الاقامة بها مدة طويلة صحبة بعض من كان معه من افراد اسرته فاننا نجده يقول عن شيخه الدباغ :

« وقال مرارا اذا قضى الله حاجتك وحججت فلا تقم فى البلاد فاني كثير الشفقة على ولدك وقد اوقع الله حبه فى قلبي منذ ذكرته لي » . كما نجده يقول فى مكة :

« وكنت عازما على المجاورة حسبما تقدم فتجهزت للمقام واكتريت الدار وصرفت بعض ما كانوا ( كذا ) معي ليرجعوا الى المغرب وحصلت اسبابي كلها بمكة » .

اما اصدقاء العبدري فى المغرب فيظهر ان الباقعة محمد بن عبد الملك صاحب الذيل والتكملة كان ارفعهم منزلة فى نفس صاحبنا ولذلك نوه به عند شيخه ابن دقيق العيد فى مصر تنويها عظيما وعرف به وبآثاره وكان ابن دقيق العيد يعرف الشيخ ابا الحسن ابن القطان (3) الذي كان من اعلام المغرب الافذاذ فى دولة الموحدين ويعرف كتابه « بيان الوهم والايهام الواقعين فى كتابه » (4) فأفهمه العبدري ما جد فى الموضوع حول هذا الكتاب من تعقيب ابن المواق (5) على شيخه ابي الحسن ابن القطان وجمع الحافظ ابن عبد الملك للكتابين مع الاستدراك عليهما ..

وقد اثمر هذا التعريف ثمرته المرجوة عند ابن عبدالملك حيث اننا نجده يقول فى الذيل والتكملة مانصه « اخبرني الامام الاوحد تقي الدين .. القشيري ابن دقيق العيد مكاتبة من مصر قال :

---

1) رحلة العبدري مخطوطة .
2) من الرحلة العبدرية .
3) الجذوة ص 298 . نيل الابتهاج ص 200 . وله ترجمة حافلة فى الذيل والتكملة .
4) احكام عبد الحق الاشبيلي انظر ترجمة فى عنوان الدراية ص 20 . وصلة الصلة ص 4.
5) سماه ابن عبد الملك فى الذيل محمد بن يحيى ابو بكر بن خلف وتوفى سنة 642 .

انشدني المقدسي فى تارك الصلاة :

خسر الذي تـرك الصـلاة وخابـا
وابـى معـادا صالحـا ومـآبـا

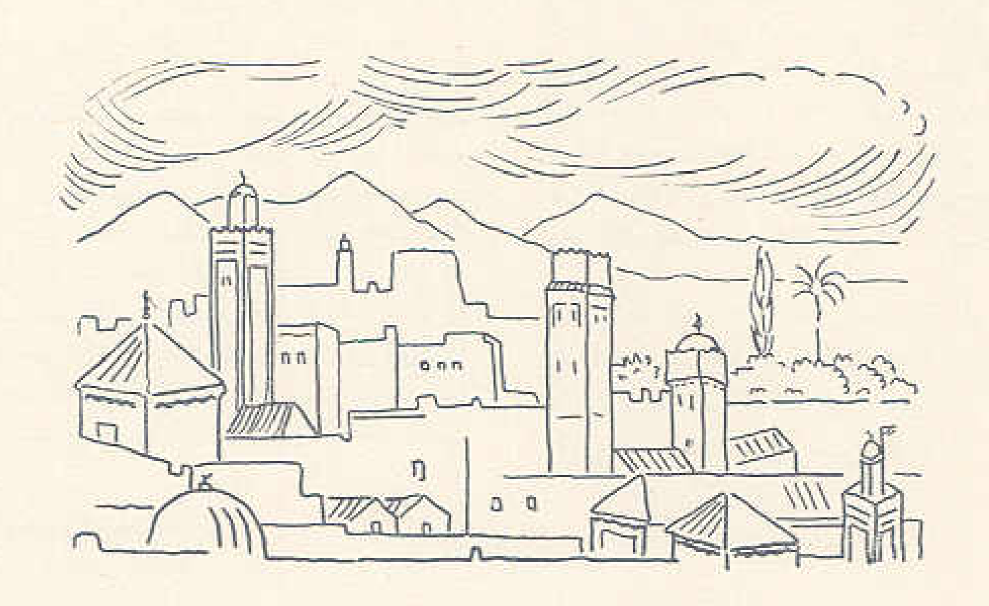
الابيـــات (1) .

هذا ما يمكننا ان نستنتجه مـن معلومات عـن حياة العبدري واسرته واصدقائـه فى المغرب وهـو شيء طفيف بالنسبة لما نجهله .. وكان العبدري ادرك بحدسه الباطني ان المؤرخين المشارقة والمغاربة سوف يهملون ترجمته بعد مماته كما اهملوا تقدير علمه وادبه فى حياته ، فدون هذه الرحلة الفريدة فى اسلوبهـا ولهجتها وحشر فيها الشيء الكثير من اخبار شيوخه المشارقة والتونسـيين .. والشيء الكثير من احـوال عصره الاجتماعية والسياسية والعلمية .. وبذلـك ضمن لنفسـه الخلود وقاوم عوامل النسيان والاهمال التي سيطرت على كثير من امثالـه ولا سيما فى هذه البـلاد .

وكما كان القسم الاول من هذا البحث مركـزا حول نقطة معينة من الرحلة وهي محاولـة معرفـة ترجمته من قلمه .. فان القسم الثاني سيكون ـ بحول الله ـ مركزا حول نقطة ثانية معينة وهي محاولـة مرافقة العبدري فى مشاهداته فى البلاد التي زارهـا وكتب عنها منذ ان خرج من حاجة الى ان عاد اليها .

ـ للبحث صلة ـ

1) ابن عبد الملك فى الذيل ـ مخطوط باختصار .






**انعقد** اخيرا مؤتمر فى الرباط اطلق عليه اسم (مؤتمر المغرب العربي) وقد اثيرت فى هذا المؤتمر عدة قضايا ادبية ، وقيل ان اهم قضية كانت موضع بحث وجدال عنيفين بين الادباء المؤتمرين هي قضية الادب الذي انتجه كتاب فى المغرب العربي باللغة الفرنسية ، وتساءل البعض هل هو ادب عربي يمكن اضافته الى تراث الامة العربية ، بما تعنيه كلمة (الاضافة) من دلالات ومعاني ، ما دام صادرا عن رجال لا يشك ابدا فى كونهم من الامة العربية واليها ، وان اعوزهم فى ذلك التعبير بلسانها لاسباب وظروف لا يسألون عنها ، ان مجرد كون لغة التعبير اجنبية عن الامة العربية ، يجعل هذا النوع من الادب وان صدر عن ادباء عرب غير جدير بان ينسب الى التراث العربي الادبي .

عند اثارة هذه القضية ، ذهب فريق الى القول بان اداة التعبير فى عالم الفن ليست بذات قيمة ، يستوي فى ذلك ان تكون الفرنسية او العربية او حتى الصينية ، ما دام المحتوى للعمل الفني يعني مضمونا اجتماعيا فى اطار قومي خاص ، اي ان الادب الذي كتبه الادباء الجزائريون بالفرنسية والذي هو انعكاسات معبرة عاشها الاديب الجزائري فى محيطه الجزائري الخاص هو ادب جزائري وان جاء فى شكله التعبيري فرنسيا ، وان هذا المظهر ، مظهر التعبير لا يعيبه ، ولا ينقص من جزائريته فى شيء ، يكفي فى الدلالة على ذلك ان تعود لاية قصة لكاتب جزائري اتخذ الفرنسية كاداة للتعبير عن ذات نفسه لتتبين مدى الاصالة الجزائرية التي يتوفر عليها هذا الادب فابطال القصة بظروفهم ، بصراعهم الدائم ، بمحيطهم المكاني ، صور حية لواقع جزائري حافل بالنماذج الانسانية حالت بينها ظروف القهر الاستعماري دون التعبير عن ذات وجودها بلغتها القومية ، فنطقت او انطقها المؤلف بلغة القاهر المستبد ، هذا المؤلف القلق الذي التجا الى الاستعارة ، استعارة اداة التعبير ، لأن لغته القومية هي الاخرى هدف كابطال قصته لتسلط استعماري لم يفسح لها مجال النمو والتطور ، ومن ثمة التعبير عن واقع الحياة ، فظلت سجينة ليس لها ان تؤدي وظيفتها الاجتماعية الا فى حدود التخاطب وحتى فى هذا المجال الضيق المحدود واجهت حربا قل ان يجد لها المرء نظيرا فى التاريخ قديمه وحديثه .

هذه وجهة نظر ولكنها قابلة للاخذ والرد ، فالادب كما حدده الاديب الانجليزي ه. لورانس : « هو تعبير عن حياة الامة او الجماعة ، الفكرية والعاطفية ، وعن ظروف حياتها الاجتماعية » اي ان وظيفة الادب هي عكس شتى المظاهر الحياتية للجماعة الانسانية ، وعلى ضوء هذا التحديد نطرح السؤال التالي : هل ان الادب الجزائري الذي كتب بالفرنسية هو تعبير صادق عن حياة الشعب الجزائري الفكرية ، ومرآة عاكسة لظروف حياته الاجتماعية السياسية ؟

هنا المسألة كما يقول شكسبير ، ذلك انه من العسير التأكد لاول وهلة بان هذا الانتاج الجزائري الهجين على قلته هو فى مجموعه مرآة عاكسة لفترة ذهنية معينة من حياة الشعب الجزائري ، وذلك لسبب بسيط هو ان اغلبية القراء فى الشعب الجزائري ليس لديها المام كاف بان هناك انتاجا ادبيا جزائريا يتجاوب مع مشاغل حياتها الراهنة ، بحيث تجد فيه صورا حية لواقع حياتها المؤلم .

ومن هنا انعدمت الصلة بين الاديب الجزائري الذي استعار الفرنسية وبين جمهور القراء الجزائريين، وهكذا يتضح انه ما دامت الصلة بين الكاتب والقارىء الجزائريين غير قائمة ، فلا يتصور اطلاقا وجود اي نوع من انواع التأثر او التأثير اطلاقا ، وغير خاف ان العنصر البارز الذي يضفي على الانتاج الادبي طابعا قوميا هو قدرته على التأثير فى محيطه القومي ، واذا انعدم هذا العنصر اصبح الاديب الذي لا يتوفر

انتاجه الادبي على طاقة التأثير في دائرة محيطه القومي ، يعيش في (قوقعة) فردية بمعنى انه سيظل على الدوام منتجا سالبا بعيدا كل البعد عن ان يكون عاملا مؤثرا في توجيه الاحداث التي عاشها الانسان الجزائري او على الاقل التجاوب معها بحرارة وعمق .

وليس من اليسير الهين القول بان انتفاضة الشعب الجزائري الجبارة يوم فاتح نوفمبر 1954 ضد واقع الاحتلال المتعفن ، ليس من اليسير القول بان احد العوامل الممهدة لها هو هذا الانتاج الادبي الجزائري الذي كتب بلغة مستعارة ، فاثر في عواطف الجمهور الجزائري وخلق لديه حالة نفسية دفعته لان يثور على واقعه وعلى ان يرفضه بعنف ، وانا على شبه يقين بان الرفاق الجزائريين كتاب الفرنسية انفسهم لا يستطيع احدهم ان يبيح لنفسه الزعم بأن انتاجه الادبي قد مهد السبيل لقيام ثورة جزائرية هادفة لوضع حد لنظام استعماري استنفذ كل طاقاته لامتصاص مقدرات الشعب الجزائري على اوسع نطاق .. وهكذا لا اسراف في القول بان هذا الادب الهجين ، ولد في عزلة وظل في عزلته بالنسبة للبيئة العربية التي لم يتح له ان يخرج منها ، لحد الساعة وان كان يبدو ان زمن خروجه من هذه العزلة قد حان وذلك بفضل المجهود الذي تقوم مؤسسة (دار اليقظة العربية) بدمشق بترجمتها ونشرها لجزء هام من هذا الانتاج .. ومع ذلك ستظل قيمة هذا الانتاج الفني منحصرة في دائرة تاريخية معينة ، اي هذا الادب لا يعدو أن يكون وثيقة تاريخية تصور وضعا اجتماعيا عاناه الشعب الجزائري ، دون ان يتاح لهذا الادب الارتقاء الى مستوى التأثير في الاحداث التي قد تعقبه ، وليس من تفسير لذلك سوى ان هذا الادب ذاته لا يعدو ان يكون احدى المضاعفات الناتجة عن النظام الاستعماري الذي ظل قائما في الجزائر خلال عقبة زمنية اوشكت على الانتهاء او هي انتهت فعلا .

ولم تكن الجزائر المستعمرة لتنفرد بهذه الظاهرة اي ظاهرة وجود انتاج ادبي من عمل ابنائها ولكنه جاء في لغة غير لغتها ، لقد حدث للهند وبعض المستعمرات الاخرى في آسيا وافريقيا ذات الشيء ، غير ان الادب الاصيل في الهند خلال فترة الاحتلال ، والذي ارتفع في قيمته الفنية الى المستوى العالمي لم يكن قد كتب بالانجليزية ، بل كتب بلغة هندية وهذا هو السر في كونه ظل حيا تتجاوب معه الجماهير الهندية بتأثر بالغ ، فالكاتب الهندي الكبير طاغور لم يكتب مجموع انتاجه الادبي الرائع باللغة الانجليزية مع ان هذه اللغة كانت هي السائدة ، بل كتبه بلغة من لغات الهند ولعلها الاردية او البنغالية ، ومع ذلك فقد كتب طاغور بالانجليزية ادبا غير يسير الا انه لم يكن يحظى بتقدير القارىء الهندي على العموم ، وثمة مثل آخر هو الفيلسوف الباكستاني الدكتور اقبال فقد كتب اروع انتاجه الشعري والنثري بلغته القومية الاردية ، فلو ان طاغور او اقبال ، كتب كلاهما باللغة الانكليزية لما كتب البقاء والخلود لانتاجهما الادبي في نظر الانسان الهندي او الباكستاني ، ولما اولاه كامل تقديره ولما تأثر به بالتالي ، وليس معنى هذا ان الانجليزية اقل ثراء وقدرة في التعبير والتأثير ، عن اللغات الهندية ، ولعل العكس هو الشيء الصحيح ، ولكن اللغة القومية تمتاز بكونها ترتبط بعواطف الجماعة وبتاريخها وآمالها ، وما تضطرب فيه من مشاكل ومشاغل حياتية ، وانها تبعا لذلك اقدر من غيرها لان تصور لنا هذه الاشياء جميعا ولان تسيطر على عواطف القارىء وتؤثر فيها بشكل لا تستطيع معه اللغة الاجنبية ان تفعله .

والادب الذي صدر عن كتاب جزائريين استعاروا اللغة الفرنسية يتناول من غير جدال قضايا تهم الانسان الجزائري في صراعه من اجل حياة افضل ، وهذا يشير الى ان مضمون هذا الادب جزائري صرف وان جاء في شكل فرنسي صرف ايضا ، ومن ثمة اصبح هذا الادب الهجين يتسم بميزة الازدواج من حيث الشكل والمحتوى ، وان كان رجال الادب لا يميلون الى اقامة تفرقة بين مضمون العمل الفني وبين الشكل الذي يرد عليه ، لانهم يرون ان الهيكل الفني هو كل لا يقبل التجزئة وذلك ان الادب خلافا لفروع المعرفة الاخرى لا يؤمن بالمقاييس المادية عند الحكم عليه او عند تحديد مدى جودته ورداءته ، ثم عند التعرف على هويته والجهة التي يمكن ان ينسب اليها ومع ذلك فان الاخذ بهذا الراي قد يؤدي بنا الى بعض المتاهات التي لا تستطيع فيها تلمس الطريق المؤدي الى كشف هوية الانتاج الفني الادبي ، ولا باس هنا من الاشارة الى بعض الاعمال الادبية الخالدة التي جاءت على لسان امة دون ان يكون لجوهر هذه الاعمال

الادبية صلة مادية بهذه الامة ، والمع مثال يمكن ان نشير اليه هو الكاتب الكبير شكسبير ، فقد صور فى روايته الممتعة ( تاجر البندقية ) سلوك نماذج بشرية استمدها جميعا من البيئة الايطالية ، ولا اظن ان شخصا واحدا فى اشخاص الرواية كان انجليزيا — ويقال ذات الشيء فى (درامية) (( **مكبث** )) التي استمد شخوصها من المحيط السكندناق ، وكذلك الشأن فى روايته (عطيل) فهل يمكن لنا ان نزعم بان تاجر البندقية هي تراث ادبي ايطالي وان رواية مكبث هي الاخرى تراث ادبي سكندنافي ، وعطيل تراث ادبي يمكن ان يضاف الى التراث الادبي للشعب المغربي ما دام بطل هذه الرواية هو مغربي ؟ . الواقع ان موضوع العمل الفني وحده لا يكفي لان يحدد لنا هوية الانتاج الادبي وانه لابد لكي تتحدد معالم هذه الهوية بوضوح يتعين مراعاة بعض الاعتبارات الاخرى التي لا غنى عنها لكي يمكن لانتاج ادبي ان ينسب الى جماعة دون اخرى ، خصوصا فى الفترة التي يجتازها عالم اليوم الذي اخذت فيه الحدود بين الجماعات الانسانية فى مجال العمل الفني وغيره ، تعرف كثيرا من التسامح .

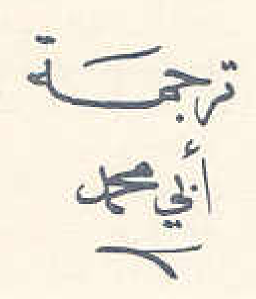
وما دمنا قد وصلنا الى هذه النتيجة وهي أن : الادب الجزائري الذي كتب بالفرنسية لا يمكن اعتباره فى الوقت الحاضر ضمن تراث الامة العربية الادبي وذلك عندما نكون بصدد الحديث عن الادب المقارن ، واذا كان الامر كذلك فالي اي جماعة يمكن تسمية هذا الادب وهل يعقل ان يظل الى ما لا نهاية له غير قابل لان ينسب الى جماعة والى تراثها ؟ .

سيكون موضوع هذه القضية حديث مقبل مع القراء الاعزاء .

---






افرد م. جان سيرفان شريبر رئيس تحرير الاسبوعية الفرنسية (لكسبريس) حديثا هاما بمناسبة الذكرى الثامنة لاندلاع الثورة الجزائرية ، ونظرا لاهمية هذا الحديث ، ونظرا لكون الكاتب يختلف كثيرا عن غيره من الكتاب الفرنسيين الذين يكتبون بمناسبة او غير مناسبة عن الجزائر ، ذلك ان المسيو جان شريبر سبق له ان جند فى جيش الاحتلال بالجزائر ، وشاهد تجربة الكفاح البطولي الذي يخوضه الشعب الجزائري ، وبصفته جنديا فرنسيا دفع دفعا لان يساهم فى مواجهة الزحف الثوري الجزائري ، وكاتبا صحفيا ، كان اكثر الكتاب الفرنسيين تفهما لحقيقة مايجري فى الجزائر من احداث ، لذلك احببنا ان ننقل الى قراء المجلة الوقورة ( دعوة الحق ) اهم ما جاء فى هذا الحديث الهام : (1)

كان يوم فاتح نوفمبر يوما مشهودا فى تاريخ الجزائر الحديث فابتداء من الساعة الثامنة صباحا كان كل شيء يشير الى بداية الزحف ، فى مدينة الجزائر .. فى وهران ، فى قسنطينة ، وباختصار فى كل قرية. وكان يقابل هذا الزحف ، الجيش الفرنسي، الحكومة الفرنسية ، الفرنسيون المقيمون فى الجزائر، كان هؤلاء جميعا يدركون جيدا وبصورة تكاد تكون غريزية تلقائية ، ماذا يعني فجر فاتح نوفمبر ، وكان هؤلاء جميعا ، الجيش الفرنسي ، الحكومة الفرنسية ، المستوطنون الفرنسيون ، يحسون فى اعماقهم ان هذا الفجر يعني البطولة كاتبل ما تكون البطولة والتضحية كأجل ما تكون التضحية ، يعني بناء دعائم واسس امة جزائرية كانت قبل سنوات امرا عديم الذكر والوجود فى نظر فرنسا والفرنسيين ، ولكن بفضل هذه (العصابة) جبهة التحرير بفضل هذا الاتجاه السياسي، اصبحت كلمة واحدة توجه الى الشعب الجزائري تشغل فرنسا وجيشها العتيد .. هل تعرفون ما عدد القوات التي خصصت لمدينة الجزائر وحدها لمواجهة احتمالات غرة نوفمبر ؟ انها خمسون الف جندي فى لباس المعركة اعطيت لهم الاوامر الصارمة لان يظلوا طوال الليل والنهار على اهبة الاستعداد لمواجهة المعركة، خمسون الف رجل فقط لمدينة الجزائر .. وحركة السير منعت منها فى مدينة قسنطينة حتى السير على الاقدام ، وامام كل منزل يقف جندي ورجل درك وشرطي لمنع ساكنيه من الخروج .. وفى مدينة وهران كانت الدبابات قد اتخذت منذ اليوم السابق مكانها فى المواقف الحساسة فى المدينة ، وكانت لديها الاوامر والتعليمات بالاطلاق النار على كل كائن متحرك ، ليس هناك قرية واحدة جزائرية لا توجد فى حصار تام .

وجاء صباح اول نوفمبر فتوقفت الحركة ، فالاضراب شامل والحياة راكدة ، عدا الجو الرهيب الذي يسود كامل الجزائر ، والجيش الفرنسي ، هذه الاداة المسخرة يعيش يوما مقلقا من اتعس ايام حياته فى الجزائر ، لقد كان المشهد جد رهيب ، حتى جنودنا اضربوا عن الكلام فيما بينهم ، انهم هياكل تتحرك آليا دون وعي ، انهم يعيشون فى هذا اليوم المقدس عند الجزائريين ، يعيشون فى هذا اليوم المأساة ويشعرون فيه أكثر من اي يوم آخر ، حتى فرنسا الديموقراطية لا ترى فيهم سوى ادوات تجردهم عن القيم الحضارية التي هي غذاء عالم اليوم .

لقد كانت المظاهرات غاية فى التنظيم ، والتوجيه، الامر كان يدل بوضوح على ان الاطارات المنظمة

1) « لكسبريس » عدد 542 تاريخ 2 نوفمبر 1961

والموجهة لها تعرف كيف تنظم وكيف توجه ، كانت هذه المظاهرات فى مدينة الجزائر اشبه بتلك التي شاهدناها هنا .. هنا فى باريس منذ خمسة عشر يوما ، الطاعة الكاملة للموجهين مع تجنب حكيم لكل فوضى واضطراب ، والقادة الموجهون لم يحاولوا هذه المرة الاختفاء بل ظهروا ليوجهوا المظاهرات هذا العمل السلمي ، والفرنسيون المقيمون فى نوافذهم والجيش فى فى اعلى دباباته المصفحة يشاهدون جميعا القوة التي تمخضت عن سبع سنوات من الحرب ، الواقع انه يوجد وجه للمقارنة بين هذا الموقف وواقعه . **ديان بيان فو** ، فى النتائج المستخلصة من كلا الحدثين ، والحق ان هذا اليوم يشكل لفرنسا مناسبة استثنائية لان فرنسا اذا لم تصل الى درجة الاختناق التي وصلتها فى كارثة (تونكا Tonkin) فانها تستطيع اليوم ان تواجه الموقف فى الجزائر بحكمة ؛ والشعب الفرنسي سوف يقدر من الحكومة اي اجراء من هذا النوع ، لانه يعرف اليوم ان من واجب حكومته ضرورة الاسراع بالتفاوض مع جبهة التحرير سيدة الموقف فى الجزائر ، دون ان نشعر – نحن الفرنسيين – بالاهانة او الضعف حين نفاوض جبهة التحرير ، لاننا اليوم امام وضعية سياسية لم يعد فيها للاعتبارات العسكرية ادنى اعتبار ، يجب ان نتفاوض مختارين ؛ قبل فوات الوقت ، ونعيد نفس السياسة التي كانت لنا مع جياب Giab لقد كان معه كل شعب تونكان كما ان الشعب الجزائري اليوم مع جبهة التحرير . والى متى ونحن نعرض رجالنا ، مواردنا ، سياستنا ، مستقبلنا للسحق ؟ انه يوجد اليوم امامنا مفاوض جدي يجب ان نمد له اليد ، لماذا لا .. ؟

وحكومتنا تعرف جيدا ان وراء جبهة التحرير شعبا صمم على التحرير والتحكم فى مصيره بقوة واصرار ، وان جبهة التحرير وحدها هي التي تستطيع ان تطلب من شعبها المزيد من التضحية ، والمزيد من ضبط الاعصاب والامتثال والطاعة ، هذه هي الفرصة لفرنسا وللفرنسيين الذين يريدون استمرار العيش فى الجزائر استقبالا ، يجب الا تضيع منا هذه الفرصة والا نكون قد اسأنا الى انفسنا قبل الاساءة الى جبهة التحرير وشعبها .

سبع سنوات من الحرب قد اعطت لجبهة التحرير خبرة سياسيةوعلمتها ضرورة التعامل بلباقة، انا للغة التي تستعملها اليوم واقعية الى اقصى حدود الواقعية خصوصا وهي تعيش وضعية ثورية متفجرة.

حقا لقد كان فى هذا اليوم اموات آخرون ، وسالت دماء جديدة ولكن يجب ان نسرع الخطوات حتى لا تسيل دماء اخرى ، خصوصا وان الراي العام الفرنسي قد فتح يوم غرة نوفمبر اعينه على ان استمرار الحرب ليس فى صالحه بعد ان كانت فرنسا قبل سنوات تؤمن بانها تخوض حربا مقدسة ضد عدوها : العرب ، ولكن الامور اليوم تغيرت واصبح الحليف الوحيد القوي فى الجزائر لفرنسا هو جبهة التحرير ، اجل ليس فى ذلك تناقض ، ذلك ان جبهة التحرير هي الحليف الذي يستطيع مع فرنسا محق العدو المشترك الجيش السري (O.A.S.) فاذا لم تسلم مقاليد الحكم فى الجزائر قريبا الى جبهة التحرير فسيكون فى باريس الجيش السري ، فما هو اختيار الفرنسيين ؟ .

ما هو اختياركم انتم ايها الضباط الذين شاهدتم قبل ايام مصرع الكومندان ( بوسط Poste) على يد عصابة الجيش السري ، لان بوسط رفض ان يخون رسالته .

فما هو اختيار الفرنسيين هل الموت ؟ وهذا يعني تسليم الامور الى الجيش السري ام الحياة ؟ وهذا يعني التفاوض عاجلا مع جبهة التحرير ؟؟ ان التفاوض هو الاختيار النبيل الذي يؤثره كل فرنسي حر .

لقد بدات اليوم علامات تؤكد ان دعائم جديدة وعلى اسس جديدة بين الشعب الجزائري والفرنسي قد اخذت تحتل مكانتها فى فرنسا والجزائر ، ان هذه الاسس الوليدة بين شعب يمتلك مصيره ، ولكن مهدد وشعب افتك مصيره ، امر حيوي لكلا الطرفين، ان التفاوض مع قادة الثورة هو الضمانة الوحيدة لتاكيد هذه الدعائم الجديدة لصالح فرنسا والجزائر المستقلة الحرة .

ان فرنسا اليوم امام اختيار رهيب اما النازية التي يمثلها الجيش السري واما التفاوض لتلافي هذا المصير .

ان الموقف جد واضح اما الموت لمنظمة الجيش السري واما الموت لفرنسا .

# شؤون إفريقية

# الهجرة الأوربية إلى إفريقيا قبل الحرب العالمية الأولى

للمؤرخ الشهير
بيير رونفن
ترجمة الأستاذ
عبد الحق بنيس

ترجم هذا المقال عن كتاب « تاريخ العلاقات الدولية » الجزء السادس - الفصل الخامس عشر . والكتاب جزء من سلسلة تاريخية تطبع تحت اشراف المؤرخ الكبير بيير رنفن . واما الجزء السادس فمن تاليفه وهو يعالج الفترة التاريخية (1870 - 1914) .

باتت ارض افريقيا مستعمرة أوروبية باستثناء دولتين كانتا مستقلتين وهما جمهورية ليبيريا (Libéria) واثيوبية (Ethiopie) . وكان جزء من السكان في الاولى يتكون من الزنوج الذين ارجعتهم الولايات المتحدة الى موطنهم . وفي الثانية عمدت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا (سنة 1906) الى تقسيم البلاد الى مناطق نفوذ اقتصادي . وقد احدث الاستعمار الاوروبي المباشر تعديلات في اصناف النشاط الاقتصادي وفي التركيب الاجتماعي والمفاهيم العقلية . لكن الاحوال كانت تختلف جدا في المناطق المتوسطية - من البحر الاحمر الى المغرب حيث يسود الدين لاسلامي بشكل لامع ، عنها في افريقيا الجنوبية التي كثر فيها الاوروبيون كثرة قوية ، واخيرا في افريقيا السوداء .

نعم ارتبطت افريقيا الشمالية بصرف النظر عن طرابلس وبرقة ارتباطا وثيقا عن طريق التوسع الانلكيزي او الفرنسي بالحياة الاقتصادية الاوروبية . اما الاحتلال الايطالي للمقاطعتين الليبيتين فلم يكن آنذاك الا في مهده حيث لا زال الايطاليون لم يشرعوا في الهجرة السكنية .

ففي مصر نجد ان اغلب السكان مسلمون وان الاقباط يشكلون اقلية لا يستهان بها وان الاوروبيين الذين استوطنوا البلاد والذين بلغ عددهم 120 الفا، كانوا لا يشتغلون بالنشاط الزراعي الا قليلا : اذ كان ستة آلاف من بينهم فقط يملكون قطعا ارضية وكان مجموع مساحة هذه القطع يبلغ 350 الف هكتار اي ما يعادل 14 في المائة من الاراضي المزروعة . اما الاعمال الاخرى المتعلقة بالطرق العامة والمواصلات وبالصناعة والتجارة فكانت كلها تقريبا في يدهم . وكم كان هناك من خلاف ، مع هذا كله ، بين الانجليز (20 الفا) الذين كانوا يشغلون مناصب القيادة المدنية او العسكرية كضباط وموظفين ومهندسين وتجار كبار، وبين الفرنسيين (14 الفا) الذين كانوا يمثلون مختلف الطبقات الاجتماعية من رجل الاعمال الكبير الى التاجر البسيط، وبين الايطاليين (30 الفا معظمهم من تريستا) الذين كانوا كلهم صناعا على وجه التقريب وبين اليونانيين (40 الفا) الذين كانوا يشتغلون بتجارة التقسيط وبتقديم القروض المالية بالفائدة الى جانب بيع المشروبات . ومع ان هؤلاء الاوروبيين جميعهم كانوا ضعاف الحال الا انهم يتمتعون بنظام امتيازي كانوا بموجبه معفون من اداء الضرائب المباشرة ومن الخضوع للمحاكم المحلية القضائية .

ليس من شك في ان هذا الوجود الاوروبي وبوجه خاص وجود الانجليز منذ سنة 1882 ادى الى نهوض عظيم في الحياة الاقتصادية : فاشغال الري المنجزة خلال ادارة اللورد كرومر (لم تنته هذه الادارة الا في سنة 1907) زادت في مساحة الاراضي المزروعة وساعدت على تنمية القطن او قصب السكر . كذلك اقيمت سكك حديدية (4 آلاف كم في سنة 1913) في مصر بالمعنى الضيق لهذه الكلمة اي بغض النظر عن الخط الذي يربط الاسكندرية بالخرطوم .

ان مصر مدينة بهذا التحول الى توارد رؤوس الاموال الاجنبية عليها . والى غاية سنة 1903 كان نصيب الاستثمارات الفرنسية وافرا جدا ولم يلبث ان انهار بين سنتي 1904 و1914 لفائدة الاستثمارات الانكليزية التي قدرت آنذاك ب 1250 مليون من الفرنكات الذهبية .

الا ان هذا الازدهار لم يعمل على تحسين مصير الفلاحين ، بل نراه في اغلب الاحيان يزيد في خطورة الحالة عندهم ، لان هذا العدد الصغير من الملاكين لقطع الارض لم يكن قادرا على تغيير طرائقه في الانتاج، نتيجة لانعدام الوسائل المادية ، فكانت النتيجة ان تحطم الفلاح وصار مملوكا ، ثم ان احداث مصرف زراعي لتقديم القروض له قد عطل هذا التطور دون ان يجهز عليه بالمرة . ومع ذلك لم تكن هذه الفئة من الفلاحين تفكر في الاخلال بالاستقرار السياسي : ولم تظهر مقاومة الوجود الانجليزي الا في اوساط الشبيبة المثقفة ؛ اذ في سنة 1904 اسس « الحزب الوطني » الذي كان يمثل الجانب المتطرف في الاتجاه الثوري في حين ان « حزب الامة » الذي انشيء سنة 1907 بقيادة سعد زغلول باشا كان يصرح انه سيظل في الطريق القانونية . واعتقد كرومر ان باستطاعته الانسجام مع المعارضة « الدستورية » ؛ بل كان على ما يبدو يشجع مبادرة زغلول ليتحايل على « الحزب الوطني » وتلكم بادرة ندم عليها خلفاؤه .

ومن نافلة القول الاشارة الى ان تغلغل التاثيرات الاوروبية كان متفاوتا جدا في الجزائر حيث يرجع الاحتلال الى ثمانين سنة ، عنه في تونس التي لم يمر على اخضاعها للسيادة الفرنسية سوى ثلاثين سنة. ففي الاولى كان هناك نظام الادماج الاداري والجمركي وكان هناك سكان بيض (فرنسيون واسبانيون) يبلغون ربع مجموع السكان تقريبا ، الى جانب تشريع زراعي كان يهدف الى الغاء اشكال التملك الجماعي شيئا فشيئا واعطاء الاهالي رسوم التملك الشخصي ، واخيرا اعطاء حق الانتخاب لبعض الافراد من الاهالي . اما في الثانية فنظام حماية وتشريع جمركي هادف الى احترام المصالح الاجنبية ، وهجرة سكنية بيضاء كان الايطاليون فيها اكثر عددا من الفرنسيين اذ كانوا (اي الايطاليون) يتمتعون بموجب اتفاقات1896 بقانون خول لهم بالنسبة لباقي الاجانب امتيازات متفوقة .

لكن النشاط الاقتصادي في كلتا الحالتين كان ينمو بفضل رؤوس الاموال الاجنبية سواء فيما يرجع لاستغلال مناجم الحديد في الونزة (Ouenza) او البوطاس في الجنوب التونسي او الحلفة في النجود العليا الجزائرية او الكروم (الدالية) في التل (Tell)

وفي الدولة العلوية (Empire Chérifien) لم يحس بعد بالوجود الفرنسي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، اذ المعارك التي سميت (بمعارك التهدئة) لا زالت مستمرة (لم تنته « مهمة » تازة الا في شهر مايو 1914) . ولم يكن ممكنا في هذا الوقت ــ كما لاحظ الجنرال ليوتي في تقريره ــ تشجيع الهجرة السكنية ، ما دامت البلاد مجردة من الاعمال الاولى للتجهيز الاقتصادي . وبالفعل كانت هذه الاعمال ضعيفة جدا : لم تكن قد انتهت الطرق الثلاثة التي اقيمت لوصل الدار البيضاء بالرباط والجديدة ومراكش كما ان الاعلان عن المناقصة المتعلقة باشغال مرفأ الدار البيضاء لم يكن قد تم الا في مارس 1913 : ثم ان مد السكك الحديدية كان لا يزال في طور الدراسة . الا ان التجهيز المدرسي كان قد انجز في المدن ، لكن التلاميذ الاهليين لم يكونوا يشكلون الا الثلث من المجموع الذي بلغ آنذاك عشرة آلاف تلميذ .

ولا جرم في ان جنوبي افريقيا كان الجزء الافريقي الذي انقلبت احواله باسرع ما يمكن نتيجة للتاثيرات الاوروبية ، ذلك ان اكتشاف مناجم الماس وبعدها مناجم الذهب في تخوم الترانسفال والاورانج ادى منذ فترة 1890 ــ 1895 الى توارد المهاجرين الاوروبيين، وذلكم ما دعا سيسيل من آل رودس الى بسط السيادة البريطانية على ارضين جديدة وقصده من هذا تطويق جمهورتي البوير وتنمية الشبكة الحديدية التي بلغت سنة 1913 ما قدره من الكيلومترات 17000 ، ثم ان هذا الاكتشاف كان سببا حاسما في الحرب التي ادت سنة1902 الى الحاق الدولتين الصغيرتين

وتبع استغلال هذه الثروات الباطنية تـوارد لرؤوس اموال اخرى : فبلغت الاستثمارات الانكليزية في افريقيا الجنوبية 1250 مليونا فرنكا ذهبيا — اعني نفس المقادير التي استثمرت في الهند تقريبا . ونتج عن هذا الاسغلال ايضا تبدلات هامة في الوسـط الاجتماعي الاهلي ، فالزنوج الذين بلغوا درجة مـن التطور كالبانتوس (Bantous) والكافر (Cafres) اخذوا يوفرون باشتغالهم في المناجم مبالغ ماليـة خصصوها لشراء القطع الارضية. فكانوا والحالة هذه قلقين اكثر من اي وقت مضى على انتقـال جـزء من الارض من مالك ابيض الى مالك آخر . واخيرا فـان هذا التحول في الحياة الاقتصادية اغرى عددا مـن الصينيين وآخر من الهنود بوجه خاص على الهجرة . وقد اصبح الهنود في الناتال يفوقون من حيث العـدد السكان البيض الى درجة انهم طالبوا ، بتأثيـر مـن غاندي ، بحق الانتخاب . والى جانب هـذه النتائج الاجتماعية المترتبة عن النمو الاقتصادي حدثت تبدلات في عقلية الاوساط الاهليةبتأثير من البعثات التبشيرية: 300 الف اسود في الدين المسيحي بواسطة البعثـات البروتيستانتيـة .

كان جنوبي افريقيا والحالة هـذه في منتهـى النضوج . حقا ان السكان البيض (21 في المائة مـن مجموع السكان سنة 1910) كان عددهم كثيرا نوعا ما الامر الذي دفع بهم للامساك بيد من حديد على مقاليد الوضع. الا ان البوير والانكليز كانوا اعداء، وأتى تضارب المصالح الاقتصادية فيما بينهما فزاد من حدة الاحقاد والضغائـن . فمستقبل السيادة البيضاء كان رهينـا اذن بالتوفيق بين هذين الجانبين . وتلكم هي الغايـة التي كانت ترمي اليها السياسـة البريطانية منـذ سنة 1906 . وهكذا منحت للترانسفال والاورانج قانونا خول لهما استقلالا ذاتيا تشريعيا شبيها بالذي كانت تتمتع به بالفعل كل من مستعمرتي راس الرجاء الصالح والناتال . ان تجاور هذه الاراضي الاربعـة التي سلكت فيها الحكومات سياسات مختلفة من حيث الجبايات المالية والانظمة الاقتصادية والاجتماعية كان مع ذلك يمثل محاذير خطيرة : فكيف السبيل الـى تنظيم مد السكك الحديدية واستغلالها بشكل يرضي الجميع ؟ وكيف الوصول الـى انسجام في التدابيـر الراجعة للعلاقات بين البيض وبين الاهالي ؟ لقد تغلب صك الاتحاد (Acte d'Union) الذي دخل في حيـز التطبيق ابتداء من 31 مايو1910 على هذه الصعوبات. وحينذاك اصبحت سائر القضاياالاساسية من اختصاص برلمان جنوبي افريقيا . وكان يقع انتخاب هذا البرلمان من قبل الانكليز والبوير علاوة على جزء من السكـان البيض الذين كانوا يملكون املاكا عقارية في مستعمـرة راس الرجاء الصالح . لا شك ان هذه التسوية لـم ترض مجموع البوير : اذ ظلت هنالك (في الاورانـج بالخصوص) حركة مقاومة ثابتة كان يغذيها « الحـزب القومي » ، الا ان تحقيق اتحاد جنوبي افريقيا في هذه الآونة كان ناجحا فيما يبدو .

وبالنسبة لافريقياالسوداء — سواء تعلق الامربافريقيا الغربية الاستوائية الفرنسية، ام المستعمرات الانكليزية في غامبيا (Gambie) وسيراليون (Sierra Leone) وشاطىء الذهب ونيجيريا وافريقيـا الشرقية ، ام بالاراضي الالمانية في الكاميرون والتوغو وافريقيـا الشرقية ، ام بالكونغو الذي اصبح مستعمرة بلجيكية منذ سنة 1908 ، ام بالمستعمرات البرتغالية في كابيندا (Cabinda) وانغولا والموزابيك ام بالاراضي الصغيرة الاسبانية والهولاندية في غينيا (Guinée) — نجـد ان الدول المستعمرة كانت ترمي الى غاية مباشرة مـن الناحية الاقتصادية الا وهي تنمية انتاج المواد الغذائية والمواد الاولية التي كانتتخصص للتصدير الى اوروبا. وللوصول الى هذه الغاية نراها اقرت تشريعا زراعيـا واصدرت نصوصا قانونية تتعلق بتشغيل اليد العاملة وبتنظيم الاستغلالات الزراعية والغابية والمعدنية .

ان التشريع الزراعي الذي قال عنه لوروابوليو (Leroy-Beaulieu) منـذ سنـة 1880 بانه « كان على ما يظهر حجر الزاوية في اي نظام استعماري هادف الى الهجرة السكنية » ، هذا التشريع كان يهدف الى اقامة توزيع للاراضي بين المستعمرين وبين الاهالي ، ففي المستعمرات الفرنسية قررت الادارة أن تدخل « الاراضي الشاغرة والتي لا مالك لها » في املاك الدولة دون ان تبين السبيل الى تمييز الحقوق التي اكتسبها السكان الاصليون ، واخذت الادارة الانجليزية باساليب مختلفة ، فهنا في كينيا طبق نظام « الاحتفاظات » ذلك النظام الذي خصص للاهالي بعـض المناطـق دون ان يسمح فيها للمستعمرين بشراء الاراضي او اكترائها ، ثم احتفظ بباقي الاجزاء للاجانب لكي يستعمروها ولا يمكن للاهالي فيها الا ان يكونوا عمالا بعـرق الجبين ، وهناك في اوغاندا الحقت كافة الاراضي التي لم تكن في الملكية الخاصة للاهالي باملاك التـاج البريطاني . وتم ذلك بموجب امر صدر سنة 1903 ، فكان امـرا خطيرا بحيث انه لم يأخذ بعيـن الاعتبـار التملـك

الجماعي . اما في السودان النيلي فقد نص القانون فحسب على أنه ليس في الوسع اعتبار السكان الاهليين معدمين بالمرة وان في استطاعة كل واحد منهم ان يملك هكتارين على اقل تقدير . واخذ التشريع الالماني في البدء بنظام « الاحتفاظات » الا انه ازاء تشكيات الاهالي وبالخصوص ازاء العصيان الذي قام به في 1905 – 1906 الجنوب الغربي الافريقي ، تراجعت الادارة في الكاميرون وفي افريقيا الشرقية عن هذا النظام وقررت الا تمنح لاي مستعمر اي ارض محتلة فعلا من قبل فرد من الاهالي . واجمالا كانت التفويتات في اغلب الاحيان تؤدي الى اغتصاب حقيقي وذلك اما لكون الاوروبيين كانوا يجهلون الانظمة الاهلية المتعلقة بالتملك واما لكونهم كانوا لا يتنازلون فيأخذون بعين الاعتبار هذه الانظمة ، ولقد اعطيت هذه الاراضي المنتزعة من الاهالي للمستعمرين تارة عن طريق امتياز مجاني واخرى عن طريق البيع او الكراء ، كما كانت تعطى كذلك للشركات الاستعمارية .

والواقع ان نظام كبريات الشركات كان هو السائد بوجه خاص في افريقيا الاستوائية الفرنسية وافريقيا الشرقية الالمانية وفي الكونغو البلجيكي ، اذ كانت الدولة تمنح لهاته الشركات اراضي شاسعة تم تحولها في حدود الامتياز الانفراد بحق استغلال الموارد وما يرافق ذلك من مختلف انواع النشاط التجاري ، على ان تتكفل بشق الطرق واقرار الامان . وتلكم كانت وسيلة للتخفيف من اعباء الادارة واجتذاب رؤوس الاموال بسهولة . لكن اينما اتجهنا تقريبا الفينا ان هذه الشركات الاستعمارية كانت تعامل الاهالي معاملة فيها نشاط اذ كانت لا تتردد في اللجوء الى الوعيد والعنف . وكان للفضائح التي ندد بها في 1906 – 1907 من اعلى منبر الريخشتاغ ما يماثلها في فرنسا حيث عهد لبرازا (Brazza) باجراء بحث اسفر عن معاينات خطيرة ، ثم ان بعض المحافل الانكليزية كانت قد شنت حملات شعواء على اساليب الاستعمار البلجيكي . وابتداء من سنة 1907 بالنسبة لالمانيا ، ومن سنة 1910 بالنسبة لفرنسا تعين على الحكومات ان تتراجع عن هذا النظام وان تدخل في مفاوضات مع الشركات لفسخ العقود وافتداء الحقوق . لكن لم يقع شيء من هذا القبيل في بلجيكا حيث ظل نظام كبريات الشركات يانعا: ففي سنة 1911 نالت كل من الشركة الغابية للكونغو (Société forestière du Congo) وشركة كاطانغا (Compagnie du Katanga) اللتين كانتا تملكان من قبل امتيازات ارضية هامة ، حق استغلال الموارد المعدنية في مناطقهما .

واخيرا ، فلاجل تسهيل مهمة الشركات او الادارات الاوروبية للحصول على اليد العاملة ، اذ كان التشغيل صعبا في هذه المناطق الموحشة التي لم يكن سكانها على قلتهم معتادين العمل المنتظم أو كانوا في غنى عنه – كانت الدول المستعمرة لا تعمد الى السخرة فحسب لانجاز ذات المنفعة العامة وانما لتحميل السكان في المنطقة الاستوائية ما لا طاقة لهم به من الانتقال ، كما انها – اي الدول – كانت تتدخل في ابرام عقود الشغل لامد طويل وعقود « التعهد » بين الاهالي والمستعمرين . وكانت الادارة في مثل هذه الحال تحمي الافراد الاهليين الى درجة انها كانت ترقب احوال السكن او الاجرة : الا أنها كانت تضمن بالاخص مصالح ارباب التشغيل ، وذلك بانزال عقوبات جنائية في حق « المتعهد » اذا الغى العقد بدون مبرر معقول : وكان الجزاء في افريقيا الشرقية يقف عند حد الذعيرة ، لكن الامر في المستعمرة البلجيكية والمستعمرات الالمانية كان يصل الى حد السجن ، اما في ايرتيريا فكان التشريع يسمح بضرب « المخل بالعقد » ضربا جسمانيا .

هل كان لوسائل القهر هذه ما يقابلها من تنمية لوسائل النقل ؟ في هذا الوقت كان التجهيز بالسكك الحديدية لا يزال ضعيفا اذا ما قورن بمثيله في افريقيا الجنوبية وافريقيا الشمالية : كان هنالك اربعة خطوط حديدية تسير من الساحل الغربي نحو الداخل ( واطولها وهو الخط الرابط داكار بالنيجر كان لا يتعدى 1200 كم) . وكان هنالك خطان فقط على الساحل الشرقي .

اما المشروع العظيم المتعلق « بخط راس الرجاء – القاهرة » ، ذلك المشروع الذي كان سيسيل من رودس قد بدأ في انجازه منذ خمس وعشرين سنة، فانه وصل الى ثلثي مراحله فحسب وبقي عليه ان يتم سائر الجزء المركزي الذاهب من الخرطوم الى بحيرة تانجنيقا (3.300 كم) وفيما يرجع « للخط العابر للكونغو (البلجيكي) فذلكم مشروع تمسكت به المحافل الاستعمارية بالرائح لهدف سياسي ، اذ من الناحية العملية كان المشروع القاضي بوصل الانهار الصالحة للملاحة بعضها ببعض بواسطة سكك حديدية ، كافيا لسد الحاجة .

وليس من المستحيل اطلاقا ، حيث ان الدراسات الدقيقة غير موجودة ، تقدير الاهمية الحقيقية للتدخل الاوروبي فى الحياة الاقتصادية لهذه القارة السوداء ، بالنسبة للسنوات الاولى من القرن العشرين . اذ كان لعمل الاوروبيين بلا ريب نتائج ايجابية فى المناطق التي كانت الزراعات الجديدة فيها تغذى تجارة التصدير ، تلك التجارة التي استفاد منها المنتجون من الاهالي . وكان لهذا التدخل ايضا نتائجه السلبية حينما قضت هذه الزراعات على التربة فى شمال السينيغال مثلا او حينما انتزع نظام السخرة فى الاشغال العامة من ميدان الزراعة جزءا من السكان الممتاز بالنشاط والحيوية . ومع ذلك نتج عن الاستعمار الاوروبي عموما رفع مستوى حياة السكان ، وعلى اقل تقدير اولائك القاطنين بالمناطق التي كان وجود المعمرين فيها عاملا مساعدا على تنمية الزراعات الخاصة بالتصدير ، نقول هذا لان الاستعمار الاوروبي اتى فقط بالامن الى هذه النواحي التي كانت فى السابق مسرحا دائما للحروب . لكن مما لا شك فيه ايضا ان التشريع المتعلق بالاراضي كان فى الغالب يحرم الافراد والجماعات من املاكهم فكان بذلك يزيد فى تعقيد احوال حياتهم المادية .

وفى الميدان الاجتماعي برزت بشكل واضح الاضطرابات التي ترتبت عن الاستعمار الاوروبي : اعني انهيار « الارستقراطية » المحلية لا سيما حينما جردها الغاء الرق من خدامها ، وافول نجم «العشيرة» حيث ان اعضاءها اخذوا يخرجون بكيفية اسهل عن سلطة الجماعة بمجرد ما استغنوا عنها فيما يخص تأمين سلامتهم الشخصية وبقاءهم فى حمايتها ، ثم تكون نخبة من الاهالي تشربت فى المدارس التي فتحتها الادارات الاستعمارية او المؤسسات الدينية ، بالفنون الصناعية التقنية والمفاهيم الثقافية والدينية والاوروبية . ان هذا التغلغل (تغلغل التأثيرات الاوروبية) كان قد لقي معارضة ناشئة عن دين نظم هو الآخر آدابا اجتماعية فى المناطق التي يسود فيها المسلمون ، الا ان المجال كان خصبا فى الاوساط المعتقدة بالارواح (Animisme) وبالاصنام (Fétichisme) . وهكذا كان للبعثات الكاثوليكية — كالآباء البيض وآباء الروح القدس والاباء اليسوعيين — فى سنة 1914 ما يقرب من مليوني عابد ، وكان للبعثات البروتيستانتية وعلى راسها ما سمي (Church Missionary Society) ما يقرب من 800 000 اي ما يعادل فى المجموع ثلاثة ملايين على وجه التقريب . وهذا العدد فاق بضعفه النتائج المكتسبة فى الامبراطورية الصينية تلك الامبراطورية التي كانت تفوق فى عدد سكانها القارة السوداء بعشرة اضعاف . وبالرغم من ان العقيدة التبشيرية لم تكن تهدف فى اصلها الى خدمة (عملية تعويد الافريقيين على الحضارة الاوروبية) الا انها بعملها هذا كانت تمهد السبيل الى ذلك .

وهكذا وجدت هذه القارة الافريقية نفسها ، عندما استعمرها الاوروبيون ، تابعة لاوروبا الغربية ، فكانت تبيع لاوروبا 83 فى المائة من صادراتها وكانت تشتري من اوروبا 72 فى المائة من وارداتها ، اما العلاقات التجارية مع الولايات المتحدة فكانت تبلغ فقط 5 فى المائة .

ظلت كل من افريقيا الجنوبية وافريقيا الشمالية مدة خمس وعشرين سنة المجال الجغرافي الذي اكتسى فيه تصادم التوسعات الاستعمارية — نتيجة لتضارب المصالح الاستعمارية بين الدول الاوروبية — طابعا شديد الخطورة . وما ان اشرفت سنة 1911 على نهايتها حتى اصبحت افريقيا الوسطى هي التي تلفت الانظار اذ عادت المحافل الاستعمارية الالمانية الى سابق برنامجها الاستعماري، ذلك البرنامج الذي قد رسمت خطوطه الاولى سنة 1898، ويتعلق الامر «باعادة توزيع» الاراضي الاستعمارية فى القارة الافريقية للوصول الى تشكيل امبراطورية استعمارية على حساب الدول المستضعفة لفائدة الريخ الالماني . واخذت الصحافة الالمانية — فى هذه المرة لم تكن صحف دعاة الوحدة الجرمانية وحدها فى الميدان — تهتم بهذه المشاريع بكل ما اوتيت من قوة . وكانت الحكومات الالمانية تعنى ببرنامجها هذا المستعمرات البرتغالية من جهة والكونغو الذي كان تحت السيطرة البلجيكية من جهة اخرى : كانت تعنى بذلك انغولا (Angola) وموزامبيق (Mozambique) وكابيندة (Cabinda) لان احياء هذه الاراضي الشاسعة كان بسيطا نتيجة للصعوبات التي كانت حكومة لشبونة تتخبط فيها . اما الكونغو (البلجيكي) فكان فى نظر الحكومة الالمانية « مستعمرة شاسعة جدا تابعة لمستعمر بلاده صغيرة جدا » . وكانت هذه البلاد الكونغولية منذ ابرام الاتفاق الفرنسي — الالماني بتاريخ 4 نوفمبر 1911 تلتقي فى نقطتين بالاراضي التي نالتها المانيا . هذا هو المكان الذي ارادت الامبراطورية الالمانية ان تجد فيه « مكانتها تحت الشمس » فهل كانت تريد الوصول

الى هذه الغاية بالقوة ؟ لا اللهم الا اذا وافقت الدول العظمى الاوروبية الباقية التي كانت لها مصالح هامة فى افريقيا على هذه البرامج .

بيد ان الحكومة البريطانية قد اشعرت فى خريف 1911 على انها غير موافقة . وبعد مساومات طويلة الامد اسفرت عن توقيع اتفاق سري فى 20 اكتوبر 1913 . وقد نظمت هذه المعاهدة توزيع مناطق النفوذ من جديد بين الالمان والانكليز : فكان ان خصص للانكليز الجزء الجنوبي من موزامبيق بما فيه مصب الزامبير Zambère لكن دون بلوغ الساحل ، وللالمان شمال الموزامبيق بسائر انحاء المنطقة الساحلية لانغولا تقريبا وبشمال مصب الكونغو فى كابيندا . هل كانت هذه المعاهدة تتضمن نفوذا اقتصاديا ؟ نعم بلا شك ، الا انها كانت لا تهدف الى اقامة نفوذ سياسي حيث نصت احدى المواد على انه اذا وقعت اضطرابات محلية « فهددت الالمانيين او الانكليز سواء فى حياتهم او اموالهم » او « عرضت هذه الاضطرابات المستعمرتين المتجاورتين الى خطر » اتخذت كل من المانية وبريطانيا العظمى التدابير اللازمة لحماية مصالحهما . وهنا ايضا كما راينا فى آسيا الصغرى نجد ان مناطق النفوذ الاقتصادي قد تصبح هي نفسها « حصص المستقبل » . وقد كتب السيد ايدواردغري « بان الالمانيين ياملون ان يتم فى اقرب وقت ممكن تقسيم المستعمرات البرتغالية وانما كذلك .. »

كانت الديبلوماسية الالمانية ترى فى هذا النجاح مقدمة للوصول الى حل مناسب لمسالة الكونغو (البلجيكي) . وفى نهاية 1913 فكرت فى الحصول من الحكومة البلجيكية على امتياز لفائدة شركة المانية لانشاء سكة حديدية عابرة لافريقيا الارض الكونغولية وعلق الوزير الفرنسي فى بروكسيل على ذلك بقوله : « انها سيطرة اقتصادية فى انتظار تحولها الى سيطرة سياسية » . ومن الطبيعي ان ينشغل بال الحكومة البلجيكية لا سيما عند ما تعلم ان المانيا ستصبح سيدة الموقف فى شمال انغولا والكابيندا حيث انها (اي المانيا) ستصبح مشرفة على الطرق المؤدية الى الارض الكونغولية فى المحيط ، وعليه فقد « يصبح الاستقلال الحقيقي للكونغو البلجيكي ضعيفا بين عشية وضحاها » .

الا ان هذين المشروعين اصطدما بمقاومة واحدة : فقد قلقت الحكومة الفرنسية من الاتفاق الانكليزي — الالماني المؤرخ باكتوبر 1913 ، ليس فحسب لكون الوجود الالماني فى كابيندا قد يؤدي الى « تطويق » افريقيا الاستوائية الفرنسية بمستعمرات المانية وانما لكون « تقارب فى المصالح » — وهذا هو الاهم — بين انكلترا والمانيا لا ينسجم والاتفاق الودي الفرنسي الانكليزي ، لا ريب ان فرنسا كانت قادرة على الاشتراك فى معاهدة التقسيم وعلى المطالبة بحصتها ، لكنها لو فعلت لقللت من شأن « وضعها المعنوي » اذ انها كما قال بول كامبون سوف لا تحظى بمكسب ذي بال . فكان من الاحسن اذن ان تحتج لدى الحكومة الانكليزية: وذلكم ما وقع فى فبراير 1914 . وهكذا قرر مجلس الوزراء الانكليزي تأجيل المصادقة على الاتفاق الانكليزي — الالماني. اما فيما يرجع للكونغو (البلجيكي) فان كاتب الدولة فى الخارجية الالمانية القى فى ابريل 1914 « ضربة سبر » فى محادثة له مع سفير فرنسا اذ قال ان بلجيكا غير قادرة « حتى من الناحية المالية » على مواجهة مهامها فى افريقيا الجنوبية ، فلماذا لم تفكر كل من المانيا وفرنسا وانكلترا فى برنامج للعمل دون ان تحيط بطبيعة الحال حكومة بروكسيل علما بهذا البرنامج « ما دامت بلجيكا هي التي ستؤدي الثمن »؟ قبل كل شيء يتعين ان نعتقد بان الدول العظمى وحدها كانت قادرة على تحمل المزاحمة العالمية وان الدول الصغرى فى المستقبل سوف تضمحل او تصبح دائرة فى فلكها ؟ الا ان ضربة السبر هذه كانت عديمة الجدوى لان سفير فرنسا اجاب بقوله : ان بلجيكا هي « التي تستطيع وحدها ان تثير محادثة من هذا القبيل » ، وتلكم رزانة لازمة « فى ظروف كانت باستطاعتها ان تجر الدول العظمى المستعمرة الى ساحة الوغى .

اما مسالة توحيد افريقيا « Mittelafrika »

« فقد ظلت معلقة ، كما كتب السيد ايدورادغري . والواقع ان هذا التوقف سيكون حاسما لان الحرب العالمية الاولى كانت ستندلع بعد ثلاثة اشهر . ومع ذلك لم تكن هذه الفترة بلا فائدة لانها ابانت لنا كيف استطاع مجلس الوزراء الانكليزي ان « يوجه » اهداف التوسع الالماني نحو القارة الافريقية .




# رسالة الشعر في الدنيا مقدسة

لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء
ألقيت في مهرجان الشعر بدمشق

سل العروبة ... هل ضجت لبلوانا     وسل امية .. هل رجت لشكوانا ؟
ويا ذرى الشام ... هل هاجت مواجدنا     فبارك الشعر فى ناديك لقيانا ؟
ويا دمشق .. هل ابتلت جوانحنا     بعد التنائي الذي قد كان اضنانا ؟
وهل درى السجن : اني بعد وحشته     القى بجلق اصحابا وخلانا ؟
هي المشاعر .. شبتها لواعجنا     فصاغها الشعر حبا من حنايانا
هي الحشاشات .. فارت من مذابحنا     تضوع فى الشرق عطرا من زوايانا
هي التسابيح .. من اعماق مغربنا     يصغي بها ـ مهرجان الشعر ـ نجوانا
هي الشعاليل .. من بركان اطلسنا     تشع فى الشرق انوارا ونيرانا
ووحدة ـ الثورة الكبرى ـ مظفرة     تزف للوحدة الكبرى ـ تحايانا
وتلك اكباد ـ عبد القادر ـ انطلقت     تبارك النبل فى اكباد مروانا

* * *

آمنت بالله ـ يا فيحاء ـ كم مهج     خلدن فى حرم الفيحاء ذكرانا
وفى الجزائر .. كم يا شعب من رحم     تهفو لجلق اشواقا وتحنانا
ومن ضمائر تابى الذل .. فاتخذت     يا دار ـ مغناك ـ دون الارض ـ اوطانا
وخانها الصحب فى الجلى .. وما عدمت     فى الشام . عونا على الجلى . واخوانا
وكم ليالي بالاسمار حالمة     يصفى لها ـ بردى العربيد ـ نشوانا
والغوطتان .. رايت الله عندهما     وما تعبدت ـ دون الله ـ اوثانا
لولا التقى .. لحسبت الخلد دونهما     حسنا .. وسميت .. قاسيون ـ رضوانا

وفاتكات عذارى من فواتنها ... انبيننا – في خطوط النار – صرعانا
وفي اللحاظ .. كلام .. ليس يفهمه ... الا الذي باع دنياهم بدنيانا
دنياهم – دنس الاطماع حرمتها ... والشعر كالوحي . اصفانا فزكانا
واننا – الشعراء الناس – ما فتئت ... ( ارواحنا تغمر الانسان ايمانا )

* * *

رسالة الشعر في الدنيا مقدسة ... لولا النبوءة كان الشعر قرءانا
فكم هتكنا بها الاستار مغلقة ... وكم غزونا بها في الغيب اكوانا
وكم جلونا بها الاسوار مبهمة ... وكم اقمنا بها للعدل ميزانا
وكم صرعنا بها في الارض طاغية ... وكم رجمنا بها في الانس شيطانا
وكم حصدنا بها الاصنام شاخصة ... وكم بعثنا من الاصنام انسانا
وكم رفعنا بها اعلام نهضتنا ... فخلد الشعر في الدنيا مزايانا
وعابثين ... ارادوا الشعر مهزلة ... فازعجوا برخيص القول آذانا
تنكروا للقوافي حين اعجزهم ... صوغ القوافي .. وضلوا عن ثنايانا
قالوا : جمود على الاوضاع وزنكم ... فشعرنا الحر لا يحتاج اوزانا
فاين من جرس الايقاع خلطكم ... ما الشعر ؟؟ ان لم يكن سوقا واغصانا ؟؟
وكيف .. ؟؟ هل خلد التاريخ سخفكم ... مهما تفتن اخراجا واتقانا ؟؟
وما عسى تنفع الاسفاف مطبعة ... تضفي الدمقس على الاموات اكفانا ؟؟
وهل اعار – رواة الشعر – لغوكم ... وزنا .. ؟؟ وهل حشوكم بالحفظ اغرانا ؟؟
وما تفيد المعاني وهي مجدبة ... لو صاغ الفاظها داود الحانا ؟؟
وهل تضيق القوافي وهي مخصبة ... عن الخوالد ؟؟ لو تصفو نوايانا ؟؟
وما الذي يصل الارحام في غدكم ... ان كان ماضيكم زورا وبهتانا ؟؟
رجعى العروبة .. لا عدوى الدخيل بنا ... شتان ما بين عدواكم ورجعانا
عودوا الى لغة يرضى الدخيل بها ... ما كان اغناكم عنا واغنانا
او عجلوا توبة ترضي عروبتنا ... ما كان ادناكم منا وادنانا

* * *

يا محفلا تتجلى فيه وحدتنا ... ومهرجانا بروض الشعر ريانا
وعبقرا يخرق الاجواء منطلقا ... يلقى الرسالات من اصداء فصحانا
وبحتريا .. طوى الاعصار منتقلا ... يردد الحفل في اذان قحطانا
وثائرا .. ذكرته الساح ساحتنا ... فظن نار الوغى حقا شظايانا

فراح يعصر اعصاب النجوم دما ويسعر الغضب المكبوت بركانا

وشيجة الشعر فى دنيا عروبتنا اقوى من القدر الجبار سلطانا

والشعر طهر فى الدنيا سرائرنا والشعر يسر للخيرات اشقانا

فلا السياسة دكت صرح دولتنا ولا المطامع نالت من سجايانا

يسمو بنا الوحي عن دنيا مموهة ويقصر النفط عن الهام صحرانا

* * *

ويح العروبة .. كم ديست قداستها وسامها الخلف افلاسا وخذلانا

وعاكفين على النعمى .. يهدهدهم صفو الليالي .. وما رقوا لبلوانا

ناموا .. وفى الدار اسرائيل يرصدنا واغمضوا دون اسرائيل اجفانا

وفى الجزائر اشلاء ممزقة راحت عن العرب قربانا وغفرانا

الشرق فى الخطب طارت عنه سكرته لولا المصاب لظل الشرق سكرانا

قد كان ما كان ـ والايام موعظة يا ليت ما كان قبل اليوم ، ما كانا

* * *

يا مسعدينا بدمع فى رزيتنا ومسعفينا بعطف فى بلايانا

ذروا العواطف .. فالرشاش يجهلها و ( سجدة السهو ) لا تحيي ضحايانا

وصالح الدعوات .. النار تنكرها ما لم تقدم لها الاعمال برهانا

وليس تجدي قرارات على ورق ان لم يك الفعل ايضاحا وتبيانا

* * *

متى تلح من ذوي القربى (مقاطعة) يسعد بها ثمن (الفستان) جرحانا

ويكفينا ثمن (الفورفيل) ارغفة نطعم شيوخا بها ـ جوعى ـ وصبيانا

ابالمساحيق نذرو جند غاصبنا ام بالعطور تفدي ثغر مرسانا

ام بالعشيقات نغزو خلف اطلسها فيكبر الاطلس الجبار معانا

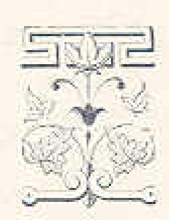
(صبغ الشفائف) تفنى عنه قانية دماؤنا .. يوم نهديها ـ عذارانا

وفى المدامع عطر لا يضارعه (ماجريف) ايان تذريها صبايانا

وفى الانين رنين (الجاز) متزنا تجيد عزف موسيقاه يتامانا

وعن دبالج باريس لنا عوض نعم (الدبالج) من اوصال قتلانا

يا ناعس الطرف .. هل راعتك محنتنا    ام عن كوارثنا لا زلت نعسانا
ان تعط مالك .. فاذكر يوم تنفقه    انا من المهج الحرى عطايانا
وابذل مع الحب حبا يستعين به    فالحب ينقذنا .. والحب يرعانا
قدس العروبة .. والايات شاهدة ـ    ما انفك تغمره حبا طوايانا
وحرمة الضاد فى الاجيال ما فتئت    يرتاش من نبل معناها جناحانا
والجرح ما انفك فى اكبادنا غدقا    يسيل من دمه المسفوك عطفاتنا
والمغرب الحر لا تخبو لواعجه    بالشرق ما انفك مسحورا وولهانا
عز العروبة فى اعطاف ثورتنا    ان تسندوا حربنا ترفع لكم شانا
فباركوا وطنا يغزو ( ثمانية )    نشوان .. كالمارد العملاق ـ جذلانا
وثورة لشعوب الارض ملهمة    احيت لواقحها بيضا وسمرانا
تعنو لوثبتها الدنيا وتكبرها    وتفهم الكون بالرشاش معنانا
سما بها الوعي .. لا ضعف .. ولا نزق    وسادها العقل تفكيرا ورجحانا
شورى ، وعدل ، وتخطيط ، شريعتها    والشعب فى فلكها ما انفك ربانا
ما فاز بالمجد شعب ضاع من يده    حكم البلاد .. فقضى العمر حرمانا
وما استقر نظام ظل ممتهنا    حق الضعيف بها ظلما وعدوانا
لله در ابي ذر وثورته    فما ( لماركس ) عنه اليوم الهانا ؟
ويل القوي من المستضعفين اذا    حان القصاص .. ودانتنا خطايانا
الخير والشر فى هذا الورى دول    اصنع جميلا .. تجد عدلا واحسانا





# موقف الملك

للشاعر
المدني الحمراوي

« بلغراد » انت مناط المنى ... ومعتصم السلم والوحدة
اليك اوت امم هالها ... تنافس قوم على القوة
فجاءت اليك الوفود التي ... تبشر باليمن والرافة
فياله من مجمع رفرفت ... عليه ملائكة الرحمة
وبارك كل فؤاد على ... صنيعه واهتز للفكرة
واصغت اليه الدنا كلها ... وسرت باهدافه الحرة
تجمع والارض فى فورة ... وقد انكر الجو بالنكبة
فانعش آمال كل الورى ... ونفس من وطاة الغمة
ففر الغراب الى وكره ... وعاد الهزار الى الروضة
يغني نشيد الرجاء الذي ... يبشر بالسلم والغبطة

رجال الحياد هنيئا لكم ... بما نلتم اليوم من نصرة
رفعتم شعوبكمو عندما ... نطقتم بمستصوب الحكمة
فاعلنتم الحق من منبر ... تنزه عن سافل النزعة
ولم ترقبوا اي لون ولا ... حفلتم بجنس ولا ملة
ولكن رايتم جميع الورى ... من السود والبيض كالاخوة
فحياكم الله من معشر ... تحدوا سماسرة الفتنة
ومستعبدي امم اصبحت ... تتوق الى العتق والعزة
تداس كرامتها عنوة ... وتقتل بالنار و « الذرة »
وتحرم بالغصب من خيرها ... وتحشر فى جانب الذلة

متى يقلع الغرب عن غيه ... ويعدل عن جائر الخطة ؟
ويقنع بالعيش فى ارضه ... شريفا فيظفر بالمدحة
متى يدع الغصب او يرعوي ... عن الدس والغزو والسطوة ؟
الم يكفه ما جنت يده ... من العار والاثم والسبة ؟

فكم حصد الغرب من مهجة ... وكم شرد الغرب من امة
وكم اوقد الغرب من معرك ... ليختص في الارض بالسلطة
تراه مدى دهره صانعا ... سلاحا يعده للوثبة
ففي الحرب ما له مستنفد ... وفي عدة الحرب والخدعة
فريسته كل شعب غدا ... قليل الكفاية والمؤنة
ولكنها خطة افلست ... وباءت من الحق باللعنة
وجر الزمان على اهلها ... ذيول المهانة والخيبة
وجاء الحياد واقطابه ... فمالوا عليها بذي الطعنة

بلادي لك الفخر من موقف ... يجللك اليوم بالرفعة
تطاير في لحظة ذكره ... فلاح على هامة القمة
ورن صداه ففات المدى ... وامعن في العمق والدقة
وقابله الكون مستبشرا ... ومات الغلاة من الحسرة
وهز الدهاة فمن معجب ... ومن ساكت جن بالحيرة
فيا قوم ، من مثلكم امة ... لها مالك فاز بالذروة
تزعم جمع الحياد فلم ... يدع لذوي الجاه من رتبة
وابدع في الراي حتى اعتلى ... على جلة القوم بالفكرة
فقالوا : تراس وفه باسمنا ... فانت الاحق بذي الميزة
فالقى روائع من قوله ... وابدى من الحزم والفطنة
كذا فليكن من اراد العلى ... لعرشه والعرب والامة
كذا يكسب الفخر بين الورى ... ويكتب في سيرة الدولة
ولكنها رتبة خصصت ... ببيت النبوءة والامرة
فان افلح الحسن المرتضى ... فذلك ارث بلا كلفة
ومن كان آباؤه جلة ... من الرسل يكمل بالمرة
وهل يعرف النقص في عترة ... لهم شرف القرب والحظوة
فمن رام ساحتهم بالهوى ... تخبط في عاجل النقمة
وما نال منهم سوى زائغ ... تغلغل في الشؤم والشقوة

فيا حسن اسلم لشعب يرى ... حياته فيك بلا مرية
يحالفك الفوز في كل ما ... تخلد للقطر من عزة
ومات بغيظه ذو اجنة ... يجادل في الحق بالفرية
فما نال غير الذي ناله ... غراب ينقر في صخرة
اليك انتهى كل فخر اذا ... تفاخر قوم بلا حجة
عليك القلوب حنت كلها ... ولو قدرت كنت في الحبة
فيا ابن الرسول عليك الرضى ... عليك السلام بلا منة

# بطولات اسلامية

## صور من قصص البطولة في صدر الإسلام

للشاعر محمود محمد الحبشي



صور تهز مشاعري وجناني ... هز الرياح ذوائب الاغصان
ما لي جفوت النوم وهو مطاوعي ... ورعيت نجما ساهرا يرعاني
ورضيت عن طيب الاقامة بالنوى ... ورحلت عبر حوادث الازمان
ونزلت فى ام القرى وسالتها ... اين الهدى ، والمصطفى العدناني ؟!
اين المغاني والمغانم والظبا ... بل اين اين محطم الاوثان ؟!
فى عصبة خضع الزمان لامرها ... ومشى على آثارها الملوان
ردت الى العقل الشرود صوابه ... وقضت على الطاغوت والطغيان
واذا التقت همم الرجال رايتهم ... امما تذل مصارع الحدثان
من كل فرد فيه عزمة فيلق ... والرعب يسبقه الى الميدان

### قصة الصبر الجميل

وبمصعب ابن عمير السمح التقت ... غرر المكارم فى فتى الفتيان
هي قصة الصبر الجميل وعبرة ... فى اليسر تلقاها وفى الحومان
متواضع بجماله وجلاله ... والمال زوده به الابوان
تتعثر النسمات فى اذياله ... فكأنه روض من الريحان
وينم عنه اريجه أنى مشى ... فى سابغ متعطر الأردان
فى صوته السحر الحلال ورنة ... عزت حلاوتها على الكروان
اما المحيا فالوداعة والرضى ... والحسن والاشراق فى انسان
قيد النواظر والقلوب وانه ... لحن الصفا جرى بكل لسان
قد عل من صفو الزمان وطيبه ... فغدا عصي الدهر فى الامكان

## اسلامه

ما باله لا يستجيب لفتية … قاد الثراء شبابهم للحان
فتيان مكة يحتسون مدامهم … ويطاردون شوارد الغزلان
ما باله يرتاد فى راد الضحى … حرما أمينا شامخ البنيان ؟
يصغى الى المتآمرين على الهدى … من كل شيخ ثائر غضبان
عجبوا من الاسي فى تاليفه … تلك القلوب وحيرة الكهان
قد راعهم ان تخضع العزى الى … رب الوجود وخالق الاكوان
ومن العقائد ما يضيق به الحجى … ذرعا ويوسع جانب البهتان
سمع الفتى فسعى لحزب محمد … ونأى بجانبه عن الشيطان
يا منزل ابن الارقم استقبل فتى … قد جاء مشتاقا الى الايمان
قد جاء يطرق بابه وكأنما … طرقاته بالباب طرق جمان
حياه وسلم ، والعيون تعلقت … بثرائه وروائه الفتان
والصمت ساد تحية لقدومه … والصمت قد يغني عن التبيان
ومضى الرسول يسوق آية ربه … قدسية من محكم القرءان
ان انذرت فالقوم من انذارها … غرقى بدمع دائم الهملان
او بشرت فالقوم من تبشيرها … سكرى بخمر طيب رباني
فمضى الفتى نحو المبشر مسلما … وتصافحت بين الجلوس يدان
الله اكبر كلما امتدت يد … للحق فى عز وفى اذعان

## كفاحه

حجب الفتى نور الهدى عن أمه … حتى ينال المال بالكتمان
لكن ( عثمان بن طلحة ) قد راى … هذا الفتى فى طاعة الديان
فمضى يحدث امه عما راى … والام مصغية الى عثمان
وصف الصلاة ركوعها وسجودها … ووقوفه فى خشية وامان
ومضى يغير قلبها فتجردت … من كل عطف سابغ وحنان
منعته مالا كان تحت يمينه … فاذا به كالمعوزين يعاني
وتبدلت حال الفتى فى عسره … مثل الفقير وكالاسير العاني
ومضى مع الفقراء فى ركب الهدى … كبلال الحبشي او سلمان
وتخدد الوجه المضيء وقد غدا … رث الثياب وغارت العينان
لم يبق الا صوته وعقيدة … فتنت كحر التبر بالنيران

واقام فی بلد النجاشي لائذا بحماه من كيد ومن عدوان
هي هجرة شرعت لكل مجاهد فی الحق يطلب نصرة الرحمن
واشتاق للهادي فعاد وقلبه متفتح للنور والفرقان
ووعى فارسله الرسول معلما فمضى ليثرب رائد العرفان
واقام مغتربا يسوق بصوته عذب الحديث وساطع البرهان
**واذا المعلم نال صوتا ساحرا جعل القلوب تحل فی الآذان**

شجاعته فی بدر

لله مصعب الفتى كل الفتى هو فی الملاحم اشجع الشجعان
حمل اللواء بيوم بدر ثابتا ما زاغ او زلت به القدمان
قد ناهز الكفار الف مقاتل والمسلمون يفوقهم ضعفان
ارايت كيف اعز ربك جنده حين التقى فی الحومة الجمعان ؟
دارت رحى الهيجاء وانقشع الدجى وارتد منهزما ابو سفيان
ومضى لواء المسلمين ليثرب يزهو بصفحته على الاعنان
يا فرحة الاسلام حين تحققت للمسلمين شعائر واماني
هي عصبة الحق القليل عديده فی (بدر) قد ظهرت على البطلان
هي عبرة الاجيال يسطع نورها لم تبق اعذارا لاي جبان
هي ذكريات الحق فی ريعانه ارايت جند الحق فی الريعان ؟

شجاعته فی احد

ولواؤه بيمينه فی معرك حين التقى فی الساحة الجيشان
ارايت فی (احد) بطولة مصعب يرتج بالابطال والمران
فی موقف ترك الرماة مكانهم طلب المغانم ، والحطام الفاني
لم يسمعوا قول الرسول فهالهم جيش يحاصرهم بكل مكان
هو خالد وجنوده قد احدقوا بالمسلمين احاطة النيران
وقد استحر الضرب واشتبك القنا وترى الدماء تسيل فی الكثبان
حتى رسول الله شج براسه واصيب فی سن لخير لسان
يدعو الذين تفرقوا من حوله حتى يزيلوا وصمة الخذلان
نادى ومصعب الفتى لما يزل بلوائه ركنا من الاركان

# أنا وبقية الفئران ..

للشاعر
أحمد البقالي

انا كنت حتى داخل الجحر الصغير ،
وبقية الفيران مثلي موثقين الى الحصير ،
بشرا له قلب كبير ...

فى داخلي كانت عيون لا تنام
حتى ولو نزل الظلام
ومشت على جسمي القوارض والهوام

والنور كان محرما عبر الاثير
فى داخل الجحر الصغير
والفول رب الجحر أعمى ، عاصب عينيه
يزفر كالبعير ...

كنا كنمل فوق عود
نمشي لنرجع .. ثم نمضي كي نعود
وكاننا رمز الخلود

كنا كمفقود من الديدان فى الجحر الصغير
داست على ارواحنا الاقدام
لنخر للاصنام
جثيا ، وللفول الكبير

وبداخلي زرعت يد الايام
وهما من الاوهام
ككتابة الريح الخفية فى الرمال
كتفتح الاكمام
او روعة الاحلام
من يوم ان ولد السؤال
فخطوت اول خطوة نحو الكمال

اخبر احدا .. ولكـن ، حيث انك اتيت ، فهـا انت تعرف الحقيقة ، وانما لاتلح علي اي سؤال آخر .. ومن الاحسن ان نترك هذا الامر وندخـل فى موضوع غيـره .

وغاظني منه هذا الكلام ، فاجبته : لعلك تعتقـد اني ما جئت الا لكي اتجسس عليك ؟ ولا تفكر مطلقـا ان الصداقة هي التي دفعتنـي لكل هذا الفضول ، ولكـن ..

وهنا توقفت ، لما رأيته صامتا ساكنا ينظر الي بعينين تعبران عـن الم عميـق ، وعلمت ان كلماتـي لاتطابق المقام فهدات من روعي وقلت : سامحني اذا كنت مخطئا يا علي .. ولعلني اذا اقترحت عليك ان ارافقك فى هذا السفر فلن ترفض ذلك .

فنظر الي بتعجب وقال : مستحيـل

ــ ولمـــه ؟

ــ قلت لك انـه مستحيـل .. لانـني ساذهب بعيدا ولاني اريد ان ابقى وحدي

ــ انت تسمي هذا سفرا ! وانما هو فرار .

وشعرت باني ضربته فى الصميم لما تلفظت بكلمة الفرار ، فقد علا وجهـه الاصفرار وتقطبت سحنتـه وقال لي بتحد : انت الآخر تعتقد انه فرار ؟ .. قـل لي ، هل تعي ماتقول ؟ هل تعتقـد حقـا وفى قرارة نفسك اني اريد الفرار ؟ قل لي ، .. لا لا ، ليس هذا فرارا وانما هو تحرر .. اما انت فتريد ان تقنعنـي بالالفاظ كما لو كنت صبيا ، انصت ، يامحمد سمـه فرارا او انهزاما او ماشئت ، فساسافر ، ولوحدي.

ــ على مهلك ، ياعلي ، واري ان الحديث معك شاق فى هذا الصباح .. والاحسن ان لانسترسل فى مثل هذا الكلام .. واخبرك اني لم اتناول فطـور الصباح بعد ، ولهذا فاسمح لـي ان احضـر عنـدك فنجـان قهـوة .

ــ تفضـــل .

ودخلت الى المخزن الصغير الذي بجانب حجرته والذي يستغله كمطبخ وكمكان للنظافة ، اوقدت النار فى فرن الكحول واشتغلت بتحضير القهوة وتقطيرها ، وكنت فى تلك الاثناء اسمع عليا يخطـو ذهابا وايابا فى الحجرة لايقف ولا يشتغل بشيء معين ، انتهيت مـن طبخ القهوة وعدت بفنجانين مملوئين بقهوة سخينـة الى وسط الحجرة حيث نصبت الطاولة ، كـان علي سادرا فى افكاره وهواجسـه ، ولهذا ، فقد ظل يمشي مشيته الآلية ساهم الوجه مقطب الحاجبين .

واخذت لاول مرة انفرس فيه بامعان ، فقـد كانت روحه القوية المنبعثة فى كـل ملامحه وجوارحه تجعلني فيما قبل انصت اليه اكثـر مما احـدق فى وجهه ، اما اليوم ، فقد كانت روحه صامتة ، بـل غائبة ، ولم يبق امامي الا رجل من لحـم ودم يتخبط كاي انسان بين مشاكلـه .

وكلما حققت فى ملامحه ، تبين لي انـه اتخـذ قراره بصورة نهائية ، مصممـا على تنفيـذه ، الا ان هنالك عاملا آخر يتعارض مـع عزمه لازال يثيـر فى نفسه الحيرة والبلبال يجعله يفكـر ويفكـر ويذهب ويجيء دون ان يتوصل الى نتيجة .. ولمـا اعيانـي بحركته التي لاتنقطع قلت له محاولا صرفه عن كثرة التفكير : اما تاخذ فنجانك ؟ .

تناول الفنجان ، واحتساه بسرعة ، وبدا لي ان اعصابه تضطرب تحت فعل القهوة حيث استانـف سيره بصورة اكثـر عجلـة .. واخـذ راسي بعض الدوار ، فقلت له : ياعلي ، اذا كنت عازما على السفر فعليك ان تهيء حقائبك وامتعتك .

ــ لازال عندي متسع من الوقت .. فلن آخـذ القطـار الا فى الليـل .

ثم حدق في بصره وسالني كانه يستغرب مـن شيء : قل لي يامحمد ، من قال لك ان تاتي اليـوم عـندي مبكـرا ؟

ــ ليس لهذا الامر سبب خاص ، وانما استيقظت فى الصباح الباكر وخرجت استنشق الهواء فقادتني رجـلاي عنـدك .

— ربما كنت على حق ، يامحمد ، ولكنني مريض، بل مجنون .. وانا لا استطيع الاسترسال في الحياة على هذا الشكل .. مستحيل .. هل سمعت ؟ .. مستحيل ، مستحيل .. كم مرة فكرت ان كل ما مر من عمري ذهب ضائعا وانه كان علي منذ الاول ان اركب البحر واسيح في الدنيا وارى الناس كيف يعيشون في مختلف القارات والبلدان .. اني في حاجة للمغامرة .. اني لم اعد استسيغ الحياة على هذه الصورة ، بل اجدها شيئا مناقضا لطبيعتي ، شيئا فارغا ، مصطنعا لا اقوى على تحمله .. قل لي ، هل يحلو لك ان تعيش في كل اوقاتك بالادوية والعقاقير ؟ .. طبعا ، لا .. فانا هكذا ، لم اعد اجد في الحياة التي اعيشها الآن الا طعم الادوية ، ولكنها ادوية لاتشفي من مرض ولا تخفف من علة .. لهذا عزمت على الفرار .. فلربما اكتسبت في السفر الرجولة التي كنت وما ازال انشدها .. ولا تعجب اذا قلت لك اني لا اعتبر نفسي رجلا ، نعم ، اني رجل لاني لست امرأة ، ولكن اي رجولة في غير هذا .. ؟ ساصير رجلا اذا اصبحت وحيدا لا من اتكل عليه ولا والد يسعفني بمال ولا قريب ينظر الي نظرة عطف ، وساعيش بنفسي بعيدا عن كل من يعرفني اسلك في الدنيا بحريتي التامة افترشها واتغطى بها اينما حللت وارتحلت .. انصت ، يا اخي لقد عاد من المستحيل ان استمر في الحياة التي عشتها حتى الآن .. لقد سئمت السلام على الناس وتلك الابتسامات المصنوعة وتلك الاحاديث الخاوية والجلسات الطويلة من غير طائل .. قلت لك في الاول اني مجنون ، ولعلني اطلب المستحيل .

— كل هذا جميل ، ياعلي .. ولكنك تنسى الواقع وتنسى ان لك اسرة تجمعت كل آمالها فيك وبلادا تنتظر منك الشيء الكثير .

— كنت انتظر منك هذا الاعتراض — وهنا خنقته العبرات ونظر الي نظرة استعطاف — ولكن ، يامحمد، انت الآن تعرف المشكلة ورايت الحالة التي انا فيها ، قل لي هل لازلت اصلح لشيء ؟ .. لاتحرجني ودعني اذهب مع المصير .

ثم سكت وسكت انا كذلك ، ولاحظت ان فنجاني لازال مملوءا ، فتناولته واخذت اتحساه شارد اللب بينما اطرق علي براسه الى الارض من جديد ، وبدات اتساءل : « ما العمل ؟ » وكلما فكرت في الامر تبين لي ان الواجب يتطلب مني ان اعمل كل ما في المستطاع لاصرف عليا عن مشروعه ، وجاء دوري لاقوم واقطع الحجرة ذهابا وايابا ، واخيرا دنوت منه ، وامسكت يده بقوة وقلت له : انصت ، ياعلي ، بالرغم مما قلت ، فانه يستحيل علي ان اتركك تذهب وحدك هكذا .

فنظر الي وابتسم ابتسامة كلها سخرية ، ولم يجبني بأية كلمة ، واعدت الكرة مرة واخرى محاولا ان اثنيه عن عزمه وقضيت معه الصباح كله الى وقت الغذاء انصحه واحذره واثور عليه ، ولكن ذلك لم يجد نفعا ، فقمت مودعا وقلت له وانا على عتبة الباب: هل فكرت في شيء ياعلي ؟ انه يمكنك ان تفر اينما شئت ، ولكن لايمكنك ان تفر من نفسك ...

فكان جوابه : اني في حاجة اليك بعد الغد .. هل يمكنك ان تاتي ؟

— انتظرني . ثم ودعته وانصرفت .

* * *

وقادني الجوع الى مطعم صغير تعودت ان آكل فيه ، دخلت اليه وقعدت امام نافذة كبيرة تشرف على ساحة رحبة ، تحيط بها المتاجر الجميلة وفي وسطها فسقية لايفتا الماء متصاعدا منها ، كان النهار جميلا خلابا ، وكان الزبائن كذلك يبتسمون ويقهقهون، وامامي زوجان شابان جميلان ياكلان صامتين وينظران الى بعضهما بين الحين والآخر نظرات طويلة هما ابلغ من كل كلام .

وكنت اتساءل لماذا لايفكر كل واحد من الناس مثل صديقي علي ، لماذا لاتنقلب كل هذه الجماعة الآمنة المستقرة الى قافلة تريد الفرار .. نعم ، لماذا ؟ وقضيت ساعتي كلها افكر وافكر ، ثم قمت لا الوي على شيء ، وخرجت من المطعم وذهبت اتجول في شوارع المدينة ، ولاحظت ان كل المارة ، من صاحب السيارة الفخمة الى المتسول ذي الاطمار الرثة يضحكون في براءة ووداعة وكانهم يرحبون بالربيع القشيب وبالنور الساطع الذي يكسو الكون ويعطف عليه ، واوقفني احد المتسولين وقال لي وهو يمد الي زهرة جميلة : اليك ياسيدي ذهبا حقيقيا .

لست ادري .. انظر لما افكر فى كل هذا ، اجد ضميري مرتاح الى ما عزمت عليه واعتقد انني خلقت لهذا النوع عن المصير .. ماذا تريد ؟ انني رجل غير قنوع ، وهذا خلق تجلى في منذ الصبا ، حقا ، لقد شعرت بذلك يوم اراد والدي ان يسكني لاعمل معه فى المتجر ، ويسهل علي كل الطرق والسبل ، حتى اهيىء مستقبلا هنيا سعيدا ، لقد كان امامي الغنى والترف ، وما كان علي الا ان اقعد فوق كرسي واوزع الإبتسام على الزبائن ، ولكني ، فكرت ، وفكرت ، ورغم الحاح والدي رفضت .. وفررت ، كان هذا اول قرار وما انا بنادم عليه .. وانت ، يامحمد ، ما اشبهك بوالدي الشيخ ، رغما عن شبابك وروحك الثورية : انت ، ايضا ، تعرض علي حياة هنية مستقرة فى بلد جميل حيث الربيع حلو والجو صاح .. الست ترى ان هذا مستحيل ؟ .

فقلت له وانا غير مقتنع مما اقول : الذي اراه حقا هو ان الحياة عندك قرار فى قرار .. فررت من والدك ورفضت مقترحاته وجئت لتقيم هنا وتهيىء مستقبلا آخر .. ثم ها انت تفر من جديد ، فهل انت متيقن ان فرارك هذا سيكون هو الاخير ؟ الا تظن انك تبحث عن ضالة لا وجود لها ؟

— البحث عن تلك الضالة ، يامحمد ، خير من اهمالها وتركها ، وطال بيننا الكلام والجدال ، وانتقلنا من حديث الى غيره وحان وقت السفر ، فأخذت معي عليا الى مطعم حيث تعشينا فى صمت ، ثم قمنا واتجهنا صوب المحطة .. وكنت احاول ان اقول شيئا ، واجد الفاظ الصداقة والمحبة ، ولكن كل فكرة خطرت لي لا اجدها مناسبة للمقام .

وصلنا الى المحطة ودخلنا صوب الارصفة ووقفنا ننتظر ساعة الذهاب ، وحينذاك التفت الي علي وعيناه تدمعان ، لقد نسيت امي وسط هذه الشواغل .. وانت تعلم كم احبها واتعلق بها .. كيف حصل اني ما فكرت فيها ، من قبل ؟ اني لا استطيع ان أؤلمها ، هذا لايمكن — هل سمعت — لايمكن .. وانها لابد ان تتألم وكثيرا .. يجب ان تعلم اني ما احببتها قط مثل هذه الساعة .. واني ساغيب لا لاهلك وافنى ، ولكن لاعيش العيشة الحقيقية الكاملة .. واني مهما غبت وابتعدت ، فستظل حاضرة فى نفسي قريبة مني .. يجب ان تفهم كل هذا واكثر من هذا وساكون شقيا تعيسا اذا قر فى نفسها اني فررت دون ان افكر فيها .. انصت ، يا اخي ، اكتب اليها واحك لها كل ما رايت .

— نعم .. سأكتب اليها .. وانت ؟ لابد من ان تعطيني عنوانك ، ولحد الساعة لم تقل لي الى أي البلاد تسير .

لست ادري .. اني اركب القطار الى نهاية البر ، ثم اركب البحر وانزل فى اول بلد ترسو عليه الباخرة .

— عساك ان تكتب الي وتخبرني بأحوالك .

— لست اعتقد .. اني اريد ان انسى كل ماتركت هنا حتى اعز اصدقائي .. ماذا تريد ؟ ياليتني ما عرفتك الا فى البلاد التي اذهب اليها ، لانني كما تعلم احبك .

وفى تلك الاثناء ، نطق مجهر الصوت يستعجل الركاب بالصعود الى اماكنهم ، فنظر الي علي فى عطف ومودة واغرورقت عيناه بالدموع وعانقني قائلا : فلتكن آخر لحظاتنا لحظة الرجولة . وصعد ووقف على باب العربة حتى سلمته الحقائب ثم توارى عني من غير التفات وبقيت فى مكاني مشدوها .

ثم شعرت بوحدة لاتطاق ، فغادرت الرصيف بكل ما امكن من سرعة ، واتجهت الى بيتي وانا اسرع الخطو ، كأني التجيء من خطر ، وارتميت على فراشي وانا اموت من العياء ، فياله من يوم لم استرح فيه لحظة .

❊ ❊ ❊

نعم ، لقد ذهبت ، ياعلي وتركتني وحيدا افكر واتساءل هل من الخير ان تركتك تتصرف هكذا ، وهل فى الواقع كنت مقتنعا برأيك وانما كنت اخالفك فى الظاهر نفاقا وعنادا ، وقد مرت سنون ولا زلت القي على نفسي هذه الاسئلة ... واني ان كنت اسلم اليوم قصتك للجمهور فما ذلك الا لاخفف من ثقلها على نفسي واريح ضميري من الحاحها ولاجعل من السر الذي بيننا سر الجميع .

# الحياة الثقافية في الوطن العربي

## في المغرب العربي :

### التعبئة بناء :

استطاع المغرب الناهض ان يحقق بقيادة ملكه الشاب انتصارا على الجهل حين جند قواه واقبل بعزم وحماس يبني خلايا المعرفة ويشيد الفصول والاقسام منقذا بذلك شباب المستقبل ورجال الغد من خطر الجهل ويهيىء لهم الوسائل ليصبحوا مواطنين صالحين؛ فقد حققت عملية التعبئة رغم كل الظروف ، رغم ضيق الوقت وقلة الامكانيات حققت عملا خالدا وقدمت لهذا الوطن العزيز ما يزيد عن الف قسم تتسع لمائة الف من شبابنا ، وانقذت بعزيمتها وتضحيتها مائة الف من عقول ابنائنا حين اوجدت لهم منابع الثقافة وهيأت لهم سبل الرقي ، فهنيئا لشبابنا وبورك هذا الشعب خالق المعجزات ويا ليت الامة العربية في جميع اقطارها وعت حقيقة الواقع الذي نحياه ، هذا الواقع الذي يدعوها لتجند قواها وتستغل طاقاتها حتى تدرك الركب الانساني المتقدم ، واذا لاستطاعت ان تغير من واقعها وتسير الى الرقي بخطوات اوسع وتحقق الازدهار والرفاهية في زمن قليل ، وما ينقص هذه الامة شيء ، فالامكانيات الطبيعية متوفرة والتضحية موجودة ، والاستعداد موجود ، فلو وجدت من قادتها وزعمائها من ياخذ بيدها ويبث فيها الحماس ويدلها على الطريق الطويل للوصول الى المدنية الحقة ، والتقدم الصحيح ، والازدهار الشامل في سنوات معدودات ، ذلك الذي نرجوه وهو وحده الذي سيخرجنا من ظلمات الجهل وموات الفقر ويبعد عنا هذا التخلف المزري بجميع مظاهره .

## تونس تحقق الجلاء الثقافي :

شهد العالم بربرية فرنسا وهمجية قادتها العسكريين مرة اخرى ولا اقول مرة ثانية فقد اعيا العالم تعداد مآسي فرنسا ومصائب فرنسا واستعمار فرنسا شهد العالم مجازر بنزرت ووقف العالم مع الشعب التونسي في كفاحه المشروع واستمات الشعب في الدفاع عن سيادته وقدم ما يزيد عن اربعة آلاف شهيد قربانا للجلاء وانجلت ظلمات العدوان الفرنسي وتوقفت الحرب وان لم تنته المعركة بعد وانتصر الشعب التونسي في أول كفاحه حين حقق نوعا من الجلاء اعظم واكبر ، لقد حقق الجلاء الثقافي واعلن باصرار المؤمن بنفسه ، المعتمد على امكانياته ، انه لن يقبل بعد اليوم ان يقدم لشبابه رجالا ملطخين بدماء الشهداء مشبعين بروح الكراهية مسخرين عقولهم في خدمة الاستعمار وصرخ في وجه فرنسا لا ، لن ارضى بعد اليوم ان تستغل المعاهدات الثقافية للضغط على الشعوب ، وتهديد الدول في مطالبها الوطنية ، وخاض الشعب مرة اخرى وفي فاتح هذه السنة الدراسية معركة الجلاء الثقافي مجندا قواه العقلية مستغلا امكانياته الثقافية مستنجدا برجال التعليم الذين ضربوا بتضحيتهم واخلاصهم — وهم دائما كبش الفداء — اروع الامثلة في خدمة الصالح العام ، وادوا لوطنهم عملا انقذه من الاستعمار الثقافي واراحه من تدلل فرنسا واكرم بها من راحة واعظم به من انقاذ فما الاستعمار الثقافي الا السوس الذي ينخر جسم الشعوب ويحطم الروح الوطنية في راس مالها وعمدة مستقبلها انه الداء الذي قضى على قيمنا وبث السموم في دمائنا وشككنا في قيمنا وامكانياتنا حتى اصبحنا تابعين له عاجزين في كل شيء الا به ، فلو صممنا وعزمنا لملكنا استقلالنا وارحنا انفسنا ووصلنا الى الغاية بتضحيات اقل وزمن اقصر.

## العـراق وشمال افريقيـا :

خطوة مباركة يقوم بها العراق :

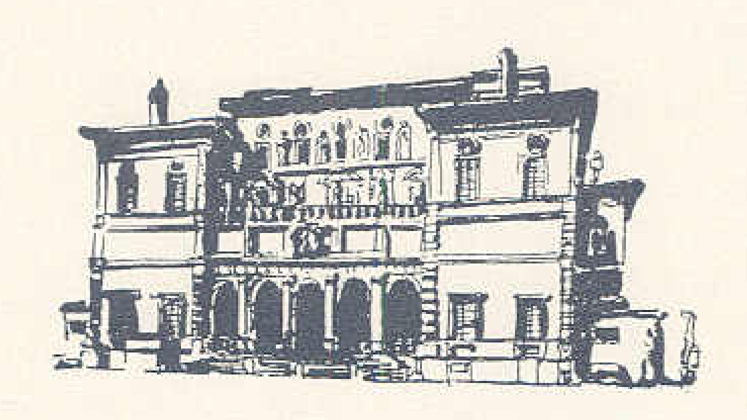
ما احوج البلاد العربية الى التعاون المثمر ذلك التعاون الذي نعتقد فيه السـبيـل الوحيد لتحقيـق تقدمنا ورقينا والتعجيل بوحدتنا وان فى هذه الخطوة التي خطتها حكومة العراق الشقيق بتأسيس معهد عال لتخريج الاساتذة فى هذا الجزء من الوطن العربي لعمل عظيم وتعاون مثمر ، وليس هذا بـاول عمل قام بـه العراق فى سـبيل اشقائه فى الشمال الافريقي ، فقد كان ولا يزال من الاقطار العربية التي فتحت صدرها ايـام محنته لابناء المغرب العربي واحتضنت كلياته وجامعته ومعاهده افواجامن شبابنا تغذوا بلبانالمعرفة، وتزودوا بنور العلم ثم رجعوا الى اوطانهم مسلحين يؤدون الواجب ويساهمون فى نهضة البلاد وها هو العراق فى عهد ثورته المباركة لا يرضى الا بالمشاركة فى حركة البناء داخل المغرب فاسس هذا المعهد العالي ليزود البـلاد برسل الثقافة واساتذة الجيل كما اسس سابقا دارا لتخريج المعلمين بفاس لا تزال الى الآن تؤدي رسالتها الثقافيـة .

ونحن هنا فى المغرب كاخواننا جميعا فى الوطـن العربي نشكو من قلة الاساتذة ونبكي من نقص المعلمين ونحاول فى كل موسـم دراسي سد هذا العجز وعـلاج هذه المشكلة ، ولكن للاسف لم نوفق حتى الان ولـم نهتد للحل الصحيح السليم ، نحن فى حاجـة الـى الاساتذة ، فى حاجة الى المعلمين والمربين لا شك في ذلك ، والمثقفون عازفون عن الانخراط فى سلك التعليم، هاربون من التدريس ايضا ، والاستعانة باخوانـنـا والاجانب لا يكفي، فهم انفسهم فىحاجة لذوي الكفاءات فما الحل اذا ؟ اعتقد ان الحل يرتكز علـى اساسين : اما الاول فالاكثار من دور المعلمين الابتدائية ومعاهـد التدريس العليا وتزويدها بالكفاءات والعقول الواعية المنتجة حتى يكون انتاجها يسمن ويغني لا هزال فيـه ، والا كانت الجناية على ابنائنا وبالتالي جنايـة علـى مستقبل البـلاد .

واما الاساس الثاني والمهم فى نظري وفى نظركم وفى نظر جميع الناس سوى المكابرين المغرضيـن فهو التشجيع الادبي والمادي خصوصا فرجال التعليـم عندنا وفى اغلب البلاد العربية يلاقون من ظلم الوظيفة العمومية فى الراتب الاسـاسـي وفى الترقية ما لا يخفى على احد ولذلك اذا اردنا الحصـول علـى الكفـاءات الخلاقة ، واردنا الاقبال على مهنـة التعليم واردنـا لابنائنا الخير والنجاح ، واردنا لبلادنا التقدم والازدهار واردنا الحصول على الاطارات الكافية المنتجـة ، اذا اردنا كل ذلك فلنكرم معلمينا ولنحترم مربي شبابنـا وبعد ذلك سـوف لا نجد عجـزا ولا عنـاء وسـوف لا نشتكـي او نتباكـى .

**اعداد : موساوي زروق**

---



# مناقشات

# حول قصيدة: إننا أخوان

تعقيب للأستاذ
عبد الكريم التواتي

* **نشرت** مجلة دعوة الحق في عددها الاول من سنتها الخامسة تعليقا للاستاذ الحلوي حول قصيدتي انا اخوان ، وقد هالني ان اقرا ما كتبه الحلوي وفى ذلك الاسلوب البعيد عن اللياقة الادبية ، لهذا وجدتني مضطرا للتعقيب على تعليقه في ايجاز ، على امل متابعة المناقشة اذا كان الاستاذ الحلوي مستعدا لمواصلتها .. وابادر الى القول بان الحلوي مع القراء قد يستغربون اذا صدرت تعقيبي بحقيقة اعتبرها بسيطة بساطة جمع الواحد مع الاثنين ، وقد لا يصدقها الذين يعرفونني ويعرفون مدى فحصي وانتقادي لكل شيء يحيط بي من قريب او بعيد ، اما هذه الحقيقة فهي اني لم اقرا فى حياتي الادبية كلها من بدايتها الى نهايتها الحالية اي شعر او قصيد مما ينشر في المجلات والصحف المغربية سوى ما انشره انا بالطبع ، وما اذكر اني اعجبت باي شاعر مغربي اذا استثنيت الصباغ ومحمد الطنجاوي اللذين اعتبرهما – ومن خلال ما اسمع لهما – مدرسة قائمة على اسس حية من الواقع الادبي الذي يجب ان نحياه تبعا لتطور الانسان وطفراته ، اما الحلوي بالخصوص فاني لا اعتبر شعره الا صورة طبق الاصل لما لاكه المتنبي واو تمام والبحتري مع احترامي لهؤلاء الاقطاب، ولعل الحلوي وقد اعتاد ان يجتر ما قاله الاولون يابى ان يصدق ان هناك من لا يفعل فعله .. هذه واحدة .. وبهذه المناسبة احب ان اقرر حقيقة اخرى اومن بها انا الى حد الهوس ، تلك هي ان الشعر العاطفي والانساني ليس انتاجا مستوحي من رواسب انتاج الاخرين كما انه ليس تعبيرا لما عليه الآخرون او لما يريدونه ولكنه في نظري تعبير صادق حي عما يحسه الشاعر في اعماقه ويجده في اغواره ويومن به على انه الحقيقة الازلية التي وجد الانسان على الارض من اجلها وانها المثل الاعلى الذي يجب ان يسوق الناس سوقا ويحملهم عليه حملا مستعينا باغانيه الساحرة على توجيه الناس هذه الوجهة التي استوحاها من صميم واقعه الداخلي ، وما كان ليخطر ببالي ابدا ان من المعقول ان يحصر الشاعر كل احساساته وخلجاته فيما يسميه الاخرون الشعر الواقعي او شعر متطلبات الحياة المادية المحضة ، لان الشاعر في هذا الوضع يفقد اسمى خصائصه وابرز مقوماته التي هي الانطلاق في اجواء لا يدرك كنهها الا من هم في مستواه الشعوري .. وانا وان كنت شعبيا لحما ودما ونشأة وبكل ما تحمله كلمة الشعبية من معان اتجاها وميولا ونزعات ، الا انني في الناحية الشعرية ارى من واجبي ان اخلق لنفسي جوا خاصا لا اريد ابدا ان اخضع فيه لغيري لا من قريب ولا من بعيد ، ولذلك فللاستاذ الحلوي ان يطمئن الى اني لم ولن اقرا اي انتاج لغيري ، هكذا خلقت وهكذا سأبقى ، بقي شيء واحد لابد من ان اهمس به في اذن الحلوي وهو ان الظروف والاحداث ومختلف التيارات الانسانية والحضارية التي يشاهدها عالمنا الحاضر حق مشاع بين جميع الذين يكونون المجموعة البشرية، ولهذا فليس من المعقول في شيء ان لا يخطر ببال هذه المجموعة اي شيء من الاحاسيس الا اذا كانت هذه الاحاسيس قد مرت بتجربة الحلوي الشيء الذي يجعل هذا الرجل بعيدا عن الاستجابة لدواعي الحياة الشاملة ، لكل هذا ارى انه لا معنى لان يستغرب الشاعر الحلوي من ان يرى غيره يتطرق الى موضوع قد يكون طرقه هو ان صحت ادعاءاته ، واقول للشاعر

* الآراء التي ترد في ركن المناقشات كغيرها من الآراء التي ترد في اي ركن اخر لاتلزم سوى اصحابها ، ولما كنا نحرص على أن تكون تجربة النقد الادبي في المغرب ناجحة وبناءة فاننا نهيب بكتابنا أن يلتزموا حدود الجدية والموضوعية ويتجنبوا كل مس بشعور الاخرين ، وان يكون رائدهم في كتاباتهم ومناقشاتهم الحقيقة ، والحقيقة وحدها .

« دعوة الحق »

الحلوي اني عندما احس في اعماقي بضرورة التحليق في اجواء لا منظورة لا اتصور الا شيئا واحدا وهو الاستجابة لما يضطرم في اغوار ذاتيتي دون اعتبار لغيري وكثيرا ما سخرت من اولئك الذين يريدون ان يلزموا الشاعر اتجاها ما ..

اما قصيدة انا اخوان فلها قصة خاصة ما كنت في حاجة لذكرها لولا تعليق الحلوي ، اما القصة فهي ان القصيدة قيلت في سنة 1956 وانا يومئذ بانوات حيث تعرضت لاختبارات قاسية من لدن الحاكم الفرنسي الذي كان يحاول التاثير علي بواسطة النظام الطبقي الذي ما يزال مطبقا تطبيقا دقيقا وبمعناه الجاهلي في تلك الربوع بفضل الوجود الفرنسي ، فلقد حاول الحاكم الفرنسي ان يقنعني بوجود فوارق دينية وجنسية في الاصول والجذور فلم اشعر الا وانا اردد في نفسي مطلع قصيدة انا اخوان :

«يا اخي انني وانت على رغم الديانات في الدنى اخوان»

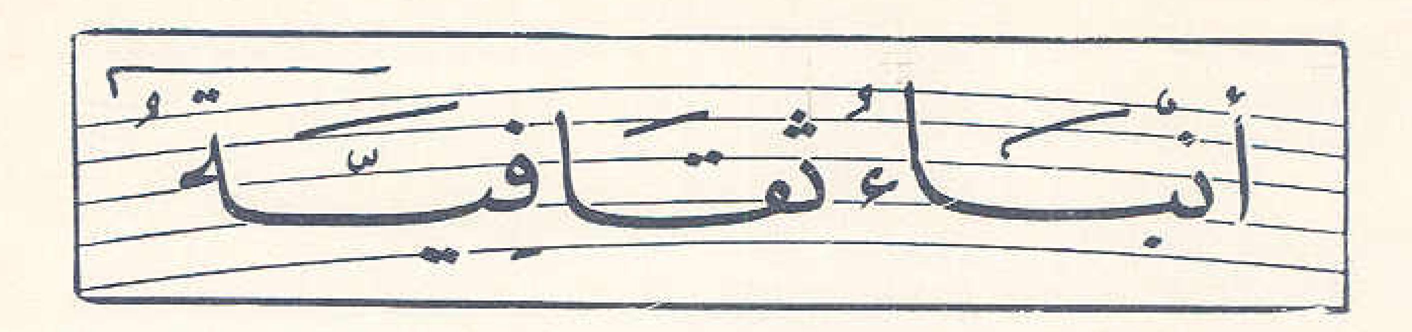
وتشاء الاقدار ان تندلع الثورة في الجزائر ، وان تحدث احداث الكونغو وان تعود الصورة القاتمة الجاهمة التي ارتسمت في مخيلتي منذ 1956 فاذا بي اندفع للبحث عن القيام باي شيء قد يهدىء من اعصابي الثائرة ضد الاستعمار والحروب وويلاتها ، فاعود الى نفسي استلهمها والى اوراقي اختبرها فاجد من بينها هذه القطعة التي لم تكن ساعتئذ اخذت صورتها النهائية التي نشرت بها .. هذه ثانية ، اما الثالثة فهي ان الاستاذ الحلوي وقد قر في ذهنه ان شعره مما يستحق المعارضة او الدراسة تخيل تبعا لذلك ولمجرد ورود ابيات في قصيدتي قد تكون وردت في قصيدته ان كانت له قصيدة اذ ما ازال اكرر انني لم اقرا اي شعر في الموضوع لا له ولا لغيره ، تخيل اني استوحيت قصيدتي من شيء يسميه قصيدته، وكانت رسالة النقد النزيه تقضي بتتبع قصيدتي بيتا بيتا ومقطعا مقطعا ولو انه فعل لآمن بانني في واد لا وجود فيه لغير ذاتيتي بمعناها الضيق الخاص .

واما الرابعة فهي ان الشعر في نظري سبحات خيالية ينتقل فيها الشاعر من محيطه المحسوس الى عوالم ما وراء المادة وقد يتخطى حتى ما اصطلح عليه عامة الناس من انه سام ونبيل ، واعتقد — والواقع يؤيدني — ان لدى الانسان منطقتين اثنتين : منطقة القلب ، ومنطقة العقل ، والشعر لا يصدر الا عن منطقة القلب حين يتعلق الامر بالعواطف والاحاسيس ولذلك اعتقد ان الاستاذ الحلوي قد اختلطت في ذهنه المفاهيم حين اعتقد ان احاديثي التوجيهية في الاذاعة المحلية بفاس كان يجب ان تصدر من معين واحد ومن نفس المعين الذي تصدر منه قصائدي الانسانية والعاطفية ، فان من ابسط القواعد الاصولية ان الواحد بالشخص له جهتان بل جهات كما يقولون ، واذا كان قد غابت هذه القاعدة عن ذهن الحلوي لانها ترجع الى علوم لم يسبق له ان درسها اذ حرمته منها النظام الدراسي في جامعة القرويين الذي يقضي بان يحرم خريجو القسم الادبي من علم العلقيات والاصول فان التواتي يومن بانه في ميدان البحوث العلمية هو غيره في ميادين النشاط العاطفي ..

واما عن القومية العربية التي حلا للاستاذ الحلوي ان يقحمها في تعليقه على قصيدتي انا اخوان فاني جد فخور ان اؤكد براءتي من كل قومية سوى الاسلام الذي يكفر بالقوميات الضيقة في حدود مفاهيم الاستاذ الحلوي الذي يريد ان يتملق قراءه حين يستفز فيهم هذه النعرة التي اعدها من مخلفات ورواسب الاستعمار الغربي ، اما انا من جهتي فاني اعلنها صرخة مدوية بان من الاسباب التي جعلت العالم العربي يتخبط في عديد من ازماته الداخلية والخارجية هذه الدعوة الجاهلية الى القومية العربية دون الدعوة الى القومية الاسلامية — من باب المشاكلة — والاستاذ الحلوي معي لا يستطيع ان ينكر ان الانسان بدون ماضيه لا يمكن ان يكون شيئا مذكورا ، فما القومية العربية قبل الاسلام ؟ وما انا والحلوي لولا الاسلام ؟ واذا اراد الاستاذ الحلوي ان يرضى رغبة وهمية هي القومية العربية على حقيقة الاهية هي الاسلام فله رايه الخاص .

واما عن نقد الاستاذ الحلوي للناحية الشكلية والفنية في القصيد فليسمح لي اذا قلت له اني ما اعتبرته يوما شخصية لها وزنها في ميدان النقد الادبي وكم يعجبني في هذا الموضوع كلمة قالها المغفور له الدكتور زكي مبارك للمغفور له احمد امين في احدى مقالاته المنشورة في رسالة احمد حسن الزيات تحت عنوان جناية احمد امين على الادب العربي قال (.. فاحمد امين ليس بكاتب ولا اديب وان سود الملايين من الصفحات ) اقول لمحمد الحلوي ليس بشاعر وان قلد قصائد المتنبي وابي تمام والبحتري..

واخيرا ارجو ان يومن الحلوي بانني في شعري لا اصدر عن عاطفتي الخاصة واذا كان اراد ان يستثير اهتمامي بشعره من هذه الناحية فليطمئن الى انني لن اجد وقتا لمطالعة ترهات الآخرين لاني في هذا الميدان لا اغادر برجي العاجي ، وليقبل مني الاستاذ الحلوي وانا اودعه اسمى عواطفي لاهتمامه بقراءة انتاجي .. والى اللقاء والسلام .




* قام بتمثيل المغرب فى مؤتمر العلوم الاجتماعية الذي عقد اخيرا بصقلية الاستاذ ادريس الكتاني .

* مثل المغرب فى الدورة الثانية للمجلس التنفيذي باليونسكو الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية . وقد تم فى هذه الدورة دراسة جدول اعمال المؤتمر العام لليونسكو لسنة 1963-1964 ؛ كما درست فى هذه الدورة الاصلاحات الجوهرية التي ستدخل على جهاز هذه المنظمة وادارتها .

* صدر للاستاذ محمد التازي فى بيروت قصة طويلة بعنوان « المتمردة » التي كان ينشرها متسلسلة فى جريدة « العلم » الرباطية .

* تفكر وزارة الانباء والسياحة والفنون الجميلة المغربية فى انشاء المجلس الاعلى للعلوم والفنون والآداب .

* قررت وزارة التهذيب الوطني احداث عدة مندوبيات تابعة لها فى شتى اقاليم المملكة المغربية .

* تنوي وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية اصدار مجلة تعنى بالشؤون العلمية والادبية والفكرية فى مطلع السنة المقبلة .

* صدر للاستاذ صادق عفيفي كتاب بعنوان « القصة المغربية » جمع فيه نماذج من القصص المغربية للناشئة والشيوخ من كتاب القصة فى المغرب منذ مطلع هذا العصر .

* سيصدر قريبا عن معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان الجزء الخامس من مجلة « تطوان »

* نظم اتحاد كتاب المغرب العربي حفلة تأبين للفقيد السيد مصطفى المعداوي فى كلية الآداب بالرباط مساء يوم الخميس 16 نوفمبر الماضي القيت فيه بعض اشعاره المسجلة الى جانب كلمات اصدقائه ومعارفه من كتاب المغرب .

* خصصت الاذاعة الوطنية المغربية برنامجا لنشاط اتحاد ادباء المغرب العربي .

* زار المغرب اخيرا وفد صحفي مكون من عدة صحفيين يمثلون كبريات الصحف والمجلات البريطانية وذلك باستدعاء من المكتب الوطني المغربي للسياحة . ومن بين المدن التي شاهدها هذا الوفد: الدار البيضاء، المحمدية ، مراكش ، بني ملال ، ايفران ، اميشليفن ، مكناس ، مولاي ادريس ، فاس .

* ستصدر مجلة « المصور » القاهرية عددا خاصا يشتمل على شتى انواع النشاط فى المغرب . اوفدت المجلة المذكورة الاستاذ فؤاد السيد للمغرب للقيام بجمع المعلومات عنه .

* ستعقد منظمة اليونسكو مؤتمرا فى مدينة الدار البيضاء فى يناير المقبل .

* سيعيد الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله طبع كتابه « الحضارة المغربية » .

* فاز الاديب الجزائري المعروف محمد ديب بجائزة (رينه الابورت) على مجموعته الشعرية التي صدرت اخيرا بعنوان ( ظل حارس ) ومحمد ديب من الروائيين الكبار له عدة مؤلفات هي (البيت الكبير) رواية صدرت عام 1952 – (الحريق) رواية صدرت عام 1954 – (فى المقهى) مجموعة قصص صدرت عام 1955 – (صيف افريقي) رواية صدرت عام 1959 – (بابافكران) مجموعة اقاصيص صدرت عام 1959 – و (ظل حارس) هي أول مجموعة شعرية صدرت له .

وليس محمد ديب غريبا عن قراء العربية . فقد صدرت له اخيرا ترجمتان بالعربية لروايتيه (البيت الكبير) و (الحريق) بقلم سامي الدروبي .

* تجري مفاوضات بين امانة الجامعة العربية ، وبين منظمة اليونسكو لانشاء منظمة خاصة عربية للتربية والتعليم تكون بمثابة يونسكو عربية لها كيانها المستقل ، وتكون صلتها بالجامعة العربية كالصلة التي بين منظمة اليونسكو ، والامم المتحدة . وسوف تتحمل الادارة الثقافية بالامانة العامة اعباء هذه المنظمة على اساس توسيعها واختيار مبنى خاص لها ، وتزويدها بالخبراء والفنيين ، وانشاء وحدة للترجمة السريعة فيها لتتولى ترجمة الوثائق والمطبوعات الى اللغة العربية ، وذلك بعد ان طلبت الحكومات العربية ان تكون اللغة العربية لغة التداول في اليونيسكو .

وستكون مهمة هذه المنظمة توحيد برامج التعليم العربي وتنسيق حركة الترجمة فيها ووضع (الكتاب الام) الذي يستمد منه المؤلفون العرب كتبهم الخاصة بالقومية العربية في التاريخ والجغرافيا والتربية القومية واللغة العربية وتنظيم الحلقات الثقافية . وقد اعد الدكتور يحيى الخشاب مدير ادارة الثقافة بالجامعة تقريرا عن نتائج هذه المفاوضات ومدى ما يمكن ان تقدمه اليونيسكو من مساعدات مادية شهرية الى المنظمة العربية لعرضه على اللجنة الثقافية في اجتماعها القادم .

* منذ خمس سنوات عكفت لجنة ثلاثية مكونة من الدكتور شوقي السكري والاستاذين احمد مختار الجمال ومحمد الخطيب عباس لاعداد قاموس سياسي دبلوماسي يفي بحاجة المترجم والباحث والسياسي والدبلوماسي وقد اشتمل هذا القاموس على 400 صفحة ، جامعا ما يزيد على عشرة آلاف كلمة وتعبير مصطلح سياسي ودبلوماسي بالاضافة الى ملحق بأهم الاختصارات التي تدور في هذا المجال .

* انتهت الدكتورة سهير القلماوي من وضع كتاب جديد يصدره المجلس الاعلى للآداب والفنون بالقاهرة ويوزعه بمناسبة عقد المؤتمر الاول للفنون الشعبية العربية .. ويضم هذا الكتاب تعريفا بالمؤتمر وتعريفا بموضوعه وهو : الزواج — عاداته ، وتقاليده ، في الحياة الشعبية العربية . كما يضم مجموعة من الصور الفوتوغرافية .

* انجز الدكتور محمد مندور كتابه الجديد حول الادمي وسيصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة ، وكان الدكتور مندور قد صدرت له اخيرا الطبعة الثالثة من كتابه (نماذج بشرية) .

* يقوم الدكتور لويس عوض الآن بالاعداد لاصدار دراسة مستفيضة عن الشاعر الناقد الكبير تي. سي اليوت وتصدر هذه الدراسة عن وزارة الثقافة بمصر.

* وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر تصدر قريباطبعة جديدة منقحة ومزيدة من قاموس المصطلحات الاجتماعية .

* قررت وزارة الاوقاف بالقاهرة انشاء مقراة للقرءان الكريم بالحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة تضم شيخا وخمسة عشر قارئا .

* هيفاء الشنواني » كتب لها الاستاذ عباس محمود العقاد مقدمة لكتاب (حول مائدة المعرفة) الذي ترجمته وتصدره مؤسسة فرنكلين .

* اهدت وزارة الاوقاف بالقاهرة الى عدة اقطار اسلامية اضخم مجموعة من المصاحف المرتلة التي سجلتها الوزارة لاهدائها الى الحكومات الاسلامية والاذاعات والهيئات الثقافية والدينية في العالم وهي بصوت الشيخ محمود خليل الحصري .

* صدر كتاب ضخم بمناسبة العيد السبعيني للاستاذ عباس محمود العقاد . وقد ضم بحوثا قيمة ودراسات مستفيضة وتحايا شعرية شارك فيها الدكتور عثمان امين ، والاستاذ محمد خلفة التونسي ، والاستاذ انيس منصور ، والدكتور نظمي لوقا ، والدكتور طه حسين ، والاستاذ محمد طاهر الجبلاوي، والاستاذ العويضي الوكيل ، وغيرهم من اعلام الفكر والادب .

* اصدر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة كتاب (مؤلفات الغزالي) تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ضم لوحة حياته والرموز والاختصارات العربية والافرنجية وفهارس المخطوطات والكتب المقطوع بصحة نسبتها الى الغزالي وفهرس ابجدي بكتب الغزالي .

* خصصت وزارة الاوقاف بالقاهرة ميزانية كبيرة لاصدار مجلة (منبر الاسلام) بثلاث لغات : العربية والفرنسية والانجليزية .

* سيخصص مجلس الفنون بالقاهرة جائزة للادب الشعبي تحمل اسم « بيرم التونسي » . وقد وافق المجلس على تكوين لجنة من الدكتورة سهير القلماوي ، والدكتور عبد الحميد يونس ، واحمد رامي للاشراف على مسابقة تاليف كتاب عن الشاعر الشعبي بيرم التونسي واعماله . ستخصص مكافاة تتراوح بين 100 و150 جنيها لاحسن مؤلف كتاب عنه . وسيدفع المجلس المذكور نفقات الكتاب .

* تلبية لرغبة اليونيسكو وكتاب الدانمارك سيترجم مجلس الفنون بالقاهرة الى اللغة الانجليزية كتاب (الايام) لطه حسين و (احاديث جدتي) لسهير القلماوي و (سيدنا الشيخ) لاحمد حسن الزيات و (عودة الروح ) لتوفيق الحكيم و (الارض) لعبد الرحمن الشرقاوي و (عروس من قطن) لمحمود تيمور

* انتهى فى القاهرة محمد فريد وابراهيم عازو وعبد السلام شلبي من ترجمة النصف الاول من كتاب (الوجود والعدم) للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر والكتاب سيصدر فى جزئين كل جزء فى 500 صفحة تقع مقدمة الكتاب فى 120 صفحة ويكتبها الدكتور عبد الرحمن بدوي .

* اعلن الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر أن جامعة الازهر قررت فتح ابوابها امام جميع الطالبات المسلمات من جميع انحاء العالم اللواتي يرغبن فى متابعة دراستهن الدينية والعلمية .

* (مذكرات ابراهيم الكاتب) لابراهيم عبد القادر المازني و (الضاحك الباكي) لفكري اباظة ترجمها الى اللغة الفرنسية الشاعر بولس غانم بتكليف من المجلس الاعلى للاداب والفنون بالقاهرة وقد راجع كتاب (مذكرات ابراهيم الكاتب) الدكتور ريمون فرنسيس استاذ الادب الفرنسي فى جامعة القاهرة . كما ترجم الدكتور فرنسيس (احلام شهرزاد) لطه حسين الى الفرنسية وراجعه بولس غانم .

* ظهر فى القاهرة الجزء الرابع من كتاب محمد عزة دروزة ( تاريخ الجنس العربي فى مختلف الاطوار والادوار والاقطار ) وقد ركز دراسته هذه على نتيجة الحفريات الاثرية الاخيرة ودراسات علماء الاجناس . ويختص هذا الجزء ببلاد الشام .

* قام الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة والارشاد بارساء حجر الاساس لمبنى متحف مركب خوفو بالهرم . ولقصر الثقافة فى دمياط . ولدار الاوبيرا الجديدة فى حديقة الحرية بالقاهرة . ولقصر الثقافة والمتحف القومي فى بور سعيد ولمتحف الاسكندرية ولدار الكتب الجديدة فى شارع الكورنيش بالقاهرة .

* اهتمت الادارة العامة للثقافة باصدار ديوان للشاعر الفقيد الدكتور ابراهيم ناجي الذي قام بجمعه احمد رامي ، صالح جودت واحمد عبد المقصود هيكل ومحمد ناجي . ولما صدر الديوان اخيرا اتضح ان فيه 12 قصيدة سبق للشاعر كمال نشأت نشرها فى ديوانه (رياح وشموع) الذي صدر فى مارس 1951 ، واكثر قصائد هذا الديوان نشرها الشاعر نشأت فى مجلة الاديب . اتضح أن كمال نشأت كان قد طلب من ناجي ان يكتب له مقدمة للديوان ولم يكتب ناجي المقدمة لكثرة أشغاله وكتب كمال نشأت مخطوطا آخر لقصائده وطبع الديوان .

قال الشاعر نشأت : اذا كان هذا الخلط قد تم وانا حي أرزق فما مصير شعري بعد ان اموت .

* مؤتمر الفنون الشعبية تقرر عقده فى شهر نوفمبر من العام المقبل .

تشترك فى المؤتمر جميع الدول العربية .

* احتفلت الدوائر الادبية فى مصر بذكرى المازني

* كتاب « انتصارات انسان » لسلامة موسى حذفت الرقابة المصرية عند طبعه اكثر من ثلثه وهي مقالات عن الاشتراكية والتفسير الاقتصادي للتاريخ وتاميم قناة السويس ومستقبل الثورة . ولذلك يفكر ورثة سلامة موسى فى طبع الكتاب كاملا فى بيروت .

وقد طلب الدكتور سلامة موسى من الاستاذ قاسم محمد رجب وساطته لدى اديب عراقي معروف لكتابة ــ مقدمة الكتاب ــ حيث تقرر حذف المقدمة التي كتبها الدكتور محمد مندور والاستعاضة عنها بمقدمة الاديب العراقي .

❊ افتتح فى القاهرة المؤتمر الثاني للمجتمع العربي الذي عقد فى الاسكندرية . وقد بحث فيه الآثار التي ترتبت على تدريس مادة المجتمع العربي فى الجامعات ومدى تحقيق الاغراض التي من اجلها درست هذه المادة لطلبة الجامعات .

❊ انتهت الدكتورة بنت الشاطىء من تاليف كتابين هما : « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « قيم جديدة للادب العربي » .

❊ اطلق اسم العقاد على شارع رئيسي من شوارع اسوان . طالبت الدكتورة نعمات احمد فؤاد ان يطلق اسمه على الشارع الذي يسكن فيه بالقاهرة

❊ انجز السيد جلال الحنفي كتابه ( معجم الامثال البغدادية ) وسيباشر طبعه قريبا .

❊ صدر عن المجمع العلمي العراقي النشرة السابعة للمصطلحات الخاصة باسم (مصطلحات فى التربية البدنية) .

❊ صدرت الطبعة الثانية من كتاب (طبقات الفقهاء) لطاشي كبري زادة وقد قام بنشره الحاج احمد نيله امين المكتبة المركزية العامة بالموصل بعد تنقيحه وتعليق حواشيه وتصديره . وطبع بمطبعة الزهراء الحديثة .

❊ باشرت مكتبة الزهراء فى كربلاء طبع ديوان شعر سياسي باسم (هدير الشلال) للشاعر الوطني الفقيد عباس مهدي ابو الطوس الكربلائي . وسوف يقوم بكتابة المقدمة الشاعر السيد سلمان هادي الطعمة من اصدقاء الفقيد .

❊ حقق الاستاذ ضياء الدين ابو الحب المدرس فى معهد اعداد المدرسين بالعراق (الحائرات) واعده للنشر وهو ديوان جده المرحوم الشيخ محسن ابو الحب الاول الشاعر الكربلائي الشهير المتوفى عام 1305 هـ .

❊ يعكف السيد زكي الصراف على طبع مجموعة شعرية له وتتضمن قصائد وجدانية وقد سبق للسيد زكي الصراف ان أصدر مجموعة شعرية تحت عنوان ( ليالي الشباب ) .

❊ صدر فى منشورات مكتبة النهضة فى بغداد كتابان : 1) كتاب نداء الاسلام من تاليف مالك بن نبي ترجمه عن الفرنسية وقدم له المؤلف والكاتب المعروف الاستاذ رمضان لاوند

2) كتاب « الحركة القومية وكيف نفهمها » تاليف الاستاذ محسن ابراهيم واصدار النادي الثقافي العربي فى بغداد .

❊ صدر كتاب (مهرج السلطان وحكايات اخرى) تاليف روبرت غلستراف وايرين ايستابروك ترجمة بسمة محمود اليعقوبي وقد نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بغداد ــ نيويورك وطبع فى مطبعة دار منشورات البصري ببغداد .

❊ ما تزال المعاهد الدينية فى كربلاء تواصل نشاطها الثقافي دون توقف ومن بين المنجزات التي انجزتها فى هذا الشهر اصدار العدد الخامس من مجلة (صوت المبلغين) الشهرية وقد جاءت طافحة بالمقالات الدينية القيمة واصدار كتب جديدة لانجال سماحة المرحوم السيد مرزة مهدي الشرازي .

❊ منعت وزارة الارشاد (108) كتابا من دخول العراق فى اللغات المختلفة لما تتضمنه من امور مخالفة للاخلاق والدين والسياسة .

❊ شاركت الحكومة العراقية فى المؤتمر التربوي الخامس الذي عقدته دائرة التربية فى الجامعة الامريكية فى بيروت اخيرا لدراسة المشاكل التربوية التي تجابهها البلدان العربية . وقد مثل العراق فى المؤتمر الدكتور طه الحاج الياس مدير الشؤون الفنية العام والاستاذ نعمان بكر مدير التعليم الابتدائي .

❊ يشتغل الآن الاستاذ محمد رضا الشبيبي بوضع اصول الجزء الثالث من كتابه ( مؤرخ العراق بن الفوطي) الذي ينتظر ان يقدمه الى الطبع قريبا .

❊ انتهى الاستاذ طه باقر والاستاذ فؤاد سفر من اعداد دراستهما عن مواطن الآثار فى العراق وسيصدر الجزء الاول قريبا .

❊ ( ابن تيمة بطل الاصلاح الديني ) كتاب جديد اصدرته دار الحياة للطباعة والنشر بدمشق عرض وتقديم محمود مهدي الاستانبولي مدير معهد التربية الاسلامية .

❊ ( اشعار صغيرة ) ديوان شعر ثالث يصدر قريبا فى دمشق للشاعر اسماعيل عامود . الديوان الاول صدر بعنوان (من اغاني الرحيل) والثاني ( كآبة ) .

❊ (البحر ليس ازرق) عنوان المجموعة القصصية الثانية التي سيصدرها ياسين رفاعية . المجموعة الاولى كان عنوانها (الحزن فى كل مكان) .

❊ تعتزم وزارة الثقافة والارشاد بسوريا انشاء معهد عال للموسيقى (كونسيرفاتوار) ومعهد للموسيقى العربية فى دمشق .

❊ (الفن عبر التاريخ) كتاب جديد من نوعه يظهر لاول مرة فى اللغة العربية يعده عفيف البهنسي مدير الفنون التشكيلية فى وزارة الثقافة بدمشق .

❊ « صلاة لارض الثورة » — ديوان شعر يصدر قريبا للاستاذ سليمان العيسى وهو ملحمة النضال البطولي فى الجزائر العربية .

❊ اوشك الدكتور شكري فيصل على الانتهاء من تحقيق (ديوان النابغة الذبياني) وشرحه معتمدا على نسخ خطية فريدة .

❊ تقرر اقامة مهرجان كبير فى كل عام فى مدينة حمص احتفاء بذكرى وفاة خالد بن الوليد ، يدعى اليه الشعراء والادباء من انحاء العالم العربي .

❊ يعنى الدكتور علي جواد الطاهر الاستاذ بكلية الآداب بالعراق فى تهيئة دراسة مستفيضة عن القصص العراقي الرائد محمود احمد السيد .

❊ صدر عن لجنة احياء التراث الفلسفي العربي بالعراق الكتب التالية : 1) « السياسة المبنية » تحقيق الدكتور ماجد فخري . 2) « كتاب التفاحة » المنسوب لارسطاطاليس ، تحقيق الدكتور جورج عطية 3) « اثبات النبوات » لابن سينا ، تحقيق الدكتور ميخائيل موموره . 4) « رسائل فلسفية » لابن باجة تحقيق الدكتور ماجد فخري .

❊ الدكتور علي جواد الطاهر سيصدر له قريبا الجزء الثاني من كتابه (الشعر العربي فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقي ) .

❊ **صدر فى بغداد كتاب ( دراسات لغوية ) للدكتور ابراهيم السامرائي الاستاذ فى كلية الآداب . وديوان (اشباح وظلال) لعبد الله الجبوري . و (اهل الكهف والرقيم) مسرحية شعرية لخضر الطائي و (الطوفان) مجموعة شعرية لالفريد سمعان .**

❊ صدر فى بغداد ديوان (النجم والرماد) لسعدي يوسف وديوان (عروة بن عزام) تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب و (القصة العراقية) دراسة نقدية لباسم عبد الحميد حمودي .

❊ ستقوم العراق باعداد مهرجان ادبي للشيخ محمد رضى الشبيبي .

❊ شرع الاستاذ علي الخاقاني فى اعداد كتابه عن شعراء الموصل فى ستة اجزاء ضخمة بحث فيها حياة الشعراء من بدء تأسيس الموصل حتى العصر الحاضر .

❊ يصدر قريبا جدا الجزء الثالث من قصة جان بول سارتر (دروب الحرية) وهذا الجزء بعنوان (الحزن العميق ) ترجمة الدكتور سهيل ادريس .

❊ ستصدر مجلة الآداب اللبنانية فى مطلع العام القادم 1962 عددا ممتازا فى موضوع (الاتجاهات الفلسفية فى الادب المعاصر ) .

❊ انهت مطابع بيروت طبع الجزء الثالث من مذكرات الشيخ بشارة الخوري وقد سبق ان صدر الجزءان الاول والثاني من هذه المذكرات .

* صدرت المجموعة القصصية الثانية لصميم الشريف وعنوانها (عندما يجوع الاطفال) قدم للمجموعة الدكتور يوسف ادريس وصمم غلافها عبد القادر ارناؤوط ونشرتها صالة الفن الحديث .

* سيصدر عن دار العلم للملايين ببيروت ديوان جديد للشاعر السوداني محيي الدين فارس بعنوان « الموجة العذراء » .

* الاديبة الفلسطينية سميرة عزام كاتبة القصة القصيرة اتمت تاليف اول قصة طويلة لها . عنوان القصة (قبل .. وبعد) تروي حكاية مثيرة من فلسطين قبل النكبة وبعدها .

* تقرر ان يسافر من العراق عالمان فى المخطوطات العربية القديمة الى الهند لتقييم نصوص المخطوطات العربية القديمة فى دائرة المعارف العثمانية فى حيدرآباد والمهمة تستغرق سنة كاملة .

* قررت اكاديمية السويد منح جائزة نوبل فى الآداب لسنة 1961 للكاتب اليوغسلافي ايفو نوريك .

* يعد العالم السوفياتي فيكتور بليالتيف استاذ اللغة العربية بجامعة لينينغراد كتابا عن تاريخ الخلفاء العباسيين .

* سيقيم كاسترو تمثالا كبيرا للروائي الاميركي هيمنجواي فى هافانا تقديرا لخدماته فى الحقل الادبي .

* تحتفظ بعض مدن الاتحاد السوفييتي بعدد كبير من المخطوطات العربية وهذه المدن هي : لنينغراد، طشقند ، تفليس ، باكو ، قازان ، وتوجد المخطوطات العربية فى لينينغراد فى ثلاثة مراكز : 1) معهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم . 2) مكتبة لينينغراد العامة . 3) مكتبة الكلية الشرقية بجامعة لينينغراد .

واغنى هذه المراكز مخطوطات معهد الدراسات الشرقية حيث يبلغ عدد المخطوطات فيها 9 ءالاف تقريبا . وقد وضع فهرسا جديدا لهذه المخطوطات المستشرق خالدوف (انيس بن عبد الباقي) ويشرف على المخطوطات فى هذا المعهد الآنسة ستاركوفا .

* ظهر فى العالم الغربي كاتب آخر يحمل اسم اسرة موم وهو (روبين موم) ابن اخ الكاتب العالمي الشهير سومرست موم . وذاع اسم موم الجديد بعد طبع كتاب (الرق فى الصحراء) الذي أثار عاصفة فى مجلس اللوردات البريطاني وفى الاوساط البريطانية السياسية والادبية .. وهذا الكتاب يصور حياة الرقيق فى تمبكتو بالصحراء الافريقية . والمؤلف يحمل اسم اسرة موم الارستقراطية وهو عضو فى مجلس اللوردات ولكنه اشتغل اخيرا بالتاليف . وقال النقاد ان شهرته كمؤلف استمدت من شهرة عمه .

* صدر فى لندن كتاب من تأليف نكروما عنوانه (اتكلم عن الحرية) . تحدث فيه عن فكرة افريقيا المتحدة كما تحدث ايضا عن سياسة غانا الافريقية ونضالها من اجل الحرية . والكتاب يضم عددا من الصور التي ظهر فيها نيكروما مع بعض الشخصيات العالمية . ويقول النقاد ان هذا الكتاب يقنع قارئه بأن شعوب افريقيا يجب ان تستقل وان الماضي الذي خضعت فيه لاستعمار الرجل الابيض يجب ان تغلق عليه الابواب الى الابد .

* احرز الشاعر الاسباني الكبير الاكاديمي خيراردو ديكو على جائزة « مارش » الادبية ، وهي احدى كبريات الجوائز باسبانيا .

* اصدرت الجمعية الامريكية للثقافة مجموعة من مقالات الكتاب الزنوج الامريكيين من افريقيا . والكتاب فى ثلاثة اقسام : اولهما قسم يحلل نظم الحياة فى المجتمعات الافريقية تحليلا كاملا واعيا من زوايا متعددة كتبها مؤلفون عاشوا فى المجتمع الافريقي وانسجموا مع اهله . وثانيهما : قسم يتحدث عن الفنون والآداب والرقص فى افريقيا ويعتبر هذا القسم جديدا ايضا فى الدراسات الافريقية المعاصرة. والقسم الثالث يتحدث عن العلاقات بين زنوج اميركا وزنوج افريقيا ويحلل الروابط التي تجمعهم .

* الاميركيون يقراون فى هذه الايام كتابا عن العرب اسمه (نهضة العرب) مؤلفه البروفيسور فرنشكو جابريلي استاذ الادب العربي فى جامعة روما. وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده ويروي بالتفصيل كيف امتدت امبراطوريتهم الى المحيط الاطلنطي وكيف اخذ مجدهم

باقل من القرن السادس عشر الى القرن العشرين حتى نهضوا من جديد واستطاعوا بكفاحهم ان يحرروا معظم شمال افريقيا والشرق الاوسط واصبح الامل معقودا عليهم فى ان يحافظوا على الحياد بين الكتلتين المتصارعتين .

* انشأ الاتحاد السوفييتي هياة عليا جديدة للاشراف على الدراسات العلمية التطبيقية يراسها ميخائيل خروتشيف .

* خمسة ملايين نسخة من القرءان الكريم طبعتها دار « توبان » للطباعة فى اليابان لحساب اندونيسيا .

* كتاب ظهر فى موسكو يضم مجموعة من ( النثر العربي المعاصر ) يحتوي على 60 قطعة ادبية كتبها 16 اديبا عربيا من بينهم محمود تيمور والدكتور طه حسين وجبران خليل جبران وتوفيق الحكيم . وتستعرض مقدمة المجموعة تاريخ نمو الادب العربي الحديث ومميزاته .

* صدر فى لندن اخيرا كتاب ماساة الكونغو من تاليف كمولنا ليجوم . وقد صدر الكتاب فى المطبعة الشعبية الشهيرة (بنجوين) فلاقي رواجا كبيرا .

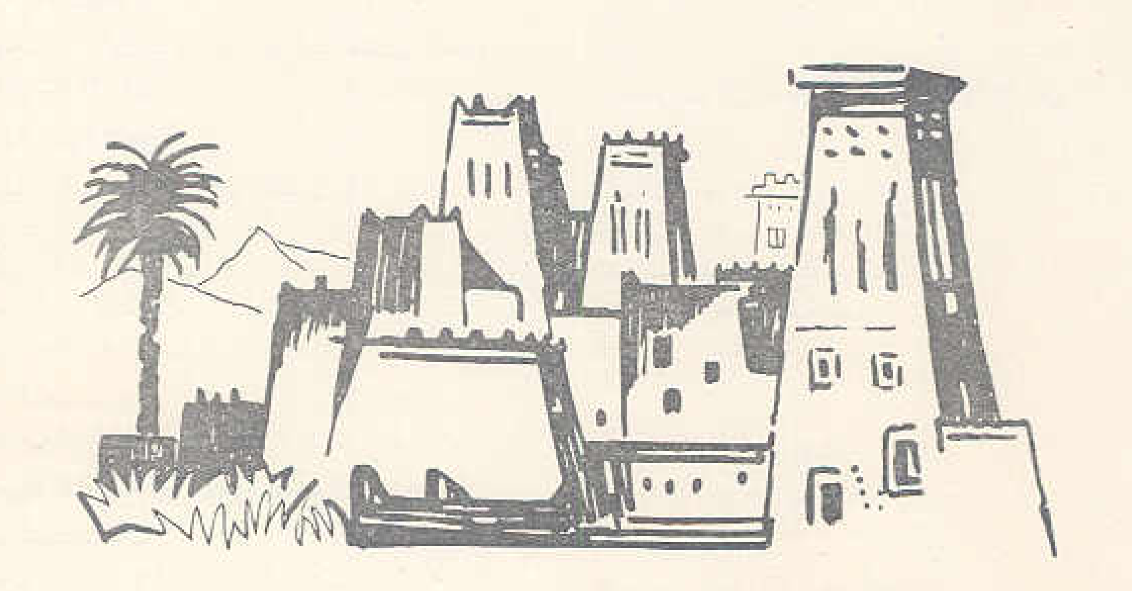
* الدالاي‌لاما الرئيس الروحي والمدني لبلاد التبت الذي طرده الصينيون يقيم الآن فى الولايات المتحدة كلاجىء سياسي اتباعه يعبدونه لانهم يعتقدون ان بوذا تقمص فيه .

كتب مذكراته وباعها ببضعة ملايين ، بدا المذكرات بهذه الكلمات : انا بوذا الحي ...

* اقيم فى لندن مهرجان للشعر نظمته جماعة « دواوين الشعر » فى مسرح جمعية « حورية البحر » واشترك فيه المعهدالفني البريطاني واتحاد التلفيزيون.

* احصيت اخيرا المخطوطات العربية فى مكتبات الولايات المتحدة الامريكية التي بلغ عددها عشرين الف مخطوط . وقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بالقاهرة بوضع فهارس لما يقرب من ستة عشر الفا من هذه المخطوطات اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة .

---



# فهرس العدد الثاني - السنة الخامسة